

اُنَيْسِرُ الْاَلْبَاءِ

في

اُخْبَارِ الْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْأَمْرَاءِ

إِعْدَاد

عَمَّارِ بْنِ خَمَيْسِي



دار ابن حزم

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

أَنْبِيَاءُ الْأَنْبِيَاءِ
فِي

أَخْبَارِ الْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْأَمْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انيسر الكلباء في

أخبار الخلفاء والوزراء والأمراء

إعداد
عماد بن خميس

دار ابن حزم

حُقوقُ الطَّبعِ مَحْفُوظَةٌ
الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

ISBN 978-9953-81-716-3

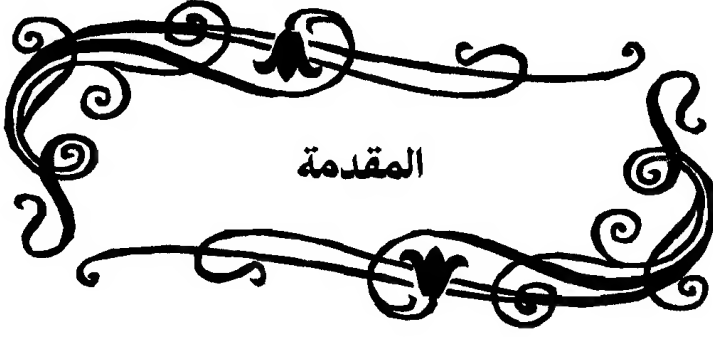
الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366

هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)

بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلّم.

أما بعد:

هذا كتاب جديد أقدمه إلى القراء الكرام جمعت فيه ما تعلق بأخبار
الخلفاء والوزراء والأمراء في جميع نواحي حياتهم السياسية والاجتماعية
والأدبية وغيرها.



الوزير المهلبی

قال أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصَّابي في الوزير المهلبی:
قُلْ لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الَّذِي قَدْ أَعْجَزَتْ كُلَّ الْوَرَى أَوْصَافُهُ
لَكَ فِي الْمَجَالِسِ مَنْطِقٌ يَشْفِي الْجَوَى^(١) وَيَسُوعُ فِي أُذُنِ الْأَدِيبِ سُلَافُهُ^(٢)
وَكَاَنَّ لَفْظَكَ جَوْهَرَ مُتَخَلِّ^(٣) وَكَأَنَّما آذَانُنَا أَضْدَافُهُ^(٤)

والمهلبی هذا هو أبو محمد الحسن بن هارون بن إبراهيم بن عبدالله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، ورَزَّ لأحمد بن بُويه الدَّيْلَمي، وكانت وزارته سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، وكان أبو محمد من سَرَواتِ^(٥) النَّاسِ وأدبائهم وأجوادهم وأعفائهم، وفيه يقول أبو إسحاق الصَّابي:

(١) «الْجَوَى: هَوَى باطن، والحُزْنُ، وشِدَّةُ الْوَجْدِ، والسُّلُ، وتَطاول المرض، وداء في الصدر. جَوِيَ جَوَى، فهو جَوٍ وجَوَى، وصف بالمصدر».

[القاموس المحيط: ١٢٧١].

(٢) «السُّلَافَةُ، كُثْمَامَةٌ: الْخَمَرُ، كَالسُّلَافِ».

[نفسه ص ٨٢٠].

(٣) «تَخَلَّه وَتَنَحَّلَهُ وَاتَّخَلَّه: صَفَّاهُ وَاخْتَارَهُ».

[القاموس المحيط: ١٠٦١].

(٤) «الصَّدَفُ، محرَّكة: غِشَاءُ الدَّرِّ، الْوَاحِدَةُ: بِهَاءٍ، الْجَمْعُ: أَصْدَافٌ».

[نفسه ص ٨٢٦].

(٥) «السَّرَوُ: المروءة في شَرَفٍ. سَرَوٌ، كَكَرْمٍ وَدَعَا وَرَضِي، سَرَوةٌ وَسَرَوٌ وَسَرَأٌ وَسَرَاءٌ، فهو سَرِيٌّ الْجَمْعُ: أَسْرِيَاءٌ وَسَرَوَاءٌ وَسَرَى».

[القاموس المحيط: ١٢٩٥].

نَعَمْ اللَّهُ كَالْوُحُوشِ فَمَا تَأْ لَفُ إِلَّا الْأَخَايِرَ التُّسَاكَا
نَفَرَتْهَا آثَامُ قَوْمٍ وَصَيَّرَ نَ لَهَا الْبِرَّ وَالثَّقَى أَشْرَاكَا^(١)

وكان قبل اتصاله بالسُّلطان سائحاً في البلاد، على طريق الفقر والتَّصوُّف، قال أبو علي الصُّوفي: كُنت معه في بعض أوقاته، أماشييه في إحدى طُرقاته، فَضَجِرَ لضيق الحال، فقال:

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ فَهَذَا الْعَيْشُ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ
أَلَا رَحِمَ الْمُهْنِمِينَ نَفْسَ حُرٍّ تَصَدَّقُ بِالْوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ

ثُمَّ تَصَرَّفَ بِمَا يُرْضِيهِ الدَّهْرُ، وَبَلَغَ الْمَهْلَبِي مَبْلَغَهُ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ فَاجْتَرَزْتُ بِسَرٍّ مَنْ رَأَى، وَإِذَا أَنَا بِنَاشِطِيَّاتٍ وَحَرَاقَاتٍ وَزِيَارِبٍ وَطَيَّارَاتٍ فِي عُدَّةٍ وَعُدَدٍ.

فَسَأَلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: لِلْوَزِيرِ الْمُهْلَبِيِّ، وَنَعَتُوا لِي صَاحِبِي، فَوَصَلْتُ إِلَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُهُ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ رُقْعَةً، وَتَوَصَّلْتُ حَتَّى دَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ، وَجَلَسْتُ حَتَّى خَلَا مَجْلِسُهُ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الرُّقْعَةَ وَفِيهَا:

أَلَا قُلْ لِلْوَزِيرِ بِلَا اخْتِشَامٍ مَقَالَ مُذَكِّرٍ مَا قَدْ نَسِيهِ
أَتَذَكِّرُ إِذْ تَقُولُ لِضَيْقِ عَيْشٍ «أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ»

فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ نَهَضَ وَأَنْهَضَنِي مَعَهُ إِلَى مَجْلِسِ الْأَنْسِ، وَجَعَلَ يُذَاكِرُنِي مَا مَضَى، وَيَذَكِّرُ لِي كَيْفَ تَرَقَّتْ حَالُهُ، وَقُدِّمَ الطَّعَامُ فَطَعِمْنَا، وَأَقْبَلَ ثَلَاثَةَ مِنْ الْغُلَّامَانِ عَلَى رَأْسِ أَحَدِهِمْ ثَلَاثُ بَدَرٍ^(٢)، وَمَعَ الْآخَرِ ثُخُوتٌ^(٣) وَثِيَابٌ، وَمَعَ الْآخَرِ طِيبٌ وَبُخُورٌ، وَأَقْبَلَتْ بَغْلَةٌ رَائِعَةٌ بِسَرَجٍ

(١) «الشُّرْكُ، مُحَرَّكَةٌ، حَبَائِلُ الصَّيْدِ، وَمَا يُنْصَبُ لِلطَّيْرِ، الْجَمْعُ: شُرْكٌ، بِضَمَّتَيْنِ، نَادِرٌ».

[القاموس المحيط: ٩٤٥].

(٢) «الْبَدْرُ، وَبِالْهَاءِ: كَيْسٌ فِيهِ أَلْفٌ أَوْ عَشْرَةُ آلَافٍ دِزْهِمٍ، أَوْ سَبْعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ».

[القاموس المحيط: ٣٤٨].

(٣) «التُّخْتُ: وَغَاءٌ يُصَانُ فِيهِ الثِّيَابُ».

[نفسه ص ١٤٨].

ثَقِيلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، تَفْضَّلْ بِقَبُولِ هَذَا، وَلَا تَتَخَلَّفْ عَنْ حَاجَةٍ تَعْرِضُ لَكَ، فَشَكَرْتَهُ وَانصَرَفَتْ، فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْبَابِ اسْتَرَدَّنِي وَأَنْشَدَنِي بِدِيهَا^(١):

رَقَّ الزَّمَانُ لِفَاقَتِي وَرَثَى لَطُولَ تَحَرُّقِي
وَأُنَالِ نِي مَا أُرْتَجِي وَأَجَارَ مِمَّا أَتَّقِي
فَلَا غُفْرَانَ لَهُ الْكَثِيرَ مِنَ الذُّنُوبِ السُّبْقِ
إِلَّا جُنَائَتَهُ الثَّيِّ فَعَلَ الْمَشِيبَ بِمَفْرِقِي^(٢)

[«زهر الآداب» لأبي إسحاق الحصري، ضبطه وشرحه الدكتور تركي مبارك، ج ١/ ١٨٠ . ١٨٢.]



بين الواثق ومحمد بن حماد

كُتِبَ مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ يُعَرِّضُ فِي حَاجَةٍ لَهُ بَيْتِي شِعْرًا إِلَى الْوَائِقِ يَقُولُ:

جَذَبْتُ دَوَاعِيَ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمُنَى وَقُلْتُ لَهَا كُفِّي عَنِ الطَّلَبِ الْمُزْرِي^(٣)
فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَفِّهِ مَدَارَ رَحَى بِالرُّزْقِ دَائِبَةٍ^(٤) تَجْرِي

(١) «الْبِدِيَّةُ: أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَا يَفْجَأُ مِنْهُ. وَبَادِعُهُ بِهِ مُبَادَعَةٌ وَبِدَاهَا: فَاجَأَهُ بِهِ».

[القاموس المحيط: ١٢٤٣].

(٢) «الْمَفْرُقُ، كَمَقْعَدٍ وَمَنْجَلِسٍ: وَسَطُ الرَّأْسِ، وَهُوَ الَّذِي يُفَرِّقُ فِيهِ الشَّعْرُ».

[القاموس المحيط: ٩١٧].

(٣) «زَرَى عَلَيْهِ زُرْيَا وَزَرَايَةً وَمَزْرِيَّةً وَمَزْرَاءَةً وَزُرْيَانًا، بِالضَّمِّ: عَابَهُ، وَعَاتَبَهُ، كَأَزْرَى، لَكِنَّهُ قَلِيلٌ، وَتَزْرَى».

[القاموس المحيط: ١٢٩٢].

(٤) «دَابَّ فِي عَمَلِهِ، كَمَنَعَ، دَابًّا، وَيُحَرِّكُ، وَدُؤُوبًا، بِالضَّمِّ: جَدَّ وَتَعَبَ، وَأَذَابَهُ».

[نفسه ص ٨٢].

أُنيس الأوباء في أخبار الخلفاء والوزراء والأمراء

فوق^(١) تحتها: جذبك نفسك عن امتهانها بالمسألة دعاني إلى صونك
بسعة فضلي عليك، فخذ ما طلبت هنيئاً.

[نفسه، ص ٢٤٨].



بين الحسن بن سهل وعلي بن عبيدة

قال علي بن عبيدة: أتيت الحسن بن سهل بقم الصلح، فأقمت ببابه
ثلاثة أشهر لا أحظى منه بطائل^(٢)، فكتبت إليه:

مَدَحْتُ ابْنَ سَهْلٍ ذَا الْأَيْدِي^(٣) وَمَالَهُ بِذَاكَ يَدٌ عِنْدِي وَلَا قَدَمٌ بَعْدُ
وَمَا ذَنْبُهُ وَالنَّاسُ إِلَّا أَقْلُهُم عِيَالٌ لَهُ إِنْ كَانَ لَمْ يَكُ لِي جَدٌ
سَأَحْمَدُهُ لِلنَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَا لَهُ فِي رَأْيِي عَادَ لِي ذَلِكَ الْحَمْدُ

فَكتب إليَّ: باب السلطان يحتاج إلى ثلاثة خِلال^(٤): عَقْلٌ وَصَبْرٌ
وَمَالٌ، فقلت للواسطة: تؤدّي عني؟ قال: نعم. قلت: تقول له: لو كان
لي مال لأغنانني عن الطلب إليك، أو صبر لصبرت عن الدُّلِّ ببابك، أو
عقل لاستدلتُّ به على النَّزَاهَةِ عن رِفْدِكَ^(٥)! فَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

[نفسه ص ٢٤٨].

(١) «التَّوَقُّعُ: مَا يُوقَّعُ فِي الْكِتَابِ، يُقَالُ: السُّرُورُ تَرْقِيعٌ جَائِزٌ».

[القاموس المحيط: ٧٧٣].

(٢) «الطَّوْلُ وَالطَّائِلُ وَالطَّائِلَةُ: الْفَضْلُ، وَالْقُدْرَةُ، وَالْغِنَى وَالسَّعَةُ».

[نفسه ص ١٠٢٧].

(٣) «الْيَدُ: النِّعْمَةُ، وَالْإِحْسَانُ تَصْطَنَعُهُ الْجَمْعُ: يَدِيٌّ، مُثْلَةُ الْأَوَّلِ، وَأَيْدٍ».

[القاموس المحيط: ١٣٤٧].

(٤) خِصَالٌ.

(٥) «الرَّفْدُ، بِالْكَسْرِ: الْعَطَاءُ وَالصَّلَةُ».

[القاموس المحيط: ٢٨٣].

حكمة أردشير وحضه على العلم

قيل لأردشير: أيها الملك الرفيع الذي حَلَبَ العُصور، وجَرَبَ الدُّهور، أي الكنوز أعظمُ قدرًا؟ قال: العلم الذي خَفَّ محمله، فثقلت مفارقتة، وكثرت مرافقته، وخفي مكانه، فأَمِنَ من السَّرَقِ عليه، فهو في المَلَأِ جمال، وفي الوحدة أنيس، يُرَأْسُ به الخسيس، ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك. قيل له: فالمال؟ قال: ليس كذلك. محمله ثَقِيل، والهَمُّ به طویل، إن كنت في مَلَأٍ شَغَلَكَ الفِكرُ فيه، وإن كنت في خَلوةٍ أتعبتك حراسته.

[نفسه ص ٢٥١].



أخلاق الملوك

قال الجاحظ: حدَّثني الفضل بن سهل قال: كانت رسل الملوك إذا جاءت بالهدايا يجعلُ اختلافهم إليّ، فتكون المؤامرات فيما معهم من ديواني، فكنت أسأل رجلاً رجلاً منهم عن سيرِ ملوكهم، وأخبار عظمائهم، فسألت رسول ملك الرُّوم عن سيرة ملكهم، فقال: بَذَلَ عُرْفُهُ^(١)، وَجَرَّدَ سَيْفَهُ، فاجتمعت عليه القُلُوبُ رغبة ورهبة، لا ينظر جُنْدُهُ، ولا يُخْرِجُ رعيته، سهل الثَّوَال^(٢)، حَزَنُ^(٣) النَّكَالِ^(٤)، الرَّجَاءُ والخوف معقودان في

(١) «العُرْفُ، بِالضَّمِّ: الجُودُ، واسمُ ما تبذله وتُعطيه».

[القاموس المحيط: ٨٣٦].

(٢) «الثَّوَالُ والثَّالُ والثَّائِلُ: العَطَاءُ».

[نفسه ص ١٠٦٦].

(٣) «الحَزَنُ: ما غَلِظَ من الأرض، كالحَزَنَةِ، وأَحَزَنَ صَارَ فيها».

[نفسه ص ١١٨٩].

(٤) «النَّكَالُ والنُّكْلَةُ، بِالضَّمِّ، وَكَمَفَعِدٍ: ما نَكَلْتَ بِهِ غَيْرَكَ كَأَنَّما مَا كَانَ. وَكَسَمِعَ (نَكَلَ): قَبِلَ النَّكَالَ».

[القاموس المحيط: ١٠٦٥].

يده. قُلت: فكيف حكمه؟ فقال: يَرِدُّ الظُّلم، وَيَزِدُّعُ الظَّالِم، وَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَالرَّعِيَّةُ اثْنَانِ: راضٍ، ومغْتَبَط. قلت: فكيف هيبَتُهُمْ له؟ قال: يُتَصَوَّرُ فِي الْقُلُوبِ، فَتَغْضِي^(١) لَهُ الْعُيُونُ.

قال: فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصغائي إليه، وإقبالي عليه، فسأل التُّرْجَمَان: ما الذي يقوله الرُّومِي؟ قال: يذكر ملكهم، ويصف سيرته، فتكلَّم مع التُّرْجَمَان بِشَيْءٍ، فقال لي التُّرْجَمَان: إِنَّهُ يَقُول: إِنَّ مَلِكَهُمْ ذُو أُنَاةٍ^(٢) عِنْدَ الْقُدْرَةِ، وَذُو جِلْمٍ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَذُو سَطْوَةٍ عِنْدَ الْمُغَالِبَةِ، وَذُو عَقُوبَةٍ عِنْدَ الْاجْتِرَامِ، قَدْ كَسَا رَعِيَّتَهُ جَمِيلَ نَعْمَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ عَسْفَ^(٣) نَقْمَتِهِ، فَهُمْ يَتَرَاوْنَهُ رَأْيَ الْهَلَالِ خِيَالاً، وَيَخَافُونَهُ خَوْفَ الْمَوْتِ نَكَالاً، وَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَرَدَعَتْهُمْ سَطْوَتُهُ، فَلَا تَمْتَنُهُ^(٤) مَرْحَةً، وَلَا تُؤْمِنُهُ غَفْلَةً، إِذَا أُعْطِيَ أَوْسَعُ، وَإِذَا عَاقَبَ أَوْجَعُ، فَالْتَّاسُ اثْنَانِ: رَاجٍ وَخَائِفٍ، فَلَا الرَّاجِي خَائِبُ الْأَمَلِ، وَلَا الْخَائِفُ بَعِيدُ الْأَجَلِ. قُلت: فكيف هيبَتُهُمْ له؟ قال: لَا تَرْفَعُ إِلَيْهِ الْعُيُونُ أَجْفَانَهَا، وَلَا تَتَّبِعَهُ الْأَبْصَارُ إِنْسَانَهَا^(٥)، كَأَنَّ رَعِيَّتَهُ قَطَأَ^(٦) رَفَرَتْ عَلَيْهِ صُقُورٌ صَوَائِدُ.

فحدَّثت المأمون بهذين الحديشين فقال: كم قيمتهما عندك؟ قُلت: ألفا

درهم.

[نفسه ص ٢٥٢].

(١) «أَغْضَى: أَدْنَى الْجُفُونِ، وَأَغْضَى عَلَى الشَّيْءِ: سَكَتَ».

[نفسه ص ١٣١٨].

(٢) «الْأُنَاةُ، كَقَنَاءَةٍ: الْجِلْمُ وَالْوَقَارُ، كَالْأَنَى».

[القاموس المحيط: ١٢٦٠].

(٣) «عَسَفَ عَنِ الطَّرِيقِ يَغْسِفُ: مَالَ، وَعَدَلَ، كَاغْتَسَفَ وَتَغَسَّفَ، أَوْ خَبَطَهُ عَلَى غَيْرِ هِدَايَةٍ، وَالسُّلْطَانُ: ظَلَمَ».

[القاموس المحيط: ٨٣٧].

(٤) «امْتَنَهُ: اسْتَعْمَلَهُ لِلْمَهْنَةِ فَاِمْتَنَهُنَّ هُوَ، لَا زِمَ مُتَعَدًّا».

[نفسه ص ١٢٣٦].

(٥) «الْإِنْسَانُ: الْمِثَالُ يُرَى فِي سَوَادِ الْعَيْنِ. الْجَمْعُ: أَنَايِي».

[القاموس المحيط: ٥٣١].

(٦) «الْقَطَأُ: طَائِرُ الْجَمْعِ: قَطَأٌ وَقَطَوَاتٌ».

[نفسه ص ١٣٢٥].

من كلام الملوك الجاري مجرى الأمثال

أردشير: إذا رغبت الملوك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة.

أفريدون: الأيام صحائف آجالكم، فخلدوها أحسن أعمالكم.

وقيل للإسكندر: ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك؟

قال: لأن أبي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية.

ودخل محمد بن زياد مؤدب الواثق على الواثق، فأظهر إكرامه، وأكثر إعظامه، ف قيل له: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: أول من فتق لساني بذكر الله، وأدنانني من رحمة الله.

وأشير على الإسكندر بتبئيت^(١) الفرس، فقال: لا أجعل غلبتي سرقة. وقيل له: لو تزوجت بنت دارا؟ فقال: لا تغلبي امرأة غلبت أباه.

أنوشروان: الملك إذا كثر ماله ممّا يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتلعه من قواعد بُنيانه.

أبرويز: أطع من فوقك يُطغك من دونك.

السفاح: إنّ من أدنى الناس ووضعايتهم^(٢) من عدّ البخل حزماً، والعفو ذلاً.

وكان يقول: إذا كان الحلم مفسدة كان العفو مفعزة، والصبر حسن إلا على ما أوقع بالدين، وأوهى السلطان، والأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة.

(١) «بَيَّتَ الْعَدُوَّ: أَوْقَعَ بِهِمْ لَيْلًا».

[القاموس المحيط: ١٤٨].

(٢) «الرَّضِيعُ: الْمَخْطُوطُ الْقَدْرُ».

[القاموس المحيط: ٧٧٢].

وقد قال ابن المعتز:

كَمْ فُرْصَةٍ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً^(١) تُشْجِي^(٢) بِطُولِ تَلْهُفٍ وَتَنْدُمٍ

ولما عزم المنصور على الفتك بأبي مسلم فزع من ذلك عيسى بن موسى، فكتب إليه:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدْبِيرٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَعَجَّلَا

فأجابه المنصور:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تُنْهَلِ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا بِغُدْوَةٍ وَبَادِرْهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدَا

... وقال سعد بن ناشب فأفرط^(٣):

عَلَيْكُمْ بِدَارِي فَاهْدِمُوهَا فَإِنَّهَا تُرَاثُ^(٤) كَرِيمٍ لَا يَخَافُ الْعَوَاقِبَا
إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَبَ عَنِ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا
وَلَمْ يَسْتَشِيرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا
سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبَا عَلَيَّ قِضَاءَ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبَا

(١) «الْغُصَّةُ، بِالضَّمِّ: الشَّجَا الْجَمْعُ: غُصَصٌ، وَمَا اغْتَرَضَ فِي الْحَلْقِ فَأَشْرَقَ».

[القاموس المحيط: ٦٢٥].

(٢) «شَجَاةٌ: حَزْنُهُ، وَطَرَبُهُ، كَأَشَجَاهُ فِيهَا، ضِدٌّ».

[نفسه ص ١٢٩٨].

(٣) وأول هذه القطعة:

سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبَا
وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا
عَلَيَّ قِضَاءَ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبَا
لِعَرْضِي مِنْ بَاقِي الْمَذْمَةِ حَاجِبَا
(المحقق)

(٤) «وَرِثَ مَالَ أَبِيهِ ثُمَّ قِيلَ وَرِثَ أَبَاهُ مَا لَا يَرِثُهُ وَرِاثَةٌ أَيْضًا. وَالتَّرَاثُ بِالضَّمِّ وَالْإِزْثَ كَذَلِكَ وَالتَّاءُ وَالْهَمْزَةُ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ».

[المِصْبَاحُ الْمُنِيرُ: ٢٥١].

وَيَضَعُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي ^(١) إِذَا انْتَشَتْ ^(٢) يَمِينِي بِإِذْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا

وكان سعدٌ من مَرَدَّة ^(٣) العربِ وشياطين الإنس، وفيه يقول الشاعر:

وَكَيْفَ يُفِيقُ الدَّهْرَ سَعْدُ بْنُ نَاشِبٍ وَشَيْطَانُهُ عِنْدَ الْأَهْلَةِ يُصْرَعُ

كتب مروان بن محمد الجعدي إلى عبد الله بن علي يسأله حفظ حرمه، فقال له: الحق لنا في دمك، وعلينا في حُرْمِكَ.

وقال الرّشيد لإسماعيل بن صبيح: إِيَّاكَ وَالذَّالَّةَ ^(٤) فَإِنَّهَا تُفْسِدُ الْحَرَمَةَ، ومنها أتى البرامكة.

وقال المأمون: الملوك تحتل كل شيء إلا ثلاثاً: إفشاء السرِّ، والقدح في الملك، والتّعرض للحرم.

المعتصم: إِذَا نُصِرَ الْهُوَى بَطَلَ الرَّأْيِ.

الْمُنْتَصِرُ: لَذَّةُ الْعَفْوِ أَطْيَبُ مِنْ لَذَّةِ التَّشْفِي، وذلك أَنَّ لَذَّةَ الْعَفْوِ يَلْحَقُهَا حَمْدُ الْعَاقِبَةِ، وَلَذَّةُ التَّشْفِي يَلْحَقُهَا دَمُ النَّدَمِ.

والمنتصر يقول عن تجربة، لأنه قتل أباه المتوكل.

[نفسه ص ٢٥٦ - ٢٥٩].



(١) «التَّالِدُ، كَصَاحِبٍ، وَالتَّلْدُ، بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ وَالتَّحْرِيكِ، وَالتَّلَادُ وَالتَّلِيدُ وَالتَّلَادُ وَالتَّلْدُ: مَا وُلِدَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِكَ أَوْ نَتِجَ».

[القاموس المحيط: ٢٧٠].

(٢) «تَنَى أَيِ الشَّيْءِ، كَسَعَى: رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَتَنَى وَاتَّقَى وَاتَّقَى: انْعَطَفَ».

[نفسه ص ١٢٦٧].

(٣) عُنَاةُ الْعَرَبِ.

(٤) الدَّالَّةُ: مَا تَدَلَّ بِهِ عَلَى صَدِيقِكَ مِنْ خَيْرِ قَدَمَتِهِ.

بين الثريا بنت علي والوليد بن عبد الملك

كانت الثريا بنت علي بن عبدالله بن الحارث بن أمية الأصغر موصوفة بالجمال، وتزوجها سهيل بن عبدالرحمن بن عوف الزهري، فنقلها إلى مصر، وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة، وضرب لهما المثل بالنجمين:

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَّا سُهَيْلًا عَمْرَكَ^(١) اللَّهَ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ؟
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ^(٢) وَسُهَيْلٌ^(٣) إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

فمات سهيل عنها، أو طلقها، فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة دمشق تطلبه في دين عليها، فبينا هي عند أم البنين ابنة عبدالعزيز إذ دخل الوليد فقال: مَنْ هذه عندك؟ قالت: الثريا، جاءتك تطلب في دين ارتكبتها، فأقبل الوليد عليها، فقال: أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً؟ قالت: نعم، أما إنه رحمه الله كان عفيفاً، عفيف الشعر، أروي له قوله:

مَا عَلَى الرَّسْمِ^(٤) بِالْبُلَيْنِ^(٥) لَوْ بَيَّ نَ رَجَعَ السَّلَامُ أَوْ لَوْ أَجَابَا
فِي أَلَى قَضَرٍ ذِي الْعُشَيْرَةِ بِالصَّا ئِفْ أُمْسَى مِنَ الْأَنِيسِ يَبَابَا^(٦)

(١) «عَمَرَ الله ما فعلت كذا، وَعَمَرَكَ الله ما فعلت كذا، أصله: عَمَرْتُكَ الله تعميراً، وَأَعَمَرَكَ الله أَنْ تَفْعَلَ، تُحَلِّفُهُ بالله، وتَسْأَلُهُ بِطَوْلِ عُمَرِهِ».

[القاموس المحيط: ٤٤٤].

(٢) «اسْتَقَلَّتْ: حَمَلَتْ وَرَفَعَتْ، كَقَلَّتْ وَأَقَلَّتْ».

[القاموس المحيط: ١٠٤٩].

(٣) «سُهَيْلٌ: نَجْمٌ عِنْدَ طُلُوعِهِ تَنْضِجُ الْفَوَاكِهَ وَيَنْفُضِي الْقَيْظَ».

[نفسه ص ١٠١٧].

(٤) «الرَّسْمُ: الْأَثَرُ، أَوْ بَقِيَّتُهُ، أَوْ مَا لَا شَخْصَ لَهُ مِنَ الْأَثَارِ، الْجَمْعُ: أَرْسُمُ وَرُسُومٌ».

[القاموس المحيط: ١١١٣].

(٥) اسم موضع.

(٦) «أَرْضُ يَبَابٍ، أَي: خَرَابٍ».

[القاموس المحيط: ١٤٥].

وَيْمًا قَدْ أَرَى بِهِ حَيٍّ صِدْقٍ ظَاهِرِي الْعَيْشِ نِعْمَةً وَشَبَابًا
وَجَسَانًا جَوَارِيًا خَفِرَاتٍ^(١) حَافِظَاتٍ عِنْدَ الْهَوَى الْأَخْسَابَا
لَا يُكْثِرْنَ بِالْحَدِيثِ وَلَا يَتَّبِعْنَ^(٢) غَنَ يَنْعَعْنَ^(٣) بِالْبِهَامِ^(٤) الظَّرَابَا^(٥)

فَلَمَّا خَلَا الْوَلِيدُ بِأَمِّ الْبَنِينَ قَالَ: اللَّهُ دَرُّ^(٥) الثُّرَيَّا، أَتَدْرِينَ مَا أَرَادَتْ بِإِنْشَادِهَا مَا أَنْشَدَتْ مِنْ شِعْرِ عُمَرَ؟ قَالَتْ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي لَمَّا عَرَضْتُ^(٦) لَهَا بِعُمَرَ عَرَضْتُ بِأَنَّ أُمِّي أَعْرَابِيَّةٌ، وَأُمُّ الْوَلِيدِ وَلَادَةُ ابْنَةِ الْعَبَّاسِ بْنِ جُزْءِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهَيْرِ الْعَبْسِيِّ، وَهِيَ أُمُّ سُلَيْمَانَ، وَلَا تُعْلَمُ امْرَأَةٌ وَلَدَتْ خَلِيفَتَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَهَا، وَغَيْرَ الْخَيْرُزَانَ، وَهِيَ سَيِّئَةٌ^(٧) مِنْ خَرَشَنَةَ، وَلَدَتْ مُوسَى الْهَادِي وَهَارُونَ الرَّشِيدَ ابْنَيْ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ، وَشَاهِسْفَرَمَ بِنْتَ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجَرْدَ بْنِ شَهْرِيَارَ بْنِ كِسْرَى أَبْرُويزَ، فَإِنَّهَا وَلَدَتْ لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ النَّاقِصِ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَخْلُوعِ، جَلَسَ فِي الْخِلَافَةِ بَعْدَ

(١) «الْحَقْفَرُ، مُحَرَّكَةٌ: شِدَّةُ الْحَيَاءِ، كَالْحَقْفَارَةِ وَالتَّخْفَرِ، خَفِرَتْ كَفَرِحَ، وَهِيَ خَفِرَةٌ وَخَفِرٌ وَمِخْفَارُ الْجَمْعِ: خَفَائِرُ».

[نفسه ص ٣٨٩].

(٢) «نَعَقَ بِغَنَمِهِ، كَمَنْعَ وَضَرْبَ، نَعَقًا وَنَعِيقًا وَنَعَاقًا وَنَعَقَانًا: صَاحَ بِهَا وَزَجَرَهَا».

[القاموس المحيط: ٩٢٦].

(٣) «الْبَهِيمَةُ: كُلُّ ذَاتٍ أَرْبَعِ قَوَائِمَ وَلَوْ فِي الْمَاءِ، أَوْ كُلُّ حَيٍّ لَا يُمَيِّزُ، الْجَمْعُ: بَهَائِمٌ. وَالْبَهْمَةُ: أَوْلَادُ الضَّأْنِ وَالْمَعَزِ وَالْبَقَرِ، الْجَمْعُ: بَهْمٌ، وَيُحَرَّكُ، وَبِهَائِمٌ جَمْعُ الْجَمْعِ: بِهَائِمَاتٌ».

[نفسه ص ١٠٨١].

(٤) «الظَّرَبُ، كَكَتِفٍ: مَا تَنَأَى مِنَ الْجِجَارَةِ وَحُدُّ طَرَفِهِ، أَوِ الْجَبَلِ الْمُتَنَبِّسُ، أَوِ الصُّغَيْرُ، الْجَمْعُ: ظَرَابٌ».

[نفسه ص ١١٠].

(٥) «لِلَّهِ دَرُّهُ، أَيُّ: عَمَلُهُ».

[القاموس المحيط: ٣٩١].

(٦) «التَّعْرِيفُ: خِلَافُ التَّصْرِيحِ».

[نفسه ص ٦٤٧].

(٧) «سَبَى الْعَدُوَّ سَبِيًّا وَسَبَاءً: أَسْرَهُ، كَأَسْتَبَاهُ، فَهُوَ سَبِيٌّ وَهِيَ سَبِيٌّ أَيْضًا، الْجَمْعُ: سَبَايَا».

[القاموس المحيط: ١٢٩٣].

أخيه يزيد مدة يسيرة، ثم جاء مروان بن محمد بن مروان آخر ملوك بني أمية فخلعه وولّى بعده.

وشبيه بقول الثريا في باب التعريض أنه دخلت عزة على عبد الملك بن مروان فقال لها: أنت عزة كثير؟ قالت: أنا أم بكر الضمرية، قال لها: يا عزة هل تروين من شعر كثير شيئاً؟ قالت: ما أعرفه، ولكن سمعت الرواة ينشدونه له:

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْقَى عَرِيْمَهُ^(١) وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ^(٢) مُعْنَى^(٣) عَرِيْمُهَا

قال: فتروين قوله:

وَقَدْ زَعَمْتُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْعَزُّ لَا يَتَغَيَّرُ
تَغَيَّرَ حَالِي وَالْخَلِيقَةُ كَالَّذِي عَهْدَتْ وَلَمْ يُخْبَرَ بِسِرِّكَ مُخْبِر

قالت: سمعت هذا، ولكن سمعتهم ينشدون:

كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَغْرَضْتُ مِنَ الصُّمِّ^(٤) لَوْ تَمْشِي بِهَا الْعُضْمُ^(٥) لَزَلَتْ
غَضُوباً فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَضْلَ مَلَّتْ

[نفسه ص ٢٩٠ - ٢٩١].

(١) «العريم: الدائِن والمَدْيُون، ضدّ».

[القاموس المحيط: ١١٤٢].

(٢) «المطل: التسويف بالعدة والدين، كالامطال والمماطلة والمطال، وهو مطول ومطال».

[نفسه ص ١٠٥٧].

(٣) «عنا: الأمر يعنيه ويعنوه عناية وعناية وعنيًا: أهمة. واعتنى به: اهتَمَّ. وعني، بالضم عناية».

[نفسه ص ١٣١٦].

(٤) «حجر أصم. وصخرة صماء: صلب مضمت».

[القاموس المحيط: ١١٣٠].

(٥) «الأعضم من الطباء والرُعول: ما في ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر، وهي عصماء، وقد عصم، كفرح».

[نفسه ص ١١٣٨].

بين سليمان بن عبد الملك وأعرابي

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك: إني أكلّمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله^(١)، فإن وراءه إن قبلته ما تُحبّه، قال: هاتِه يا أعرابي، فنحن نجوّد بِسعة الاحتمال على مَنْ لا نأمن غيبته، ولا نرجو نصيحته، وأنت المأمونُ غيباً، النَّاصِحُ جَنِيّاً^(٢). قال: قال: فإني سأطلق لساني بما خَرِسَتْ عنه الألسن، تأدية لحقّ الله تعالى، إنّه قد اُكْتَفَفَكَ^(٣) رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، وابتاعوا دُنياك بِدينهم، ورضاك بِسخط رُبهم، وخافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فهم حَرْبٌ لِلآخرة، سِلْمٌ لِلدُّنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنهم لم يَأْلُوا^(٤) الأمانة تضييعاً، والأمة كَسَفًا^(٥) وخَسَفًا^(٦) وأنت مسؤول عمّا اجترموا^(٧)، فإن أعظم الناس عندك غَبْنًا مَنْ باع آخرته بِدُنيا غيره.

فقال سليمان: أمّا أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفك، قال: أجل يا أمير المؤمنين، لَكَ لا عليك.

[نفسه ص ٣٠٣].

(١) «اُخْتَمَلَ الأَمْرُ: أَطَاقَهُ، صَبَرَ عَلَيْهِ».

[المنجد الأبجدي: ٢٣].

(٢) «هو ناصِحُ الجَنِبِ، أي: القلب والصّدر».

[القاموس المحيط: ٧٠].

(٣) «اُكْتَفَفُوا فُلانًا: أَحاطوا بِهِ، كَتَكْتَفَوْهُ».

[نفسه ص ٨٥١].

(٤) «آل الملك رَعِيَّتُهُ إِيَّالاً: سَاسَهُمْ، وعلى القوم أَوَّلًا وإِيَّالاً وإِيَّالاً: وَلِيّ، والمال: أصلحُه وسَاسَه».

[القاموس المحيط: ٩٦٣].

(٥) «كَسَفَتِ الشَّمْسُ، والقَمَرُ كُسُوفًا: اُخْتَجَبَا، كَانِكُسَفَا».

[نفسه ص ٨٤٨].

(٦) «خَسَفَ القَمَرُ: كَسَفَ، أو كَسَفَ للشَّمْسِ، وخَسَفَ للقَمَرِ، أو الخُسُوفُ: إِذَا ذَهَبَ بَعْضُهُمَا».

[نفسه ص ٨٠٤].

(٧) «جَرَمَ فُلَانٌ: أَذْنَبَ، كَأَجْرَمَ وَاجْتَرَمَ، فهو مُجْرِمٌ وَجَرِيمٌ».

[القاموس المحيط: ١٠٧٨].

الرَّشِيدُ يَحْبِسُ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ عَلَى تَرْكِ الشَّعْرِ

لَمَّا قَدِمَ الرَّشِيدُ الرَّقَّةَ أَظْهَرَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ^(١) الزَّهْدَ وَالتَّصَوُّفَ وَتَرَكَ
الْعَزَلَ، فَأَمَرَهُ الرَّشِيدُ أَنْ يَتَغَزَلَ، فَأَبَى، فَحَبَسَهُ، فَغَنَى بِقَوْلِهِ:

خَلِيلِي مَا لِي لَا تَزَالَ مَضْرَّتِي تَكُونُ عَلَى الْأَقْدَارِ حَثْمًا مِنَ الْحَثَمِ
كَفَّاكَ بِحَقِّ اللَّهِ مَا قَدْ ظَلَمْتَنِي فَهَذَا مَقَامُ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الظُّلَمِ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جِسْمِي وَقُوَّتِي أَلَا مُسْعِدٌ^(٢) حَتَّى أَتُوحَّ عَلَى جِسْمِي

فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ، وَقَالَ: بِالْأَمْسِ يَنْهَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيُّ عَنِ
الْعَزْلِ، فَتَأَبَّى إِلَّا لَجَاجًا^(٣) وَمَخَكًا^(٤)، وَالْيَوْمَ أَمَرَكَ بِالْقَوْلِ فَتَأَبَّى جُرْأَةً عَلَيَّ
وِإِقْدَامًا، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ، كُنْتُ أَقُولُ
الْعَزْلُ وَلِي شَبَابٌ وَجِدَّةٌ^(٥)، وَبِي حِرَاكٌ وَقُوَّةٌ، وَأَنَا الْيَوْمَ شَيْخٌ ضَعِيفٌ لَا
يَحْسُنُ بِمِثْلِي تَصَابٌ^(٦)، فَرَدَّهُ إِلَى حَبْسِهِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ:

أَنَا الْيَوْمَ لِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَشْهُرُ يَرُوحُ عَلَيَّ الْعَمُّ مِنْكَ وَيَبْكُرُ

(١) «أبو العتاهية، ككراهية: لَقَبَ أَبِي إِسْحَاقُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ سُوَيْدٍ، لَا
كُنْيَتَهُ، وَوَهُمُ الْجَوْهَرِيُّ».

[القاموس المحيط: ١٢٤٩].

(٢) «أَسْعَدُهُ: أَعَانَهُ».

[القاموس المحيط: ٢٨٨].

(٣) «اللَّجَاجُ وَاللَّجَاجَةُ: الْخُصُومَةُ، لَجَجْتُ، بِالْكَسْرِ، تَلَجَّجْتُ، وَلَجَجْتُ، تَلَجَّجْتُ».

[نفسه ص ٢٠٣].

(٤) «مَخَكٌ، كَمَنَعَ: لَجَّجْتُ، فَهُوَ مَخَكٌ، كَكْتَفٍ، وَمَخَاحٌ وَمَخَكَانٌ وَمُتَمَخَكٌ».

[نفسه ص ٩٥٣].

(٥) «وَجَدَ فِي الْمَالِ وَجْدًا بَضُمَ الْوَاوِ وَفَتْحَهَا وَكَسَرَهَا وَجِدَّةٌ أَيْضًا بِالْكَسْرِ أَيْ اسْتَغْنَى».

[مختار الصحاح: ٢٩٦].

(٦) «صَبِيٌّ، كَرَضِيٍّ: فَعَلَ فَعْلُهُ، وَإِلَيْهَا: حَزَنٌ، كَصَبَا صَبْوَةً وَصَبْوَةً وَصَبْوًا. وَأَصْبَتُهُ الْمَرْأَةُ،
وَتَصَبَّتْهُ: شَاقَّتْهُ وَدَعَتْهُ إِلَى الصَّبَا فَحَزَنَ إِلَيْهَا. وَتَصَبَّأَهَا وَتَصَبَّأَهَا: خَدَعَهَا وَفَتَنَهَا».

[القاموس المحيط: ١٣٠٢].

تَذَكَّرُ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّي وَحُزْمَتِي وَمَا كُنْتُ تُوَلِّينِي لَعَلَّكَ تَذْكُرُ
لِيَالِي تُذْنِي مِنْكَ بِالْقُرْبِ مَجْلِسِي وَوَجْهَكَ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَيَّ بِهَا مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

فبعث إليه: لا بأس عليك، فقال:

كَأَنَّ الْخَلْقَ رَكِبَ فِيهِ رُوحٌ لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَأْسُ
أَمِينَ اللَّهِ إِنَّ الْحَبْسَ بِأَسْ وَقَدْ وَقَعْتَ: لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسُ
فأخرجه.

أخذ البيت الأول من هذين علي بن جبلة وزاد فيه، فقال لأبي غانم الطوسي:
دَجَلَةٌ تَسْقِي وَأَبُو غَانِمٍ يُطْعِمُ مَنْ تَسْقِي مِنَ النَّاسِ
وَالْخَلْقُ جِسْمٌ وَإِمَامُ الْهُدَى رَأْسٌ وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ
· [نفسه ص ٣٨٣ - ٣٨٤].

ابن الزِّيَّات يمدح الحسن بن سهل:

مدح ابن الزِّيَّات الحسن بن سهل في وزارته للمأمون، وأعطاه عشرة
آلاف درهم، فقال:

لَمْ أُمْتَدِّحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ لَكِنْ لِيُتْلِبَسِنِي التَّخَجِيلَ وَالْغُرَا
مَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا أَتْنِي رَجُلٌ لَا أَقْرُبُ الْوِزْدَ^(١) حَتَّى أَعْرِفَ الصَّدْرَ^(٢)
[نفسه ص ٣٩٣].

(١) «الْوِزْدُ، بالكسر: الإشراف على الماء وغيره، دَخَلَهُ أو لم يدخله، كالتَّوَرَّد والاستيراد، وهو وَارِدٌ وورَادٌ من وُرَادٍ وواردين».

[القاموس المحيط: ٣٢٥].

(٢) «الصَّدْرُ: الرجوع، كالمصدر، يَصْدُرُ وَيَصْدِرُ، والاسم: بالتَّحْرِيك، ومنه طَوَافُ الصَّدْرِ».
[نفسه ص ٤٢٣].

كُثِيرٌ عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ مَرِيضٌ

دَخَلَ كُثِيرٌ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ عَلِيلٌ، وَأَهْلُهُ يَتَمَنَوْنَ أَنْ يَبْتَاسَ، فَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ سُرُورَكَ لَا يَتِمُّ بِأَنْ تَسْلَمَ وَأَسْقِمَ لِدَعْوَتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرِفَ مَا بِكَ إِلَيَّ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَكَ الْأَمِيرُ الْعَافِيَةُ لَكَ وَلِي فِي كَتَفِكَ^(١)، فَضَحِكَ وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

وَنَعُودُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا لَيْتَ التَّشَكُّي كَانَ بِالْعُودِ
لَوْ كَانَ تُقْبَلُ فِدْيَةُ لَفَدَيْتُهُ بِالْمُصْطَفَى مِنْ طَارِفِي^(٢) وَتِلَادِي
[نفسه ص ٤١٣].



بَيْنَ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنِ أَبِي تَمَامٍ

لَمَّا وَلِيَ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ خُرَاسَانَ دَخَلَ الشُّعْرَاءُ يُهَنِّئُونَهُ، وَفِيهِمْ تَمَامُ بْنُ أَبِي تَمَامٍ فَأَنشَدَهُ:

هَئِذَاكَ رَبُّ النَّاسِ هَئِذَاكَ مَا مِنْ جَزِيلٍ^(٣) الْمُلْكِ أَعْطَاكَ
قَرَّتْ^(٤) بِمَا أُعْطِيتَ يَا ذَا الْجَحَى^(٥) وَالْبَاسِ وَالْإِنْعَامِ عَيْنَاكَ

(١) الْكَتَفُ: الظِّلُّ وَالْجَانِبُ وَالنَّاحِيَةُ، وَالْجِرْزُ.

(٢) «الطَّرْفَةُ، بِالضَّمِّ: الْأَسْمُ مِنَ الطَّرِيفِ وَالْمُطَرِّفِ وَالطَّارِفِ: لِلْمَالِ الْمُسْتَحْدَثِ».

[القاموس المحيط: ٨٣١].

(٣) «الْجَزْلُ: الْكَثِيرُ مِنَ الشَّيْءِ»، كَالْجَزِيلِ، الْجَمْعُ: كَجِبَالٍ، وَالْكَرِيمُ الْمَعْطَاءُ.

[القاموس المحيط: ٩٧٦].

(٤) «قَرَّتْ عَيْنُهُ تَقَرُّ، بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ: قَرَّةٌ وَتَضَمُّ، وَفُرُورًا: بَرَدَتْ، وَانْقَطَعَ بُكَاءُهَا، أَوْ رَأَتْ مَا كَانَتْ مُتَشَوِّفَةً إِلَيْهِ».

[القاموس المحيط: ٤٦١].

(٥) «الْجَحَا، كَالْيَ: الْعَقْلُ وَالْفِطْنَةُ، وَالْمَقْدَارُ الْجَمْعُ: أَحْجَاءٌ».

[نفسه ص ١٢٧٢].

أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِمَا نِلَتْهُ وَأُورِقَ الْعُودُ بِجَذْوَاكَ^(١)

فاستضعف الجماعة شعره، وقالوا: يا بُغْدَ ما بَيْنَهُ وبين أبيه! فقال
طاهر لبعض الشعراء: أجبه، فقال:

حَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ حَيَّاكَ إِنَّ الَّذِي أَمَلْتَ أَخْطَاكَ
فَقُلْتَ قَوْلًا فِيهِ مَا زَانَهُ وَلَوْ رَأَى مَذْحًا لَأَسَاكَ^(٢)
فَهَاكَ إِنْ شِئْتَ بِهَا مِذْحَةً^(٣) مِثْلَ الَّذِي أُعْطِيتَ أُعْطَاكَ

فقال تمام: أعز الله الأمير، وإن الشعرَ بالشعرِ رباً، فاجعل بينهما
صَنْجاً^(٤) من الدراهم حتى يحل لي ولك! فضحك وقال: إلا يكن معه شعرُ
أبيه، فمعه ظُرف^(٥) أبيه، أعطوه ثلاثة آلاف درهم! فقال عبدالله بن إسحاق: لو
لم يُعط إلا لقول أبيه في الأمير أبي العباس - رحمه الله - يريد عبدالله بن طاهر:
يَقُولُ فِي قَوْمَسٍ^(٦) صَخْبِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنَّا السُّرَى^(٧) وَخُطَا الْمَهْرِيَّةِ^(٨) الْقُودِ

(١) العَطِيَّة.

(٢) «الإسوة، بالكسر والضَّم: ممَّا يأتسِي به الحزِينُ الجمع: إساءاً، بالكسر ويضم. وأساءه
تأسيئة فتأسى: عزاه فتعزى».

[القاموس المحيط: ١٢٥٩].

(٣) «مَذْحِه، كَمَنْعُهُ، مَذْحاً وَمِذْحَةً: أَحْسَنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهَا».

[نفسه ص]

(٤) «الصَّنْجُ: شَيْءٌ يَتَّخَذُ مِنْ صُفْرِ، يُضْرَبُ أَحَدُهَا عَلَى الْآخَرِ، وَآلَةٌ بِأَوْتَارٍ يُضْرَبُ بِهَا مُغَرَّبٌ».

[القاموس المحيط: ١٩٦].

(٥) «الظُرْفُ: الْكِيَاسَةُ، ظُرْفٌ، كَكَرَمَ ظُرْفًا وَظُرَافَةً، قَلِيلَةٌ، فَهُوَ ظُرِيفٌ مِنْ ظُرَفَاءَ وَظُرُوفٍ
كَكُتِبَ، وَظُرَافٍ وَظُرِيفِينَ وَظُرُوفٍ».

[نفسه ص ٨٣٤].

(٦) «الْقَوْمَسُ: الْأَمِيرُ، وَمُعْظَمُ مَاءِ الْبَحْرِ، كَالْقَامُوسِ».

[القاموس المحيط: ٥٦٧].

(٧) «السُّرَى، كَالْهُدَى: سَبِيلُ عَامَّةِ اللَّيْلِ، وَيُذَكَّرُ. سَرَى يَسْرِى سُرَى وَسَرَى، وَسَرِيَّةٌ، وَيُضْمُّ، وَسِرَايَةٌ».

[نفسه ص ١٢٩٤].

(٨) «مَهْرَةٌ بَنُ حَيْدَانٍ؛ بِالْفَتْحِ: حَيٌّ. وَالْإِبِلُ الْمَهْرِيَّةُ مِنْهُ الْجَمْعُ: مَهَارَى وَمَهَارٍ وَمَهَارِيٌّ».

[نفسه ص ٤٧٨].

أَمَطَّلَعَ الشَّمْسُ تَبْغِي أَنْ تَوُؤَمَّ^(١) بِنَا؟ فَقُلْتُ: كَلَّا وَلَكِنْ مَطَّلِعَ الْجُودِ
فَقَالَ: وَيُعْطَى بِهَذَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ.

وكان سبب ولاية طاهر خراسان بعد أبيه ما حدث به أبو العيناء قال:
كُنَّا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَاوُدَ، فَجَاءَ الْخَبْرُ أَنَّ الْكُتُبَ وَرَدَتْ عَلَى الْوَائِقِ مِنْ
خُرَاسَانَ بِوَفَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ، وَأَنَّ الْوَائِقَ يُعْرِِي عَنْهُ، وَأَنَّهُ قَدْ وَلَّى مَكَانَهُ
خُرَاسَانَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ عَدُوًّا لَهُ لَانْخِرَاطِهِ فِي سَلَكِ ابْنِ الزِّيَّاتِ،
فَلَبَسَ ثِيَابَهُ وَمَضَى، وَقَالَ: لَا تَبْرَحُوا حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكُمْ، فَلَبِثَ قَلِيلًا ثُمَّ عَادَ
إِلَيْنَا فَحَدَّثَنَا أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْوَائِقِ فَعَزَّاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَجَلَسَ، قَالَ: فَقَالَ لِي
الْوَائِقُ: قَدْ وَلَّيْنَا إِسْحَاقَ خُرَاسَانَ، فَمَا عِنْدَكَ؟ قُلْتُ: وَقَقَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَلَا نَذْمُهُ. قَالَ: قُلْ مَا عِنْدَكَ فِي هَذَا. قُلْتُ: أَمْرٌ قَدْ أَمْضَى، فَمَا عَسَيْتُ
أَنْ أَقُولَ فِيهِ. قَالَ: لَتَفْعَلَنَّ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، خُرَاسَانَ مِنْذُ ثَلَاثِينَ
سَنَةً فِي يَدِ طَاهِرٍ وَابْنِهِ، وَكُلٌّ مِنْ بَهَا صَنَائِعُهُمْ^(٢)، وَقَدْ خَلَفَ عَبْدُ اللَّهِ عَشَرَ
بَنِينَ أَكْثَرَهُمْ رِجَالًا، وَجَمِيعَ جَيْشِ خُرَاسَانَ لَهُمْ عِبِيدٌ أَوْ مَوَالٍ أَوْ صَنَائِعُ،
وَسَيَقُولُونَ: أَمَا كَانَ فِينَا مُصْطَنَعٌ؟ وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَجْرُبَنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ
وَفِينَا بِمَا كَانَ يَفِي بِهِ أَبُونَا وَجَدُّنَا، وَإِلَّا اسْتَبْدَلَ مِنَّا بَعْدَ عُذْرِ فِينَا، وَيَقْدَمُ
خُرَاسَانَ إِسْحَاقُ وَهُوَ رَجُلٌ غَرِيبٌ فِينَا فَسَهْ هَؤُلَاءِ، وَيَتَعْصَبُ أَهْلُهَا لَهُمْ،
فَيَنْتَفِضُ مَا أُبْرِمَ، وَيَفْسُدُ مَا أَصْلَحَ. قَالَ: صَدَقْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، وَالرَّأْيُ مَا
قُلْتُ. اكْتُبُوا بَعْدَ طَاهِرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى خُرَاسَانَ. فَكُتِبَتْ كُتُبُ طَاهِرٍ،
وَحُرِّقَتْ كُتُبُ إِسْحَاقَ، فَخَرَجَتْ الزَّنَجُ تَطِيرُ بِهَا، ثُمَّ لَقِينِي إِسْحَاقُ دَاخِلًا،
فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ لَا عَدِمْتَ عِدَاوَةَ رَجُلٍ أَزَالَ عَنْكَ وَلَايَةَ خُرَاسَانَ
بِكَلِمَةٍ.

[نفسه ص ٤٣٢].



(١) تقصد.

(٢) «صَنَعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفًا، كَمَنَعَ صُنْعًا بِالضَّمِّ، وَصَنَعَ بِهِ صَنِيعًا قَبِيحًا: فَعَلَهُ».

[القاموس المحيط: ٧٣٨ - ٧٣٩].

بين المعتصم وأبي تَمَام

لَمَّا أَنشَدَ أَبُو تَمَامٍ قَصِيدَتَهُ فِي الْمَعْتَصِمِ:

السَّيْفُ أَضْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ

قال له: لَقَدْ جَلَوْتَ^(١) عروسك يا أبا تَمَامٍ فَأَحْسَنْتَ جَلَاءَهَا. قال: يا أمير المؤمنين، والله لو كانت من الحُور العين لَكَانَ حُسْنُ إِصْغَانِكَ إِلَيْهَا مِنْ أَوْفَى مُهَوَّرَهَا.

[نفسه ص ٤٣٢].

بين المهدي وأبي عبيدالله

كتب أبو عبيدالله إلى المهدي بعد عزله إِيَّاهُ عَنِ الدَّوَاوِينِ: لَمْ يُنْكَرْ أمير المؤمنين حَالِي فِي قُرْبِ الْمُؤَانَسَةِ وَخُصُوصِ الْخُلُطَةِ، وَحَالِي عِنْدَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي قِيَامِي بِوَأَجِبِ خِدْمَتِهِ، الَّتِي أَدْنَتْنِي مِنْ نِعْمَتِهِ، فَلَمْ أُبَدَّلْ - أَعَزَّ اللَّهُ أمير المؤمنين - حَالِ التَّبْعِيدِ، وَيَقْرَبُ فِي مَحَلِّ الْإِقْصَاءِ، وَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَنِّي فِيمَا قُلْتُ إِلَّا مَا عِلْمُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ رَأَى أَكْرَمَهُ اللَّهُ أَنْ يُعَارِضَ قَوْلِي بِعِلْمِهِ بَدْءًا وَعَاقِبَةً فَعَلَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ شَهِدَ بِتَصَدِيقِهِ قَلْبَهُ، فَقَالَ: ظَلَمْنَا أَبَا عُبَيْدِ اللَّهِ، فِيرَدَ إِلَى حَالِهِ، وَيَعْلَمُ مَا تَجَدَّدَ مِنْ حَسَنِ رَأْيِي فِيهِ.

[نفسه ص ٤٤٠].

(١) «جَلَا الْعُرُوسَ عَلَى بَعْلِهَا جَلْوَةً، وَيُثَلَّثُ، وَجَلَاءً، كَكِتَابٍ، وَاجْتَلَاءَهَا: عَرَضَهَا عَلَيْهَا مَجْلُوءَةً».

[القاموس المحيط: ١٢٧١].

بين المأمون والفضل بن ربيع

لَمَّا أَمَرَ المَأْمُونُ أَنْ يُحْجَبَ عَنْهُ الْفَضْلُ لِسَبَبٍ تَأَلَّمَ قَلْبُهُ مِنْهُ كَتَبَ إِلَيْهِ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَمْ يُنْسِنِي التَّقَرُّيبَ حَالِي أَيَّامَ التَّبْعِيدِ، وَلَا أَغْفَلْتَنِي الْمُؤَانَسَةَ
عَنْ شُكْرِ الْإِبْتِدَاءِ، فَعَلَى أَيِّ الْحَالِينَ أَبْعَدَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَلْحَقْنِي دَمُ
التَّقْصِيرِ فِي وَاجِبِ خِدْمَتِهِ؟ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْدَلُ شُهُودِي عَلَى الصَّدَقِ فِيمَا
وَصَفْتِ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا يَكْتُمُ شَهَادَتِي فَعَلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

[نفسه ص ٤٤٠].



بين الإسكندر ودارا بن دارا

لَمَّا ظَفَرَ الْإِسْكَانْدَرُ بِدَارَا بْنِ دَارَا قَالَ لَهُ: بِمَ اجْتَرَأَ عَلَيْكَ صَاحِبَ
شُرْطَتِكَ؟ قَالَ: بِتَرْكِ تَرْهِيْبِهِ وَقَتِ إِسَاءَتِهِ وَتَفْرِيطِهِ، وَإِعْطَائِهِ وَقَتِ الْإِحْسَانِ
الْيَسِيرِ مِنْ فَعْلِهِ نَهَايَةَ رَغْبَتِهِ.

فَقَالَ الْإِسْكَانْدَرُ: نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى اسْتِصْلَاحِ الْقُلُوبِ الْمَوْغَرَةِ التَّرْغِيبِ
بِالْأَمْوَالِ، وَأَصْلَحَ مِنْهُ عَاجِلًا التَّرْهِيْبَ وَقَتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

[نفسه ص ٦٤٠].



حكيم يصف أحزم الملوك

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ: خَرَجَ بَعْضُ مُلُوكِ الْفَرَسِ مَتَنَزِّهًا، فَلَقِيَ بَعْضَ
الْحُكَمَاءِ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَحْزَمِ الْمُلُوكِ، فَقَالَ: مِنْ مُلِكٍ جَدَّ هَزَلِهِ، وَقَهَرَ لُبُّهُ
هَوَاهُ، وَأَعْرَبَ لِسَانَهُ عَنْ ضَمِيرِهِ، وَلَمْ يَخْدَعْهُ رِضَا عَنْ سَخَطِهِ، وَلَا غَضِبَهُ
عَنْ صَدَقِهِ. فَقَالَ الْمَلِكُ: لَا، بَلِ أَحْزَمُ الْمُلُوكِ مَنْ إِذَا جَاعَ أَكَلَ، وَإِذَا
عَطَشَ شَرِبَ، وَإِذَا تَعَبَ اسْتَرَحَّ. فَقَالَ الْحَكِيمُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ أَجَدْتَ
الْفُطْنَةَ. هَذَا الْعِلْمُ مُسْتَفَادٌ أَمْ غَرِيزِي؟ قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا مَعْلَمٌ مِنْ حُكَمَاءِ

الهند، وكان هذا نقش خاتمه. قال: فهل علّمك غير هذا؟ قال: ومن أين يؤخذ مثل هذا عند رجل واحد؟ ثم قال له الملك: علّمني من حكمتك أيّها الحكيم. قال: نعم، احفظ عني ثلاث كلمات. قال: ما هُنَّ؟ قال: صقلك السّيف ليس له جَوهَر مِن سِنِّهِ^(١) خطأ، وصَبَّك الحَبّ في الأرض السَّبْخَةَ^(٢) ترجو نباته جَهْل، وحملك المسنّ على الرّياضة عناء.

قال أبو تَمّام الطّائِي:

وَالسَّيْفُ مَا لَمْ يُلَفَّ فِيهِ صَيَقْلٌ^(٣) مِنْ سِنِّهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِصِقَالٍ

وقيل لبعض الحكماء: ما الدّليل النّاصح؟ قال: غريزة الطّبع. قيل: ما القائد المُشفق؟ قال: حسن المنطق. قيل: فما العناء المعني؟ قال: تطيعك ما لا طبع له.

[نفسه ص ٦٤٠].



أنوشروان يبين سياسة الدّولة

كان أنوشروان يقول: الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات: طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بالعطف واللين والإحسان، وطبقة من خاصة الأشرار تُسوسهم بِالغلظة والعنف والشّدّة، وطبقة من العامّة تسوسهم بِاللين والشّدّة، لئلا تُخرجهم الشّدّة، ولا يُطرهم اللين.

[نفسه ص ٦٤٠].

(١) «السَّنْحُ، بالكسر: الأصل، ومن السَّنِّ: مَنَّبَتُهُ، ومن الحُمَى: سَوَّرَتُهَا».

[القاموس المحيط: ٢٥٣].

(٢) «السَّبْخَةُ، محرّكة، ومُسَكَّنَة: أرض ذات نَزْ ومِلْح، الجمع: سِبَاخٌ».

[نفسه ص ٢٥٢].

(٣) «الصَّيْقَلُ: شَعَاذُ السُّيُوفِ وَجَلَاؤُهَا، الجمع: صَيَاقِلُ وصَيَاقِلَةٌ».

[القاموس المحيط: ١٠٢٢].

من كلام بلغاء أهل العصر في ذكر السلطان

أبو القاسم الصّاحب: مرضاة السلطان، لا تغلو بشيء من الأثمان، ولا ببذل الروح والجنان. تهيب السلطان فرض وكيد، وحثم على من ألقى السمع وهو شهيد.

للصّابي: الملك أحقّ باصطفاء رجاله منه باصطفاء أمواله، لأنّه مع اتّساع الأمر وجلالة القدر لا يكتفي بالوحدة، ولا يستغني عن الكثرة، ومثله في ذلك مثل المسافر في الطريق البعيد الذي يجب أن تكون عنايته بفرسه المجنوب^(١)، كعنايته بفرسه المركوب.

فصل للصّابي: الملك بمن غلط من أتباعه فاتعظ أشدّ انتفاعاً منه بمن لم يغلط ولم يتعظ، فالأول كالقارح^(٢) الذي أدبته الغرّة، وأصلحته الفدامة^(٣)، والثاني كالجدّع^(٤) المتهوّك^(٥) الذي هو راكب للغرّة وراكن إلى السّلامة.

وقيل: إنّ العظم إذا جبر من كسره عاد صاحبه أشدّ بطشاً وأقوى أيداً^(٦).

(١) «جَنَّبَهُ جَنْبًا، محرّكة، ومَجْنَبًا: قاذة إلى جنبه، فهو جَنِيبٌ ومَجْنُوبٌ ومُجَنَّبٌ، وخِيلَ جَنَائِبٌ وجَنَّبٌ».

[القاموس المحيط: ٦٩].

(٢) «القَارِحُ من ذي الحافر: بمنزلة البازل من الإبل، الجمع: قَوَارِحٌ وقُرُوحٌ».

[نفسه ص ٢٣٥].

(٣) «الْفَدْمُ: العَيْي عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم، والغليظ الأحق الجافي، الجمع: فِدَامٌ، وهي: بهاء، فَدَمٌ، ككَرَمٍ، فَدَامَةٌ وفُدُومَةٌ».

[القاموس المحيط: ١١٤٤].

(٤) «الْجَدْعُ، محرّكة: قَبْلَ الثَّني، وهي بهاء، اسم له في رَمَنٍ وليست بِسَنٍ تنبت أو تسقط، والشاب الحدّث، الجمع: جِذَاعٌ وجُدَعَانٌ، بالضم».

[نفسه ص ٧٠٨].

(٥) «الْمُتَهَوِّكُ: الْمُتَحَيِّرُ، كَالْهَوَاكِ».

[نفسه ص ٩٥٨].

(٦) «آدٌ يَبِيدُ أَيْدًا: اشْتَدَّ، وَقَوِيَ. وَالْآدُ: الصُّلْبُ، والقُوّة، كالأيد».

[القاموس المحيط: ٢٦٦].

أبو بكر الخوارزمي

لا صَغير مع الولاية والعمالة، كما لا كبير مع العُطلة والبَطالة، وإنَّما الولاية أنثى تصغر وتكبر بواليتها، ومَطيَّة^(١) تحسن وتقبح بممتطيها، والصُّدر لمن يليه، والدَّست لمن جَلَس فيه، والأعمال بِالْعَمَال، كما أَنَّ النِّساء بِالرِّجَال.



فضائل عبدالملك بن مروان

قال مالك بن عمارة اللُّخمي: كُنتُ أَجالِس في ظلِّ الكعبة أيامَ الموسمِ عبدالملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزُّبير، وكُنَّا نَخوضُ في الفقه مَرَّةً، وفي الذِّكر مَرَّةً، وفي أشعار العرب وآثار النَّاس مَرَّةً، فكنت لا أجد عند أحد منهم ما أجده عند عبدالملك بن مروان من الاتِّساع في المعرفة والتَّصَرُّف في فُنون العلم والفصاحة والبلاغة، وحُسن استماعه إذا حَدَّث، وحلاوة لفظه إذا حَدَّث، فخلوتُ معه ذات ليلة فقلت: والله إنِّي لمسرور بك لما أشاهده من كثرة تصرِّفك وحُسن حديثك، وإقبالك على جليسك، فقال: إِنَّكَ إِنْ تَعِشَ قَلِيلًا فسترى العُيون طامِحَةً^(٢) إلَيَّ والأعناق قاعدة نحوي، فلا عليك أَنْ تُعْمَلَ^(٣) إلى ركابك.

فلَمَّا أَفْضَتْ^(٤) إليه الخلافة وشَخَّصَتْ^(٥) أريده، فوافيته يوم جُمعة وهو

(١) «مَطَا: جَدَّ في السَّيرِ، وأسْرَعَ... والمَطيَّةُ: الدَّابَّةُ تَمْطُو في سَيرها الجمع: مَطَايَا ومَطيٌّ».

[نفسه ص ١٣٣٥].

(٢) «طَمَحَ بَصَرُهُ إِلَيْهِ، كَمَنَعَ: ارتفع، وأَظْمَحَ بَصَرُهُ: رفعه».

[القاموس المحيط: ٢٣٢].

(٣) «أَعْمَلَ رَأْيَهُ وآلَتُهُ، واستعمله: عَمِلَ بِهِ».

[نفسه ص ١٠٣٦].

(٤) آلت إليه.

(٥) «شَخَّصَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ: ذَهَبَ، وَسَارَ فِي ارْتِفَاعٍ».

[القاموس المحيط: ٦٢١].

يخطب الناس، فتصدّيت له، فلما وقعت عينه عليّ بَسَرَ^(١) في وجهي، وأعرض عني فقلت: لم يُثَبِّتني معرفة ولو عَرَفَنِي ما أظهر نُكْرَةً. لكنني لم أبرح مكاني حتّى قضيت الصلاة ودخل، فلم ألبث أن خرج الحاجب إليّ فقال: مالك بن عمارة، فقامت، فأخذ بيدي وأدخلني عليه، فلما رأيته مدّ يده إليّ وقال: إنك تراءيت لي في موضع لم يَجْزُ فيه إلّا ما رأيت من الإعراض والانقباض، فمرحباً وأهلاً وسهلاً، كيف كنت بعدنا؟ وكيف كان مسيرك؟ قلت: بخير، وعلى ما يحبّه أمير المؤمنين. قال: أتذكر ما كنت قلت لك؟ قلت: نعم، وهو الذي أعملني إليك، فقال: والله ما هو بميراث ادّعيناه ولا أثر وعيناه، ولكني أخبرك عن نفسي خِصَالاً سَمِتَ بِهَا نَفْسِي إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَرَى، مَا لَأَحْيَتْ^(٢) ذَا وَدٍّ^(٣) وَلَا ذَا قَرَابَةٍ قَطُّ، وَلَا شَمِثٌ بِمُصِيبَةٍ عَدُوٍّ قَطُّ، وَلَا أَعْرَضْتُ عَنْ مُحَدِّثٍ حَتَّى يَنْتَهِي، وَلَا قَصَدْتُ كَبِيرَةً مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ مُتْلِذِّدًا بِهَا وَوَاتِبًا عَلَيْهَا، وَكُنْتُ مِنْ قَرِيشٍ فِي بَيْتِهَا، وَمِنْ بَيْتِهَا فِي وَسْطِهَا، فَكُنْتُ أَمْلُ أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ مِنِّي، وَقَدْ فَعَلَ، يَا غُلَامُ بَوَّأَهُ^(٤) مَنْزِلًا مِنَ الدَّارِ. فَأَخَذَ الْغُلَامُ بِيَدِي وَقَالَ: انْطَلِقْ إِلَى رَحْلِكَ، فَكُنْتُ فِي أَخْفَضِ^(٥) حَالٍ، وَأَنْعَمَ بَالٍ، وَكَانَ يَسْمَعُ كَلَامِي وَأَسْمَعُ كَلَامَهُ، فَإِذَا حَضَرَ عَشَاؤُهُ أَوْ عَدَاؤُهُ أَتَانِي الْغُلَامُ وَقَالَ: إِنْ شِئْتَ صِرْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ جَالِسٌ، فَأَمْشِي بِلا حِذَاءٍ وَلَا رِدَاءٍ فَيَرْفَعُ مَجْلِسِي، وَيُقْبَلُ عَلَيَّ مُحَادِّثِي، وَيَسْأَلُنِي عَنِ الْعِرَاقِ مَرَّةً، وَعَنِ الْحِجَازِ مَرَّةً، حَتَّى مَضَتْ لِي عَشْرُونَ لَيْلَةً. فَتَغَدَّيْتُ

(١) «بَسَرَ: عَبَسَ، وَقَهَرَ».

[نفسه ص ٣٤٩].

(٢) «لَحَاهُ يَلْخُوهُ: شَتَّمَهُ... وَلَحَيْتُ فُلَانًا أَلْحَاهُ: لُتَّمَهُ، فَهُوَ مَلْجِيٌّ».

[القاموس المحيط: ١٣٣٠].

(٣) «الْوُدُّ، وَالرِّدَاءُ: الْحُبُّ، وَيَتْلُكُنَّ».

[نفسه ص ٣٢٥].

(٤) «بَوَّأَهُ مَنْزِلًا، وَفِيهِ: أَنْزَلَهُ، كَأَبْنَاءَهُ، وَالْأَسْمُ: الْبَيْتَةُ، بِالْكَسْرِ».

[القاموس المحيط: ٣٤].

(٥) «الْخَفْضُ: الدَّعَةُ، وَعَيْشٌ خَافِضٌ، وَقَدْ خَفَضَ، كَكَرَّمْ».

[نفسه ص ٦٤١].

عنده يوماً، فلما تفرّق الناس نهضت للقيام، فقال: على رسلك^(١) أيها الرجل، أيّ الأمرين أحب إليك: المقام عندنا، ولك النصف^(٢) في المعاشرة والمجالسة مع المواساة، أم الشخوص^(٣) ولك الجباء^(٤) والكرامة؟ فقلت: فارقت أهلي وولدي على أن أزور أمير المؤمنين، فإن أمرني اخترت فناءه على الأهل والولد، قال: بل أرى لك الرجوع إليهم، فإنهم متطلعون إلى رؤيتك، فتجدد بهم عهداً ويجددون بك مثله، والخيار في زيارتنا والمقام فيهم إليك، وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار، وكسوناك وحملناك، أتراني ملأت يدك أبا نصر؟ قلت: يا أمير المؤمنين، أراك ذاكراً لما رويت عن نفسك، قال: أجل، ولا خير فيمن ينسى إذا وعد، ودّع إذا شئت صحبتك السلامة.

[«الإمتاع والمؤانسة» تأليف أبي حيان التوحيدي اعتنى به وعلّق عليه محمد الفاضلي ص ٢٠٤ - ٢٠٥].



كسرى ورجل من الدهاقين

قال المدائني: قبض كِسْرَى أرضاً لرجل من الدهاقين^(٥)، وأقطعها

(١) «الرسل: الرفق والتؤدة، كالرسلّة، والترسل».

[القاموس المحيط: ١٠٠٥].

(٢) «الإنصاف: العذل، والاسم: النصف والنصفّة، محرّكتين».

[القاموس المحيط: ٨٥٦].

(٣) الدّهَابُ إليه.

(٤) «حَبَاً فُلَاناً: أعطاه بلا جزاء ولا منّ، أو عامّ، والاسم: الجِباء، ككتاب، والخبوة، مثلثة».

[نفسه ص ١٢٧٢].

(٥) «الدّهَقَانُ، بالكسر والضّم: القويّ على التصرّف مع جدّة، والتاجر، وزعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم، معرّب الجمع: دَهَاقِنَة ودَهَاقِين، والاسم: الدّهَقَنَة، وهي: بهاء، وقد تدّهقن».

[القاموس المحيط: ١١٩٨].

البَحْرَجَان^(١)، فَقَدِمَ صَاحِبُ الْأَرْضِ مُتَظَلِّمًا، فَأَقَامَ بَبَابَ كِسْرَى، فَرَكِبَ كِسْرَى يَوْمًا، فَقَعَدَ لَهُ الرَّجُلُ عَلَى طَرِيقِهِ يُكَلِّمُهُ، فَلَمَّا حَازَاهُ شَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى صَكَّ بِصَدْرِهِ رُكْبَتَهُ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ، فَوَقَفَ لَهُ كِسْرَى وَكَلَّمَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَرْضُكَ كَانَتْ لِأَجْدَادِي وَرَثَتُهَا مِنْ آبَائِي قَبِضْتُهَا فَأَقْطَعْتُهَا الْبَحْرَجَانُ؟ ارْجُفْهَا عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى: مُذْ كَمَ هَذِهِ الْأَرْضُ فِي أَيْدِي أَجْدَادِكَ وَأَبَائِكَ؟ فَذَكَرَ دَهْرًا طَوِيلًا، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى: وَاللَّهِ لَقَدْ أَكَلْتُمُوهَا دَهْرًا طَوِيلًا، فَمَا عَلَيْكَ فِي أَنْ تَدْعَهَا فِي يَدِ الْبَحْرَجَانِ عَارِيَّةً^(٢) سُنِّيَّاتٍ^(٣) يَسْتَمْتَعُ بِهَا ثُمَّ يَرْدُّهَا عَلَيْكَ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ عَلِمْتُ حُسْنَ بَلَاءٍ بِهَرَامِ جُورٍ فِي طَاعَتِكُمْ، أَهْلَ الْبَيْتِ، وَمَا كِفَاكُمُ مِنْ حَدِّ عَدُوِّكُمْ، وَدَفَعَهُ عَنْكُمْ كَيْدَ التَّرْكِ وَحُسْنَ بَلَاءٍ أَبَائِهِ قَبْلَ ذَلِكَ فِي طَاعَةِ آبَائِكَ، فَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَوْ أَعْرَثَهُ مُلْكُكَ سُنِّيَّاتٍ يَسْتَمْتَعُ بِهِ ثُمَّ يَرْدُّهُ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ كِسْرَى: يَا بَحْرَجَانُ، أَنْتَ رَمَيْتَنِي بِهَذَا السَّهْمِ، أَزْدُدُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ، فَرَدَّهَا.

[نفسه ص ٣٩٩].



بين بشار والمهدي

مدح بشار المهدي فلم يُعْطِهِ شَيْئًا، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تُجِزُّ فِي مَدْحِهِ. فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَقَدْ مَدَحْتَهُ بِشَعْرِ لَوْ قُلْتُ مِثْلَهُ فِي الدَّهْرِ لَمَّا خِيفَ صَرْفُهُ^(٤) عَلَى حُرٍّ، وَلَكِنِّي أَكْذَبُ فِي الْعَمَلِ، فَأَكْذِبُ فِي الْأَمَلِ.

(١) الْبَحْرَجَانُ: كَلِمَتُهُ فَارْسِيَّةٌ مَعْنَاهَا الثُّوتِي، أَوْ رَئِيسُ الْمَلَاخِينِ.

(٢) «الْعَارِيَّةُ»، مُشَدَّدَةٌ وَقَدْ تُخَفَّفُ، وَالْعَارِزَةُ مَا تَدَاوَلُوهُ بَيْنَهُمْ، الْجَمْعُ: عَوَارِيٌّ، مُشَدَّدَةٌ وَمُخَفَّفَةٌ. أَعَارَهُ الشَّيْءَ وَتَعَوَّرُوهُ وَتَعَاوَرُوهُ: تَدَاوَلُوهُ.

[القاموس المحيط: ٤٤٦].

(٣) «السَّنَةُ: الْعَامُ، الْجَمْعُ: سِنُونَ، وَسَنَوَاتٌ وَسَنَهَاتٌ».

[نفسه ص ١٢٩٧].

(٤) «الصَّرْفُ مِنَ الدَّهْرِ: حِذْثَانُهُ، وَنَوَائِبُهُ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَهُمَا: صَرْفَانُ، وَيُكْسَرُ».

[القاموس المحيط: ٨٢٧].

نظمه الناظم فقال:

وَلِي فِي أَحْمَدٍ أَمَلٌ بَعِيدٌ وَمَذْخٌ حِينَ أَنْشِدَهُ طَرِيفُ
مَدَائِحُ لَوْ مَدَحْتُ بِهَا اللَّيَالِي لَمَا دَارَتْ عَلَيَّ لَهَا صُرُوفُ
[«زهر الآداب» ج ٢/٦٨٨].

خالد بن صفوان يصف الشعراء لهشام بن عبد الملك

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان: صِفْ لِي جَرِيرًا وَالفَرَزْدَقَ
وَالْأَخْطَلَ، فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَّا أَعْظَمُهُمْ فَخَرًّا، وَأَبْعَدُهُمْ ذِكْرًا،
وَأَحْسَنُهُمْ عُذْرًا، وَأَسِيرُهُمْ مَثَلًا، وَأَقْلَهُمْ غَزَلًا، وَأَحْلَاهُمْ عِلَلًا، الْبَحْرُ
الطَّامِي^(١) إِذَا زَخَرَ^(٢)، وَالْحَامِي إِذَا ذَعَرَ^(٣)، وَالسَّامِي إِذَا خَطَرَ^(٤)، الَّذِي إِذَا
هَدَرَ جَالَ، وَإِذَا خَطَرَ صَالَ، الْفَصِيحُ اللَّسَانُ، الطَّوِيلُ الْعَنَانُ، فَالفَرَزْدَقُ.
وَأَمَّا أَحْسَنُهُمْ نَعْتًا، وَأَمْدَحُهُمْ بَيْتًا، وَأَقْلَهُمْ قَوْتًا^(٥)، الَّذِي إِنْ هَجَا
وَضَعُ، وَإِنْ مَدَحَ رَفَعَ فَالْأَخْطَلُ.

(١) «طَمَى الْمَاءُ يَطْمِي طُمِيًا: عَلَا».

[القاموس المحيط: ١٣٠٧].

(٢) «زَخَرَ الْبَحْرُ، كَمَنْعَ، زَخْرًا وَزُخُورًا وَتَزَخَّرَ: طَمَأَ وَتَمَلَأَ، وَالْوَادِي: مَدَّ جِدًّا،
وَارْتَفَعَ».

[نفسه ص ٣٩٩].

(٣) «الدُّعْرُ، بِالضَّمِّ: الْخَوْفُ، دُعِرَ، كَعُنِيَ، فَهُوَ مَذْعُورٌ، وَبِالْفَتْحِ: التَّخْوِيفُ، كَالْإِذْغَارِ،
وَالْفِعْلُ كَجَعَلَ».

[نفسه ص ٣٩٦].

(٤) «خَطَرَ الرَّجُلُ بِسَيْفِهِ وَرُمَحِهِ: رَفَعَهُ مَرَّةً وَوَضَعَهُ أُخْرَى، وَفِي مِشْيَتِهِ: رَفَعَ يَدَيْهِ
وَوَضَعَهُمَا خَطْرَانًا فِيهِمَا».

[القاموس المحيط: ٣٨٦].

(٥) «فَاتَهُ الْأَمْرُ قَوْتًا وَقَوَاتًا: ذَهَبَ عَنْهُ، كَأَفَاتَتْهُ، وَأَفَاتَتْهُ إِيَّاهُ غَيْرُهُ».

[نفسه ص ١٥٧].

وأما أغزهرهم بحرًا، وأرقهم شِعْرًا، وأكثرهم ذكرًا، الأَعْرُ^(١) الأَبْلَقُ^(٢)،
الذي إن طَلَبَ سبق، وإن طُلِبَ لم يُلْحَق، فَجَرِير. وكلهم ذَكِيُّ الفُؤاد،
رفيع العماد، واري^(٣) الزناد^(٤).

قال مسلمة بن عبد الملك، وكان حَاضِرًا: ما سمعنا بِمِثْلِكَ يا بن
صفوان في الأولين ولا في الآخرين، أشهد أنك أحسنهم وصفًا، وألينهم
عِظْفًا^(٥)، وأخفهم مقالًا، وأكرمهم فعلاً، فقال خالد: أتمَّ الله عليك نِعْمَه،
وأجزل لك قِسْمَه. أنت والله أيها الأمير - ما علمت - كريمُ الغِراس^(٦)،
عالم بالناس، جواد في المَحَلِ^(٧)، بَسَام عند البذل، حلِيم عند الطَّيْش، في
الدُّرَّة مِن قُرَيْش، من أشرف عبد شمس، ويومك خير من الأمس.

فضحك هشام وقال: ما رأيت مثلك يا بن صفوان لتخلَّصك في مدح
هؤلاء ووصفهم، حتَّى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم.
[نفسه ص ٦٨٨ - ٦٨٩].

(١) «الْعُرَّةُ وَالْعُرْغَرَةُ، بِضَمِّهِمَا: بَيَاضٌ فِي الْجَبْهَةِ، وَقَرَسٌ أَعْرُ وَغَرَاءُ».

[القاموس المحيط: ٤٤٩].

(٢) «الْبَلَقُ، مُحَرَّكَةٌ: سَوَادٌ وَبَيَاضٌ، كَالْبُلْبُقَةِ، بِالضَّمِّ، وَارْتِفَاعُ التَّحْجِيلِ إِلَى الْفَخْذَيْنِ.
وَقَعْدٌ بَلَقٌ، كَفَرَحٍ وَكُرَمٍ، بَلَقًا، وَابْلَقُ، فَهُوَ أَبْلَقُ، وَهِيَ بَلَقَاءُ».

[نفسه ص ٨٦٩].

(٣) «وَرَى الزُّنْدُ، كَوَعَى وَوَلِي، وَزِيًا وَوَرِيًا وَرِيَّةً، فَهُوَ وَارٍ وَوَرِيٌّ: خَرَجَتْ نَارُهُ. وَأَوْرِيته
وَوَرِيَّتُهُ وَاسْتَوْرِيَّتُهُ».

[القاموس المحيط: ١٣٤٢].

(٤) «الزُّنْدُ: الْعُودُ الَّذِي يُفَدِّحُ بِهِ النَّارَ، وَالسُّفْلَى: زُنْدَةٌ، وَلَا يُقَالُ: زُنْدَتَانِ، الْجَمْعُ: زِنَادٌ
وَأَزْنَدٌ وَأَزْنَادٌ».

[نفسه ص ٢٨٥].

(٥) «عِظْفًا كُلُّ شَيْءٍ، بِالْكَسْرِ: جَانِبَاهُ».

[نفسه ص ٨٣٨].

(٦) «غَرَسَ الشَّجَرَ يَغْرِسُهُ: أَثْبَتَهُ فِي الْأَرْضِ، كَأَغْرَسَهُ وَالْغَرَسُ: الْمَغْرُوسُ الْجَمْعُ: أَغْرَاسٌ
وِغْرَاسٌ».

[القاموس المحيط: ٥٦١].

(٧) «الْمَحْلُ: الشُّدَّةُ، وَالْجَذْبُ، وَانْقِطَاعُ الْمَطَرِ».

[نفسه ص ١٠٥٦].

بين العجاج وعبدالملك بن مروان

دخل العَجَّاج على عبدالملك بن مروان فقال له: بلغني أنك لا تحسن الهجاء^(١)، فقال: يا أمير المؤمنين، مَنْ قَدَّرَ على تَشْيِيد^(٢) الأبنية، أمكنه خَرَاب الأُخْبِيَّة^(٣)، قال: ما يمنعك من ذلك؟ قال: إِنَّ لَنَا عِزًّا يَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نُظْلَمَ، وَجِلْمًا يَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نَظْلَمَ، قال: لكلماتك أحسن من شعرك! فَمَا الْعِزُّ الَّذِي يَمْنَعُكَ أَنْ تَظْلَمَ؟ قال: الأدب الْبَارِعُ، والفهم النَّاصِعُ^(٤). قال: فَمَا الْجِلْمُ الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ أَنْ تَظْلَمَ؟ قال: الأدب الْمُسْتَطَرَفُ^(٥)، وَالطَّيْعُ التَّالِدُ^(٦)، قال: لقد أصبحت حكيماً. قال: وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ وَأَنَا نَجِيٌّ^(٧) أمير المؤمنين؟

قال أبو إسحاق: وليس كما قال العَجَّاج، بل لكثير من الشعراء طباع

(١) «هَجَّاهُ هَجْوَاً وَهَجَّاءَ: شَتَمَهُ بِالشَّعْرِ. وَهَاجَتْهُ: هَجَّوَتْهُ وَهَجَّانِي».

[القاموس المحيط: ١٣٤٥].

(٢) «شَادَ الْحَائِطُ يَشِيدُهُ: طَلَاهُ بِالشَّيْدِ، وَهُوَ مَا طُلِيَ بِهِ حَائِطٌ مِنْ جِصٍّ وَنَحْوِهِ».

[القاموس المحيط: ٢٩٢].

(٣) «الْخِبَاءُ، كَكَسَاءٍ، مِنَ الْأَبْنِيَةِ: يَكُونُ مِنْ وَبَرٍ أَوْ صُوفٍ أَوْ شَعْرِ. وَأُخْبِيَّتُ خِبَاءٌ وَتَخْبِيَّتُهُ وَخَبِيَّتُهُ: عَمَلَتُهُ، وَنَصَبَتُهُ».

[نفسه ص ١٢٧٨].

(٤) «النَّاصِعُ: الْخَالِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: نَصَعَ، كَمَنْعَ نَصَاعَةً وَنُصُوعاً: خَلَصَ، وَالْأَمْرُ نُصُوعاً: وَضَحَ، وَلَوْنُهُ: اشْتَدَّ بَيَاضُهُ».

[القاموس المحيط: ٧٦٧].

(٥) «اسْتَطْرَفَهُ: عَدَّهُ طَرِيفاً».

[نفسه ص ٨٣٢].

(٦) «التَّالِدُ، كصاحب، والتَّلْدُ، بالفتح والضَّمِّ والتَّحْرِيك، والتَّلَادُ والتَّلِيدُ والإِتْلَادُ والمُتْلَدُ: مَا وُلِدَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِكَ أَوْ نَتَجَ».

[نفسه ص ٢٧٠].

(٧) «نَجَاهُ نَجْوَاً وَنَجْوَى: سَارَهُ، وَنَكَّهَهُ. وَالتَّجْوَى: السَّرُّ، كَالنَّجْيِ، وَالْمُسَارُوْنُ، اسْمٌ وَمَصْدَرٌ. وَنَاجَاهُ مُنَاجَاةً وَنِجَاءً: سَارَهُ... وَكَغْنِيٍّ، مَنْ تُسَارُهُ الْجَمْعُ: أَنْجِيَّةٌ».

[القاموس المحيط: ١٣٣٧].

تَنبُو عن الهجاء كالطائي وأضرابه، وأصحاب المطبوع أقدر عليه من أهل إذ
كان الهجو كالنادر التي إذا جرت على سَجِيَّة قائلها، وقربت من يد
متناولها، وكان واسع العطن^(١)، كثير الفطن، قريب القلب من اللسان،
التهبت بنار الإحسان.

[نفسه ص ٦٨٩].



المعتصم ومحمد بن وهب الشاعر

اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث إليهم: من كان منكم يحسن أن
يقول مثل قول منصور الثمري في أمير المؤمنين الرشيد:

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَغْرُوفَ أَوْدِيَّةُ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ
إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ رَافِعُهُ وَمَنْ وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَضِعُ^(٢)
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تُخْلِفْ أَنْامِلُهُ أَوْ ضَاقَ أَمْرُ دَكْرَنَاهُ فَيَتَسِعُ

فليدخل، فقال محمد بن وهيب: فينا من يقول خيراً منه، وأنشد:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهِمْ شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
يَخْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِيَةٍ الْغَيْثُ وَاللَّيْثُ وَالصَّنْصَامَةُ^(٣) الذُّكْرُ

(١) «العطن، مُحَرَّكة: وَطْنُ الْإِبِلِ، وَمَبَرَكُهَا حَوْلَ الْحَوْضِ، وَمَزْبُضُ الْغَنَمِ حَوْلَ الْمَاءِ
الْجَمْعُ: أَعْطَانٌ، كَالْمَغْطَنِ الْجَمْعُ: مَعَاظِنُ. وَعَطْنٌ تَغْطِينًا: اتَّخَذَهُ».

[القاموس المحيط: ١٢١٦].

(٢) «فِي خَسْبِهِ ضَعْفٌ، وَيُكْسَرُ: انْحِطَاطٌ، وَلَوْمْ، وَخِسَّةٌ، وَقَدْ وَضِعَ، كَكُرْمٍ، ضَعْفٌ،
وَيُكْسَرُ، وَوَضَاعَةٌ وَاتَّضَعَ، وَوَضَعَهُ غَيْرُهُ وَوَضَعَهُ تَوْضِيعًا».

[القاموس المحيط: ٧٧٢].

(٣) «الصَّنْصَامُ: السِّيفُ لَا يَنْتَبِي، كَالصَّنْصَامَةِ».

[القاموس المحيط: ١١٣٠].

فأمر بإدخاله وأحسن صلته. أخذ معنى البيت الأقل من بيتي محمد بن وهيب وأبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي:

المُذْنَفَانِ^(١) مِنَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا قَلْبِي وَطَرْفُ بَابِلِي^(٢) أَخَوْرُ^(٣)
وَالْمُشْرِقَاتُ النَّيِّرَاتُ ثَلَاثَةٌ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَجَعْفَرُ

وبيت أبي القاسم الأول مأخوذ من قول ابن الرومي:

يَا عَلِيًّا جَعَلَ الْعِلَّ لَةً مِفْتَاحًا لِسُفْمِي
لَيْسَ فِي الْأَرْضِ عَالِيْلٌ غَيْرَ جَفْنَيْكَ وَجِسْمِي

... وأبيات منصور بن سلمة بن الزبرقان الثمري التي ذكرها المعتمد من قصيدة له وهي أحسن ما قيل في الشيب أولها:

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعٌ^(٤) إِذَا ذَكَرْتُ شَبَاباً لَيْسَ يُرْتَجَعُ
بَانَ الشَّبَابُ وَقَاتَنِي بِغُرَّتِهِ^(٥) خُطُوبُ^(٦) دَهْرٍ وَأَيَّامٌ لَهَا خُدَعُ

(١) «الدَّنْفُ، محرّكة: المرضُ المُلازم، ورجل وامرأة وقوم دَنَفٌ، مُحَرَّكة».

[القاموس المحيط: ٨١١].

(٢) البابلي: المنسوب إلى بابل، وهي بلد السحر، وهم يصفون عيون الغواني بِالْفُتُور. كما يصفونها بِأَنَّهَا تَفْعَلُ بِالْأَبَابِ مَا لَا يَفْعَلُ السَّحَر. (المحقق).

(٣) «الْحَوْرُ بِالتَّحْرِيكِ: أَنْ يَشْتَدَّ بَيَاضُ بَيَاضِ الْعَيْنِ وَسَوَادُ سَوَادِهَا، وَتَسْتَدِيرُ حَدَقَتُهَا، وَتَرْقُ جُفُونُهَا...».

[القاموس المحيط: ٣٨٠].

(٤) «الْجَزَعُ، محرّكة: نَقِيضُ الصَّبْرِ، وَقَدْ جَزَعَ، كَفَرِحَ، جَزَعًا وَجُزُوعًا، فَهُوَ جَازِعٌ وَجَزِعٌ، كَكَتَفَ وَرَجُلٌ وَصُبُورٌ وَغُرَابٌ».

[القاموس المحيط: ٧٠٩].

(٥) «الْغُرَّةُ مِنَ الْهَلَالِ: طَلْعَتُهُ، وَمَنْ الْمَتَاعُ: خِيَارُهُ، وَمَنْ الْقَوْمُ: شَرِيفُهُمْ».

[نفسه، ص ٤٥٠].

(٦) «الْخُطْبُ: الشَّأْنُ، وَالْأَمْرُ صَغُرَ أَوْ عَظُمَ، الْجَمْعُ: خُطُوبٌ».

[نفسه، ص ٨٠].

مَا كُنْتُ أَوْفِي شَبَابِي كُنْهَ^(١) غِرَّتْهُ
تَعَجَّبْتُ أَنْ رَأْتُ أَسْرَابَ^(٢) دَمَعْتِهِ
أَضْبَحْتُ لَمْ تَطْعِمِي نُكْلَ الشَّبَابِ وَلَمْ
لَا أَلْحِينَ فَتَاتِي غَيْرَ كَاذِبَةٍ
مَا وَاجَهَ الشُّيْبُ مِنْ عَيْبٍ وَإِنْ وَمِثْتُ^(٥)
إِنِّي لَمُغْتَرِفٌ مَا فِيَّ مِنْ أَرْبٍ^(٧)
قَدْ كَدْتُ تَقْضِي عَلَى فُوتِ الشَّبَابِ أَسَى

حَتَّى انْقَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ
فِي حَلْبَةِ الْحَدِّ أَجْرَاهَا حَشَى وَجَعُ
تَشَجَّى^(٣) بِغُصَّتِهِ^(٤) فَالْعُذْرُ لَا يَقَعُ
عَيْنَ الْكَذُوبِ فَمَا فِي وَدُكُم طَمَعُ
إِلَّا لَهَا نُبُوءَةٌ عَنْهُ وَمُرْتَدَعُ^(٦)
عِنْدَ الْحِسَانِ فَمَا لِلنَّفْسِ تَنَخُّدُ
لَوْلَا تَعَزُّيْكَ أَنَّ الْأَمْرَ مُنْقَطِعُ

وذكر أن الرشيد لما سمع هذا بكى، وقال: ما خير دنيا لا تخطر فيها
ببرد الشباب! وأنشد مُمَثِّلًا:

أَتَأْمُلُ رَجْعَةَ الدُّنْيَا سَفَاهَا
فَلَيْتَ الْبَاكِياتِ بِكُلِّ أَرْضٍ
وَقَدْ صَارَ الشَّبَابُ إِلَى ذَهَابٍ
جُمِعْنَا لَنَا فَنَحْنُ عَلَى الشَّبَابِ
[نفسه ص ٧٠٢ - ٧٠٤].

(١) «الْكُنْهَ، بِالضَّمِّ: جَوْهَرُ الشَّيْءِ، وَغَايَتُهُ، وَقَدْرُهُ، وَوَقْتُهُ، وَوَجْهُهُ».

[القاموس المحيط: ١٢٥٢].

(٢) «السَّرَابُ: الْمَائِيَّةُ، وَالطَّرِيقُ، وَالْوَجْهَةُ».

[نفسه ص ٩٦].

(٣) «شَجَّاهُ: حَزْنُهُ، وَطَرَبُهُ، كَأَشْجَاهُ فِيهِمَا، ضِدٌّ... وَأَشْجَاهُ: قَهْرُهُ، وَعَلْبُهُ، وَأَوْقَعَهُ فِي
حُزْنٍ».

[القاموس المحيط: ١٢٩٨].

(٤) «الْغُصَّةُ، بِالضَّمِّ: الشَّجَا، الْجَمْعُ: غُصَصٌ، وَمَا اغْتَرَضَ فِي الْحَلْقِ فَأَشْرَقَ».

[نفسه ص ٦٢٥].

(٥) «وَمِثَّةٌ، كَوَرِثَتُهُ، وَمَقَا وَمِثَّةٌ: أَحَبَّةٌ، فَهُوَ وَامِقٌ. وَتَوَمَّقَ: تَوَدَّدَ».

[القاموس المحيط: ٩٢٩].

(٦) «رَدَعَهُ عَنْهُ، كَمَنَعَهُ: كَفَّهُ وَرَدَّهُ، فَارْتَدَّعَ».

[نفسه ص ٧٢١].

(٧) «الْإَرْبُ، بِالْكَسْرِ: الْحَاجَةُ، كَالْإِزْبَةِ، بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ، وَالْأَرْبُ، مُحَرَّكَةً، وَالْمَأْرَبَةُ،
مَثْلَةُ الرِّاءِ».

[نفسه ص ٥٨].

بين هارون الرشيد وعبد الملك بن صالح

دعا الرَّشيد بعبد الملك بن صالح - وكان معتقلاً في حبسه - فلما مثل بين يديه التفت إليه، وكان يُحدّث يحيى بن خالد بن برمك وزيره، فقال مُتمثلاً:

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ^(١) مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ
ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الْمَلِكِ، كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى شُؤْبِهَا^(٢) قَدْ هَمَعُ^(٣)، وَإِلَى
عَارِضِهَا^(٤) قَدْ لَمَعَ، وَكَأَنِّي بِالْوَعِيدِ قَدْ أَوْرَى، بَلْ أَدْمَى^(٥)، فَأَبْرَزَ عَنْ
بَرَاكِجِ^(٦) بِلَا مَعَاصِمِ^(٧)، وَرَوْسِ بِلَا غَلَاصِمِ^(٨)، فَمَهَلًا بَنِي هَاشِمٍ، فَبِي

(١) «قولهم: مَنْ عَذِيرِي مِنْ فُلَانٍ، وَمَنْ يَعْذِرُنِي مِنْهُ أَيَّ مَنْ يُلُومُهُ عَلَى فِعْلِهِ وَيُنْجِي بِاللَّائِمَةِ عَلَيْهِ، وَيَعْذِرُنِي فِي أَمْرِهِ وَلَا يُلُومُنِي عَلَيْهِ. وقيل معناه من يقوم بعذري إذا جازيته بَصْنَعِي وَلَا يُلُومُنِي عَلَى مَا أَفْعَلُهُ بِهِ».

[المصباح المنير: ١٥١].

(٢) «الشُّؤْبُوبُ: الدُّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ، وَحَدُّ كُلِّ شَيْءٍ وَشِدَّةُ دَفْعِهِ».

[القاموس المحيط: ٩٩].

(٣) «هَمَعَتْ عَيْنُهُ، كَجَعَلَ وَنَصَرَ، هَمَعًا وَهُمُوعًا وَهَمَعَانًا وَتَهَمَعًا: أَسَالَتْ الدَّمْعُ».

[نفسه ص ٧٧٦].

(٤) «الْعَارِضُ: السَّحَابُ الْمُعْتَرِضُ فِي الْأَفْقِ».

[نفسه ص ٦٤٥].

(٥) «الدَّمُّ، معروف، دَمِي، كَرَضِي، دَمَى، وَأَذْمَيْتُهُ وَدَمَيْتُهُ».

[القاموس المحيط: ١٢٨٣].

(٦) «الْبُرْجُمَةُ، بِالضَّمِّ: الْمَفْصِلُ الظَّاهِرُ أَوِ الْبَاطِنُ مِنَ الْأَصَابِعِ، وَالْإِصْبَعُ الْوَسْطَى مِنْ كُلِّ طَائِرٍ، الْجَمْعُ: بَرَاكِجٌ، أَوْ هِيَ مَفَاصِلُ الْأَصَابِعِ كُلِّهَا».

[نفسه ص ١٠٧٩].

(٧) «الْمِعْصَمُ، كَمُنْبَرٍ: مَوْضِعُ السَّوَارِ، أَوِ الْيَدُ».

[نفسه ص ١١٣٨].

(٨) «الْفَلَصَمَةُ: اللَّحْمُ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالْعُنُقِ، أَوِ الْعُجْرَةُ عَلَى مُلْتَقَى اللَّهَاءِ وَالْمَرِيِّ، أَوْ رَأْسُ الْحُلُقُومِ بِشَوَارِبِهِ وَحَرْدَقَتِهِ».

[القاموس المحيط: ١١٤٣].

والله سَهْلَ لكم الوعر، وصفا لكم الكدر^(١)، وألقت إليكم الأمور أثناء أزمتها، فنذار لكم نذراً قبل حلول داهية خبوط باليد والرجل، فقال عبدالملك: أفذاً أتكلّم أم تؤاماً؟ قال: بل فذاً، قال: اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولّاك، واحفظه في رعاياك الذي استرعاك، ولا تجعل الكفر بموضع الشكر، والعقاب بموضع الثواب، فقد والله سهّلت لك الوعر، وجمعت على خوفك ورجائك الصدور، وشددت أواخي^(٢) ملكك بأوثق من ركني يللم، وكنت لك كما قال أخو بني جعفر بن كلاب - يعني ليبدأ -:

ومقام ضيق فرجته بلسان وبیان وجدل
لويقوم الفيل أو قياله زل عن مثل مقامي وزحل^(٣)
فأعاده إلى مجلسه، وقال: لقد نظرت إلى موضع السيف من عاتقه مراراً، فيمنعني عن قتله إبقائي على مثله.

[نفسه ص ٧١٤ - ٧١٥].



بين الرشيد وعبدالملك

سائر الرشيد عبدالملك، فقال له قائل: طأطىء من إشرافه، واشدّد من شكائمه^(٤)، وإلّا فسد عليك، فقال له الرشيد: ما يقول هذا؟ قال: حاسد نعمة،

(١) «كدر، مُثْلَةُ الدّال، كدازة وكدرأ، محرّكة، وكدوراً وكُدُورَة وكُدْرَة، بِضْمَهْن».

[نفسه ص ٤٦٨].

(٢) «الأخيّة، كَأَيَّة، وَيُسَدُّ وَيُخَفَّفُ: عُوْدٌ فِي حَائِط، أَوْ فِي حَبْل يُدْفَن طَرَفَاهُ فِي الْأَرْض، وَيَبْرُزُ طَرَفُهُ، كَالْحَلَقَةِ تُشَدُّ فِيهَا الدَّابَّةُ الْجَمْع: أَخَايَا وَأَوَاجِي».

[القاموس المحيط: ١٢٥٨].

(٣) «زَحَلَ عَنْ مَقَامِهِ، كَمَنَعَ: زَالَ، كَتَرَخَوْلَ».

[القاموس المحيط: ١٠٠٩].

(٤) «الشَّكِيمَةُ: الْأَثَقَةُ، وَالْإِنْصَارُ مِنَ الظُّلْم».

[القاموس المحيط: ١١٢٧].

ونافس رُتبة، أغضبه رضاك عني، وباعده قُربك مِنِّي، وأساءه إحسانه إليّ. فقال له الرّشيد: انخفض القوم وعلوتهم، فتوقّدت في قلوبهم جَمرة التأسّف. فقال عبدالمك: أضرّهما الله بالتّزيّد عندك! فقال الرّشيد: هذا لك وذلك لهم. [نفسه ص ٧١٨].



بين الرّشيد والحسن بن عمران

قال الرّشيد للحسن بن عمران وقد أدخل عليه يزسُف^(١) في قيوده: وليتك دِمَشق وهي جَنّة مُونقة^(٢) تحيط بها غُدر^(٣) كاللّجين^(٤)، فتكف على رياض كالزّرابي، وكانت بيوت أموال فما برح بها التّعدي، حتّى تركتها أجرد من الصّخر، وأوحش من القفر! فقال: يا أمير المؤمنين، ما قصدت لغير التّوفيق من جهته، ولكني وليت أقواماً ثَقُلَ على أعناقهم الحقّ، فتفرّغوا في ميدان التّعدي، ورأوا أنّ المراغمة بترك العمارة أوقع بإضرار السّلطان، وأنوه بالشّناعة، فلا جرّم أنّ موجدة^(٥) أمير المؤمنين قد أخذت لهم بالحظّ الأوفر من مَساءتي^(٦)! فقال

(١) «رَسَفَ يَزْسُفُ وَيَزْسِفُ رَسْفًا وَرَسْفَانًا: مَشَى مَشْيَ الْمُقَيَّدِ».

[القاموس المحيط: ٨١٣].

(٢) «شَيْءٌ أَيْقٌ، كَأَمِيرٍ: حَسَنٌ مُّعْجِبٌ، وَلَهُ أُنَاقَةٌ».

[نفسه ص ٨٦٥].

(٣) «الغُرْدُ، كَصُرْدٍ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْمَاءِ يُغَادِرُهَا السَّيْلُ، كَالْغَدِيرِ الْجَمْعُ: كَصُرْدٍ وَتُمْرَانٍ».

[القاموس المحيط: ٤٤٩].

(٤) «اللّجَيْنُ: الْفِضَّةُ».

[نفسه ص ١٢٣٠].

(٥) «وَجَدَ عَلَيْهِ يَجِدُ وَيَجِدُ وَجْدًا وَجْدَةً وَمَوْجِدَةً: غَضِبَ».

[القاموس المحيط: ٣٢٤].

(٦) «سَاءَهُ سَوَاءً وَسَوَاءً وَسَوَاءَةٌ وَسَوَائِيَّةٌ وَمَسَاءَةٌ وَمَسَائِيَّةٌ وَمَسَايَةٌ وَمَسَاءٌ وَمَسَائِيَّةٌ: فَعَلَ بِهِ مَا يُكْرَهُ فَاسْتَاءَ هُوَ. وَالسُّوءُ، بِالضَّمِّ: الْاسْمُ مِنْهُ».

[القاموس المحيط: ٤٣].

عبدالله بن مالك: هذا أجزل كلام سُمِعَ لخائف، وهذا ما كُنَّا نَسْمعه عن الحكماء: «أفضل الأشياء بديهة أَمِنَ وردت في مقام خوف».

[نفسه ص ٧١٩].



قطر الندى والخليفة المعتضد

لَمَّا حُمِلَت قطرُ الندى بنت خُمَارويه بن أحمد بن طُولون إلى المعتضد كَتَبَ معها أبوها إليه يذكِّره بِحُرمة سلفها بِسلفه، ويذكر ما تَرَدَّ عليه من أُبَّهة^(١) الخِلافة، وَجَلالة الخَليفة، ويسأل إيناسها وبَسَطها، فبلغت من قلب المعتضد لَمَّا رُفِّت إليه مبلغاً عظيماً، وسُرَّ بِها غاية السُّرور، وأمر الوَزيز أبا القاسم عُبَيْدالله بن سُلَيْمان بن وهب بِالجواب عن الكتاب، فأراد أن يكتبه بِخطه، فَسأله أبو الحسين بن ثَوابة أن يُؤثِّره بِذلك ففعل، وغاب أياماً وأتى بِنسخة يقول في فَصل منها: وَأَمَّا الْوَدِيعَةُ فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ شَيْءٍ انْتَقَلَ مِنْ يَمِينِكَ إِلَى شِمَالِكَ، عناية بِها، وَجِياطة عليها، ورعاية لِمَوَدَّتِكَ فيها. ثُمَّ أَقبل عُبَيْدالله يُعجب من حُسْن ما وَقَعَ له من هَذَا، وقال: تسميتي لها بِالْوَدِيعَةِ نِصفُ البِلاغة، فقال عُبَيْدالله: ما أَقْبَحَ هَذَا! تَفاءلت لامرأة رُفِّت إلى صاحبها بِالْوَدِيعَةِ، وَالْوَدِيعَةُ مُسْتَرْدَّةٌ.

وقولك: «مِنْ يَمِينِكَ إِلَى شِمَالِكَ أَقْبَحَ» لِأَنَّكَ جَعَلْتَ أَبَاها الْيَمِينَ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الشِّمَالَ، وَلَوْ قُلْتَ: «وَأَمَّا الْهَدِيَّةُ فَقَدْ حَسَنَ مَوْقِعُهَا مِنَّا، وَجَلَّ خَطَرُهَا عِنْدَنَا! وَهِيَ وَإِنْ بَعْدَتْ عَنْكَ، بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَرَبَتْ مِنْكَ، لَتَفْقَدْنَا لَهَا، وَأَنْسَيْنَا بِهَا، وَلِسُرُورِهَا بِمَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ، وَاغْتِبَاطِهَا بِمَا صَارَتْ إِلَيْهِ لَكَانَ أَحْسَنَ، فَنفذ الكتاب.

وكانت قطر الندى مع جمالها موصوفة بفضل العقل، خلا بها

(١) «الْأُبَّهَةُ، كُسْكُرَةٌ: الْعَظْمَةُ، وَالْبَهْجَةُ» [القاموس المحيط: ١٢٤٢].

المعتضد يوماً للأنس بها في مجلس أفرده لم يحضره غيرها، فأخذت منه الكأس، فنام على فخذه، فلما استثقل^(١) وضعت رأسه على وسادة، وخرجت فجلست في ساحة القصر على باب المجلس، فاستيقظ فلم يجدها، فاستشاط^(٢) غضباً، ونادى بها فأجابته على قرب، فقال: ما هذا؟ أخليتك إكراماً لك، ودفعت إليك مهجتي^(٣) دون سائر حظاياي^(٤)، فتضعين رأسي على وسادة! فقالت: يا أمير المؤمنين، ما جهلت قدر ما أنعمت به عليّ، وأحسننت فيه إليّ ولكن فيما أدبني به أبي أن قال لي: لا تنامي مع الجلوس، ولا تجلسي بين النيام.

[نفسه ص ٧٢٢ - ٧٢٣].



بين المأمون وأحمد بن أبي خالد

قال المأمون لأحمد بن أبي خالد، وهو يخلف الحسن بن سهل، وقد أشار إليه برأي استرجح^(٥)، قد اعتلّ الحسن ولزم بيته، ووكل الأمر إليك، فانا إلى راحتته وبقائه أحوج مني إلى إيتاعه وفناؤه، وقد رأيت أن أستوزرك، فإنّ الأمر له ما دُمت أنت تقوم به، وقد طالعت رأيه في هذا الأمر، فما عدّاك.

فقال: يا أمير المؤمنين، أعفني من التّسمي بالوزارة، وطالبني بالواجب

(١) استثقل: كناية عن تمكن النوم منه. (المحقق).

(٢) غضب غضباً شديداً.

(٣) «المهجة: الدّم، أو دَم القلب، والروح».

[القاموس المحيط: ٢٠٦].

(٤) «حَطَيْت المرأة عند زوجها بالكسر تحطى حظوة بكسر الحاء وضمها وحطة أيضاً. وهي حَطِيَّة وإحدى خطاياها».

[مختار الصحاح: ٦٠].

(٥) عدّه راجحاً.

فيها، واجعل بيني وبين الغاية ما يرجوني له وَلِيِّي^(١)، ويخافني له عَدُوِّي، فَمَا بعد الغَايَاتِ إِلَّا الْآفَاتُ. فاستحسن كلامه، وقال: لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، واستوزره.

[نفسه ص ٧٢٦].



من رَافَةِ المأمون بِعَمَالِهِ

قال إبراهيم بن الحسن بن سهل: كُنَّا فِي مَجْلِسِ المأمون وعمرو بن مسعدة يقرأ عليه الرِّقَاقُ^(٢)، فَجَاءَتْهُ عَطْسَةٌ، فَلَوَّى عُنْقَهُ فَرَدَّهَا، فَرَأَاهُ المأمون فَقَالَ: يَا عمرو، لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ رَدَّ العَطْسَةِ وَتَحْوِيلَ الْوَجْهِ بِهَا يُورِثَانِ انْقِطَاعاً فِي الْعُنُقِ. فقال بعض ولد المهدي: مَا أَحْسَنَهَا مِنْ مَوْلَى لِعَبْدِهِ، وَإِمَامٍ لِرَعِيَّتِهِ! فقال المأمون: وَمَا فِي ذَلِكَ؟ هَذَا هِشَامٌ اضْطَرَبَتْ عِمَامَتُهُ فَأَهْوَى^(٣) الْأَبْرَشَ الْكَلْبِيَّ إِلَى إِصْلَاحِهَا، فَقَالَ هِشَامُ: إِنَّا لَا نَتَّخِذُ الْإِخْوَانَ خَوَلَا^(٤)! فالذي قال هِشَامٌ أَحْسَنَ مِمَّا قُلْتَهُ.

فقال عمرو: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ هِشَاماً يَتَكَلَّفُ مَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ، وَيُظْلَمُ فِيمَا تَعْدَلُ فِيهِ، لَيْسَ لَهُ قَرَابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا قِيَامَكَ بِحَقِّ اللَّهِ، وَإِنَّكَ وَالْمُلُوكَ لَكَمَا قَالَ التَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ:

(١) «الْوَلِيُّ: ضِدُّ الْعَدُوِّ يُقَالُ مِنْهُ: تَوَلَّاهُ».

[مختار الصحاح: ٣٠٦].

(٢) «الرُّقْعَةُ بِالضَّمِّ: وَاحِدَةُ الرِّقَاقِ الَّتِي تُكْتَبُ».

[مختار الصحاح: ١٠٦].

(٣) «هَوَتْ يَدِي لَهُ: امْتَدَّتْ، وَارْتَفَعَتْ، كَأَهْوَتْ».

[القاموس المحيط: ١٣٤٧].

(٤) «الْخَوَلُ، مُحَرَّكَةٌ: مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النِّعَمِ وَالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْحَاشِيَةِ».

[نفسه ص ٩٩٦].

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَغْطَاكَ سَوْرَةً^(١) تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَنَّبُ
لَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ

أخذ النابغة هذا من قول شاعر قديم من كِنْدَة:

تَكَادُ تَمِيدُ^(٢) الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرٍو بَنِي هِنْدٍ غَضَبَةٌ وَهُوَ عَاتِبُ^(٣)
هُوَ الشَّمْسُ وَافَتْ^(٤) يَوْمَ دَجْنٍ^(٥) فَأَفْضَلْتُ^(٦) عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ
[نفسه ص ٧٢٧ - ٧٢٨].



عقال بن شبّة بين يدي المنصور

خطب صالح بن أبي جعفر المنصور في بعض الأمر فأحسن، فأراد
المنصور أن يُقَرِّطَه^(٧) ويثني عليه، فلم يجسر^(٨) أحد على ذلك لمكان

(١) «السَّوْرَةُ مِنَ الْمَجْدِ: أَثَرُهُ، وَعَلَامَتُهُ، وَارْتِفَاعُهُ».

[القاموس المحيط: ٤١١].

(٢) «مَادَ يَمِيدُ مَيْدًا وَمَيْدَانًا: تَحَرَّكَ».

[القاموس المحيط: ٣٢١].

(٣) «الْعَتَبُ: الْمَوْجِدَةُ، كَالْعَتَبَانِ، وَالْمَعْتَبِ، وَالْمَعْتَبَةِ وَالْمَعْتَبَةِ، وَالْمَلَامَةُ، كَالْعِتَابِ».

[نفسه ص ١١١].

(٤) «وَاقَيْتُ الْقَوْمَ: أَتَيْتُهُمْ، كَأَوْفَيْتُهُمْ».

[القاموس المحيط: ١٣٤٣].

(٥) «الدَّجْنُ: إِبْلَاسُ الْعَيْنِ الْأَرْضِ وَأَقْطَارُ السَّمَاءِ، وَالْمَطَرُ الْكَثِيرُ. الْجَمْعُ: أَذْجَانٌ وَدُجُونٌ وَدُجْنٌ وَدِجَانٌ».

[نفسه ص ١١٩٤].

(٦) «أَفْضَلَ عَلَيْهِ فِي الْحَسَبِ، وَعَنهُ: زَادَ».

[نفسه ص ١٠٤٣].

(٧) «التَّقْرِيطُ: مَدَحُ الْإِنْسَانِ وَهُوَ حَيٌّ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ».

[القاموس المحيط: ٦٩٧].

(٨) «جَسَرَ الرَّجُلُ جُسُورًا وَجَسَارَةً: مَضَى، وَنَفَذَ».

[نفسه ص ٣٦٥].

المهدي، وكان مرشحاً للخلافة، وخافوا ألا يقع الثناء على أخيه بموافقته، فقام عقال بن شبة، فقال: ما رأيت أبين بياناً، ولا أفصح لساناً، ولا أحسن طريقاً، ولا أغمض عروقاً، من خطيب قام بحضرتك يا أمير المؤمنين، وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه، والمهدي أخاه، أن يكون كما قال زهير:

يَطْلُبُ شَأْواً^(١) وَأَمْرَيْنِ قَدَّمَا حَسَنًا بَرًّا^(٢) الْمُلُوكَ وَبَرًّا هَذِهِ الشُّوقَا^(٣)
هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقَ بِشَأْوِهِمَا عَلَى تَكَالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لِحَقًا
أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ فَبِالَّذِي قَدَّمَا مِنْ صَالِحٍ سَبَقًا

فعجب الناس من حسن تخلصه، فقال أبو جعفر: لا ينصرف التميمي إلا بثلاثين ألفاً.

قال أبو عبدالله كاتب المهدي: ما رأيت مثل عقال قط في بلاغته، مدح الغلام، وأرضى المنصور، وسلم من المهدي.

وفي قصيدة زهير هذه يمدح هرم بن سنان بن أبي حارثة المري:

قَدْ جَعَلَ الْمُبْتَغُونَ الْخَيْرَ فِي هَرَمٍ وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقًا
مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ^(٤) هَرِمًا يَلْقَى السَّمَاحَةَ^(٥) مِنْهُ وَالثَّدَى^(٦) خُلُقًا

(١) «الشأو: السبق».

[القاموس المحيط: ١٢٩٨].

(٢) «البر: الغلبة، كالبريزي، كخلفي».

[نفسه ص ٥٠٣].

(٣) «الشوقة، بالضم: الرعية، للواحد والجمع، والمذكر والمؤنث».

[نفسه ص ٨٩٦].

(٤) «قولهم: على علاته: أي على كل حال».

[القاموس المحيط: ١٠٣٥].

(٥) «سمع، ككرم، سمحاً وسمحة وسموحاً وسموحة وسمحاً وسماحاً: جاد، وكرم».

[نفسه، ص ٢٢٥].

(٦) «الثدى: الجود. ورجل ندي أي جواد».

[مختار الصحاح: ٢٧٢].

وَلَيْسَ مَانِعَ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ يَوْمًا وَلَا مُغْدِمًا مِنْ خَابِطٍ^(١) وَرَقًا
لَيْتَ بَعَثُرُ يَضْطَاذُ الرِّجَالِ إِذَا مَا اللَّيْتُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا
يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اغْتَنَقَا
فَضْلُ الْجَوَادِ عَلَى الْخَيْلِ الْبِطَاءِ فَلَا يُغْطِي بِذَلِكَ مَمْنُونًا^(٢) وَلَا نَزِقًا^(٣)
هَذَا وَلَيْسَ كَمَنْ يَغْيَا بِحُجَّتِهِ وَسَطَ النَّدَى إِذَا مَا نَاطِقٌ نَطَقَا
لَوْ نَالَ حَيٍّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَكْرَمَةٍ أَفَقَ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَفُّهُ الْأَفْقَا

وكان زهير كثير المدح لهم، ويروى أنَّ بنتاً لسان بن أبي حارثة رأت بنتاً لزهير بن أبي سلمى في بعض المحافل^(٤)، وإذا لها شارة وحالٌ حسنة، فقالت: قد سَرَّني ما أرى من هذه الشارة والنعمة عليك فقالت: إنها منكم. فقالت: بلى والله لك الفضل، أعطيناكم ما يفنى، وأعطيتمونا ما يبقى.

... قال يوسف الجوهري يمدح الحسن بن سهل:

لَوْ أَنَّ عَيْنِي زُهَيْرٍ أَبْصَرْتُ حَسَنًا وَكَيْفَ يَضْنَعُ فِي أَمْوَالِهِ الْكَرْمُ
إِذْنٌ لَقَالَ زُهَيْرٌ حِينَ يُبْصِرُهُ هَذَا الْجَوَادُ عَلَى الْعِلَاطِ لَا هَرْمُ

(١) «خَبَطَ الْبَيْعِيزُ الْأَرْضَ بِيَدِهِ: ضَرَبَهَا. وَمِنْهُ قِيلَ: خَبَطَ عَشَوَاءً. وَهِيَ الثَّاقَةُ الَّتِي فِي بَصَرِهَا ضَعْفٌ تَخْبِطُ إِذَا مَشَتْ لَا تَتَوَقَّى شَيْئًا. وَخَبَطَ الشَّجَرَةَ ضَرَبَهَا بِالْعَصَا لِيَسْقُطَ وَرَقُهَا وَبَابُهُمَا ضَرَبَ».

[مختار الصحاح: ٧١].

(٢) «مَنْ عَلَيْهِ أَيْ ائْتَنَ عَلَيْهِ وَبَابُهُ رَدَ وَمِثْلُهُ أَيْضًا. يُقَالُ: الْمِئَةُ تَهْدِمُ الصَّنِيعَةَ. وَرَجُلٌ مَنُونَةٌ كَثِيرُ الْاِمْتِنَانِ».

[مختار الصحاح: ٢٦٥].

(٣) «النَّزَقُ: الْخِفَّةُ وَالطَّيْنُشُ. وَقَدْ نَزَقَ مِنْ بَابِ طَرِبَ».

[نفسه ص ٢٧٣].

(٤) «مَخْفِلُ الْقَوْمِ وَمُخْتَفِلُهُمْ: مُجْتَمِعُهُمْ».

[مختار الصحاح: ٦١].

وقال آخر، ويدخل في باب تفضيل الشعر:

الشَّعْرُ يَحْفَظُ مَا أَوْدَى^(١) الزَّمَانُ بِهِ والشَّعْرُ أَفْضَلُ مَا يُجَنَّى مِنَ الْكَرَمِ
لَوْلَا مَقَالُ زُهَيْرٍ فِي قَصَائِدِهِ مَا كَانَ يُعْرَفُ جُودُ كَانَ مِنْ هَرَمِ

وقيل: أعطى هرم العطاء الجزيل عوض قول زهير فيه:

تَاللَّهِ قَدْ عَلِمْتَ سَرَاءَ^(٢) بَنِي ذُبْيَانَ عَامَ الْحَبْسِ وَالْأَضْرِ^(٣)
أَنْ نِغَمَ حَشْوُ الدُّزَعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيَْتَ نَزَالِ^(٤) وَلُجَّ فِي الدُّغْرِ
حَامِي الدَّمَارِ^(٥) عَلَى مُحَافَظَةِ الْجُلَى^(٦) أَمِينُ^(٧) مُغَيَّبِ الصَّدْرِ
حَدَبُ^(٨) عَلَى الْمَوْلَى^(٩) الضَّرِيكَ^(١٠) إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ^(١١) الدَّهْرِ

(١) «أَوْدَى: هَلَكَ، وَأَوْدَى بِهِ الْمَوْتُ: ذَهَبَ».

[القاموس المحيط: ١٣٤٢].

(٢) شُرَفَاء.

(٣) «الْأَضْرُ: الْحَبْسُ. فَعْلُهُ كَضَرَبَ».

[القاموس المحيط: ٣٤٣].

(٤) نَزَالٍ: اسْمُ فِعْلٍ أَمْرٍ بِمَعْنَى انْزَلِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقَالُ عِنْدَ الْقِتَالِ يَدْعُو بِهَا الْقَرْنُ قَرْنَهُ.

(٥) «الدَّمَارُ، بِالْكَسْرِ: مَا يَلْزُمُكَ حِفْظُهُ وَجِمَائَتُهُ».

(٦) الْجُلَى: النَّائِبَةُ الشَّدِيدَةُ.

(٧) أَرَادَ أَنَّهُ مَأْمُونٌ فِي غَيْبِهِ كَمَا هُوَ مَأْمُونٌ فِي حُضُورِهِ لَا يَنَالُ مِنْ صَدِيقٍ فِي حَالِ غَيْبَتِهِ عَنْهُ. (المحقق).

(٨) «حَدَبٌ عَلَيْهِ: تَعَطَّفَ».

[المُنْجِدُ الْأَبْجَدِيُّ: ٣٥٦].

(٩) «الْمَوْلَى: الْمُتَعَتِّقُ وَالْمُعْتَقُ وَابْنُ الْعَمِّ وَالتَّاصِرُ وَالْجَارُ وَالْحَلِيفُ».

[مَخْتَارُ الصُّحَاك: ٣٠٦].

(١٠) «الضَّرِيكَ: الْفَقِيرُ السَّيِّئُ الْحَالِ، الْجَمْعُ: ضَرَائِكُ وَضُرَكَاءُ».

[القاموس المحيط: ٩٤٧].

(١١) «النَّائِبَةُ: الْمُصِيبَةُ. وَاحِدَةُ نَوَائِبِ الدَّهْرِ».

[مَخْتَارُ الصُّحَاك: ٢٨٥].

وَمُرْهَقُ^(١) النَّيْرَانِ يُحَمَّدُ فِي الدِّ
وَالسُّتَرِ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا
لَأَوَاءِ^(٢) غَيْرُ مُلْعَنٍ^(٣) الْقِدْرِ
يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِثْرِ

وقال:

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ
هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ^(٤)
وَلَكِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ
عَفْوًا وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا فَيُظْلِمُ^(٥)
وَأَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ
يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمٌ^(٦)

الخليل: الذي أخلَّ به الفقر، إلى غير ذلك من مختار مدحه فيه.

[نفسه ص ٧٥٩ - ٧٦١].



وَفَدِ الشَّامَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ

قدم على أبي جعفر المنصور وَفَدَّ مِنَ الشَّامِ بعد انهزام عبدالله بن علي، وفيهم الحارث بن عبدالرحمن الغفاري، فتكلَّم جماعة منهم، ثُمَّ قام

(١) «الْمُرْهَقُ، كَمُعْظَمٍ: مَنْ يَغْشَاهُ النَّاسُ وَالْأَضْيَافُ».

[القاموس المحيط: ٨٨٩].

(٢) «الْأَوَّاءُ، كَالسَّغِيِّ: الشَّدَّةُ، كَالْأَوَّاءِ، كَاللَّعَا، وَالْأَوَّاءِ».

[نفسه ص ١٣٢٩].

(٣) «غَيْرُ مُلْعَنٍ الْقِدْرِ: لَا تُسَبِّ قِدْرُهُ لِأَنَّهُ يَطْعَمُ مَا يَشْتَهِيهِ النَّاسُ. (مُحَقَّقٌ).

(٤) «النَّوَالُ وَالنَّالُ وَالنَّائِلُ: الْعَطَاءُ».

[القاموس المحيط: ١٠٦٦].

(٥) «اَظْلَمَ، كَاظْلَمَ، وَانْظَلَمَ: اخْتَمَلَ الظُّلَمَ».

[نفسه ص ١١٣٤].

(٦) «حَرَمَهُ الشَّيْءُ، كَضَرَبَهُ وَعَلِمَهُ، حَرِيماً وَحَرْمَاناً، بِالْكَسْرِ، وَحَرَمًا وَحَرْمَةً، بِكَسْرِهِمَا، وَحَرِمًا وَحَرِمَةً وَحَرِيمَةً، بِكَسْرِ رَائِهِنَّ: مَنَعَهُ».

[القاموس المحيط: ١٠٩٢].

الحارث فقال: يا أمير المؤمنين إنا لسنا وقد مباهاة، ولكننا وقد توبة استخفت حليمنا، فنحن بما قدمنا معترفون، وبما سلف منا معتذرون، فإن تعاقبنا فيما أجرمنا، وإن تغف عنا فطالما أحسنت إلى من أساء، فقال المنصور: أنت خطيب القوم، وردّ عليه ضياعه بالغوطة.

وقال رجل من أهل الشام للمنصور: يا أمير المؤمنين، من انتقم فقد شفى غيظه وانتصف، ومن عفا تفضل، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر فضله، وكظم الغيظ حلّم، والتشفي طرف من الجزع، ولم يمدح أهل التقى والنهي من كان حليماً بشدة العقاب، ولكن بحسن الصّفح والاعتذار وشدة التغافل، وبعد فالمعاقب مستدع لعداوة أولياء المذنب، والعافي مسترّع لشكرهم آمن من مكافأته، ولأن يُثنى عليك باتساع الصدر خير من أن تُوصف بضيقه، على أن إقالتك^(١) عثرات عباد الله موجب لإقالة عثرتك من ربهم، وموصول بعفوه، وعقابك إياهم موصول بعقابه، قال الله عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

[نفسه ص ٨٣٨ - ٨٣٩].



تميم بن جميل والمعتصم

كان تميم بن جميل السدوسي قد أقام بشاطئ الفرات، واجتمع إليه كثير من الأعراب، فعظم أمره، فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق في النهوض إليه، فتبدّد جمعه، وظفر به فحمله مؤثّقاً إلى باب المعتصم، فقال أحمد بن أبي داود: ما رأيت رجلاً عاين الموت، فما هاله ولا شغله عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل، فإنه لما مثل بين يدي

(١) «أقال الله عثرته إذا رفعه من سُقوطه».

المعتصم وأحضر السيف والنَّطْع^(١)، ووقف بينهما، تأمله المعتصم - وكان جميلاً وسيماً - فأحب أن يعلم أين لسانه من منظره، فقال: تكلم يا تميم، فقال: أما إذ أذنت يا أمير المؤمنين فأنا أقول: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، يا أمير المؤمنين، جبر الله بك صدع الدين، ولم يك شعث المسلمين، وأوضح بك سبل الحق، وأحمد بك شهاب الباطل، إن الذنوب تخرس الألسن الفصيحة، وتعيي الأفئدة الصحيحة، ولقد عظمت الجريمة^(٢)، وانقطعت الحجة وساء الظن، فلم يبق إلا عفوك وانتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما مني وأسرعهما إليّ أشبههما بك، وأولاهما بكرمك، ثم قال:

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنَّطْعِ كَامِنًا
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي
وَأَيُّ امْرِئٍ يَأْتِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي
وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ بِغِبْطَةٍ^(٣)
وَكَمْ قَائِلٍ لَا يَبْعَدُ اللَّهُ دَارَهُ
يُلَاحِظُنِي مِنْ حَيْثُمَا أَتَلَفْتُ
وَأَيُّ امْرِئٍ مِمَّا قَضَى اللَّهُ يَفْلَتُ
وَسَيْفُ الْمَنَآيَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُضَلَّتْ
لَا أَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوقَّتٌ
وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حُسْرَةٍ تَتَفَتَّتْ
أَدُودُ^(٤) الرَّدَى^(٥) عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتُوا
وَأَخِرَ جَذْلَانِ يَسُرُّ وَيَشْمَتُ

(١) «النَّطْعُ؛ بالكسر وبالفتح وبالتحريك، وكَعَيْبٍ: بِسَاطٍ مِنَ الْأَدِيمِ، الْجَمْعُ: الْأَطَاعُ وَنُطُوعٌ».

[القاموس المحيط: ٧٦٧].

(٢) «الْجَرِيرَةُ: الذَّنْبُ، وَالْجِنَايَةُ، جَرَّ عَلَى نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ جَرِيرَةً، يَجْرُهَا، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ، جَرًّا».

[القاموس المحيط: ٣٦٤].

(٣) «الْغِبْطَةُ، بِالكسر: الْمَسْرَةُ، وَقَدْ اغْتَبَطَ».

[القاموس المحيط: ٦٧٩].

(٤) «الدُّودُ: السُّوقُ، وَالطَّرْدُ، وَالذَّفْعُ، كَالذِّيَادِ، وَهُوَ دَائِدٌ مِنْ دَوْدٍ».

[نفسه، ص ٢٨١].

(٥) الهلاك.

فتبسّم المعتصم وقال: يا جميل، قد وهبتك للصّبية، وغفرت لك الصّبوة، ثم أمر بك قيوده، وخلع عليه، وعقد له على شاطئ الفرات.

[نفسه ص ٨٣٩ - ٨٤٠].



من المعتصم إلى عبدالله بن طاهر

وكتب المعتصم - حين صارت إليه الخلافة - إلى عبدالله بن طاهر: عافانا الله وإياك، قد كانت في قلبي هَنَاتٌ غفرها الاقتدار، وبقيت خَزَازَاتٌ^(١) أخاف منها عليك عند نظري إليك، فإن أتاك ألف كتاب أستقدمك فيه فلا تقدم، وحسبك معرفة بما أنا مُنطو لك عليه إطلاعي إياك على ما في ضميري منك، والسلام.

قال العباس بن المأمون: لما أفضت الخلافة إلى المعتصم دخلت، فقال: هذا مجلس كنت أكره الناس لجلوسي فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنت تعفو عمّا تيقّنته، فكيف تعاقب على ما توهمت؟ فقال: لو أردت عقابك لترك عتابك.

وكان المعتصم شهماً، شجاعاً، عاقلاً، مُفوّهاً^(٢)، ولم يكن في خلفاء بني العباس أمي غيره، وقيل: بل كان يكتب خطأً ضعيفاً، وكان سبب ذلك أنه رأى جنازة لبعض الخدم، فقال: ليت مثله لأتخلص من الكتاب^(٣)!

فقال الرشيد: والله لا عذبتك بشيء تختار عليه الموت.

(١) «الخَزَازُ، بِالْفَتْحِ: وَجَعَ فِي الْقَلْبِ مِنْ غَيْظٍ وَنَحْوِهِ».

[القاموس المحيط: ٥٠٨].

(٢) «مُفَوِّةٌ، كَمُعْظَمٍ، وَفِيَّةٌ، كَكَيْسٍ: مُنْطِقٌ».

[القاموس المحيط: ١٢٥١].

(٣) موضع التعليل.

قال أبو القاسم الزجاجي: وهذا شيء يُحكى من غير رواية صحيحة، إلا أن جملته أنه كان ضعيف البصر بالعربية.

وقرأ أحمد بن عمار المذري - وكان يتقلد العرض عليه في الحضرة - كتاباً فيه: «ومطرنا مطراً كثر عنه الكلاء» فقال له المعتصم: ما الكلاء؟ فقال: لا أدري. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! خليفة أمي وكاتب أمي! ثم قال: من يقرب منا من كُتاب الدار؟ فعرف مكان محمد بن عبد الملك الزيات، وكان يتولى قهرمة^(١) الدار، ويشرف على المطبخ، فأحضره، فقال: ما الكلاء؟ فقال: الثبات كله رطبه ويابسُه، فالرطب منه خاصة يقال له خلاً، ومنه سُميت المخلاة، واليابس يقال له حشيش، ثم اندفع في صفات الثبات من ابتدائه إلى اكتماله إلى هيجه^(٢)، فاستحسن ذلك المعتصم، وولاه العرض من ذلك اليوم، فلم يزل وزيراً مدة خلافته وخلافة الواثق، حتى نكبه^(٣) المتوكل بحقود حقدتها عليه أيام أخيه الواثق. [نفسه ص ٨٤١].



المعتصم يكتب لملك الروم

قال الرّياشي: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدّده فيه، فأمر بجوابه، فلما قرىء عليه لم يرض ما فيه، وقال لبعض الكتّاب: اكتب «أما بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت خطابك، والجواب ما ترى، لا ما تسمع، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار».

(١) «القهرمان»: الوكيل أو أمين الدخل والخرج (فارسيّ معرّب). الجمع: قهرامة. والقهرمة: وظيفة القهرمان وفعله.

[القاموس المحيط: ٨٢٠].

(٢) «هاج الشيء»: ثار وبابه باع وهياجاً أيضاً بالكسر وهيجاناً بفتحين واحتاج وتهيج مثله.

[القاموس المحيط: ٢٩٣].

(٣) «النكبة» واحدة نكبات الدهر. ونكبت الرجل على ما لم يسّم فاعله فهو منكوب.

[نفسه ص ٢٨٢].

وهذا نظير قول قطري للحجاج، وقد كتب إليه كتاباً يتهدده، فأجابه قطري: أما بعد، فالحمد لله الذي لو شاء لجمع شخصينا، فعلمت متافقة الرجال أقوم من تسطير المقال. والسلام.

[نفسه ص ٨٤٢].



وصف بني المهلب بن أبي صفرة

لما افتتح المهلب خراسان، ونفى الخوارج عنها، وتفرقت الأزارقة كتب الحجاج إليه أن اكتب لي بخبر الواقعة، واشرح لي القصة حتى كأني شاهدها، فبعت إليه المهلب كعب بن معدان الأشعري، فأنشده قصيدة فيها ستون بيتاً تقتض^(١) خبرهم لا يخرم^(٢) منه شيئاً، فقال له الحجاج: أخطيب أم شاعر؟ قال له: كلاهما، أعز الله الأمير! قال: أخبرني عن بني المهلب فقال له: المغيرة سيدهم، وكفالك بيزيد فارساً، وما لقي الأبطال مثل حبيب، وما يستحيي شجاع أن يفز من مذرك، وعبدالملك موت دُعاف^(٣) وسُم نافع^(٤)، وحسبك بالفضل في النجدة^(٥)، واستجيز قبضة، ومحمد ليث غاب، فقال الحجاج: ما أراك فضلت واحداً منهم، فأخبرني عن جملتهم

(١) «قَصَّ أثره: تَبَعَهُ مِنْ بَابِ رَدٍّ وَقَصَصاً أَيْضاً».

[مختار الصحاح: ٢٢٥].

(٢) لا ينقص منه شيئاً.

(٣) «الدُعَافُ، كَغُرَابٍ: السُّمُّ، أَوْ سُمُّ سَاعَةٍ، كَالدُّغْفِ، الْجَمْعُ: دُغْفٌ، كَكُتِبَ. وَكَمَنَعَهُ: سَفَاهُ إِثَاءً».

[القاموس المحيط: ٨١١].

(٤) «سُمُّ نَافِعٍ: بَالِغٌ ثَابِتٌ».

[نفسه ص ٧٦٨].

(٥) «النَّجْدُ: الشُّجَاعُ الْمَاضِي فِيمَا يَعْجِزُ غَيْرُهُ، كَالنَّجْدِ وَالنُّجْدِ، (كَكُتِفَ وَرَجُلٍ). وَالنَّجِيدُ، وَقَدْ نَجَّدَ، كَكَرَّمْ، نَجَادَةٌ وَنَجْدَةٌ».

[نفسه ص ٣٢١].

ومن أفضلهم؟ فقال: هم - أعز الله الأمير! - كالحلقة المفرغة لا يذرى أين طرفها، قال: إنَّ خبر حربكم كان يبلغني عظيماً، أفكذلك كان؟ قال: نعم أيها الأمير، والسَّماع دُون العِيَان^(١). قال: أخبرني كيف رضا المهلب عن جُنده وَرِضا جُنده عنه؟ قال: أعز الله الأمير، له عليهم شفقة الوالد، ولهم به برّ الولد. قال: أخبرني كيف فاتكم قَطْرِي؟ قال: كِذْنَاهُ في منزلة فتحول عنه، وتوهم أنه كاذن^(٢) بذلك، قال: فهلاً اتبعتموه، قال: الكلب إذا أُخِجِرَ^(٣) عَقَرَ، قال: المهلب كان أعلم بك حيث أرسلك.

وقد رُوي أنَّ المهلب لما فرغ من قتل عبد ربّه الحروري^(٤) دَعَا بِشَرِّ بَن مَالِك فَأَنْفَذَهُ بِالْبَشَارَةِ إِلَى الْحَجَّاجِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ قَالَ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: بِشَرِّ بَن مَالِك، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: بَشَارَةُ وَمَلِك! وَكَيْفَ خَلَفْتَ الْمَهْلَبَ؟ قَالَ: خَلَفْتُهُ وَقَدْ أَمِنَ مَا خَافَ، وَأَدْرَكَ مَا طَلَبَ، قَالَ: كَيْفَ كَانَتْ حَالُكُمْ مَعَ عَدُوِّكُمْ؟ قَالَ: كَانَتْ الْبِدَاءُ لَهُمْ، وَالْعَاقِبَةُ لَنَا، قَالَ الْحَجَّاجُ: الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، ثُمَّ قَالَ: فَمَا حَالُ الْجُنْدِ؟ قَالَ: وَسَعَهُمُ الْحَقُّ، وَأَغْنَاهُمُ النَّفْلُ، وَإِنَّهُمْ لَمَعَ رَجُلٌ يَسُوسُهُمْ سِيَاسَةَ الْمُلُوكِ، وَيُقَاتِلُ بِهِمْ قِتَالُ الصُّعْلُوكِ، فَلَهُمْ مِنْهُ بَرٌّ الْوَالِدِ، وَلَهُ مِنْهُمْ طَاعَةُ الْوَلَدِ، قَالَ: فَمَا حَالُ وَلَدِ الْمَهْلَبِ؟ قَالَ: رِعَاةُ الْبَيَاتِ حَتَّى يُؤْمُوهُ، وَحُمَاةُ السَّرَجِ حَتَّى يَرُدُّوهُ، قَالَ: فَأَيُّهُمْ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ذَلِكَ إِلَى أَبِيهِمْ، قَالَ: وَأَنْتَ أَيْضاً، فَإِنِّي أَرَى لَكَ لِسَاناً وَعِبَارَةً، قَالَ: هُمْ كَالْحَلْقَةِ الْمُفْرَغَةِ لَا يَدْرِي أَيْنَ طَرَفُهَا، قَالَ: وَيَحْكُ! أَكُنْتُ أَعَدَدْتُ لِهَذَا الْمَقَامِ هَذَا الْمَقَالَ؟ قَالَ: لَا يَعْلَمُ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ.

[نفسه ص ٨٤٢ - ٨٤٣].

(١) المشاهدة.

(٢) «الْكَيْدُ: الْمَكْرُ وَبَابُهُ بَاعٌ وَمَكِيدَةٌ أَيْضاً بِكَسْرِ الْكَافِ».

[مختار الصحاح: ٢٤٤].

(٣) «جَحَرَ الضُّبُّ، كَمَنَعَ: دَخَلَهُ، وَجَحَرَ فُلَانٌ الضُّبَّ: أَدْخَلَهُ فِيهِ فَانْجَحَرَ، وَتَجَحَّرَ، كَأَجَحَرَهُ».

[القاموس المحيط: ٣٦٢].

(٤) الخارجي.

بين سهل بن هارون والحسن بن سهل

ألف سهل بن هارون كتاباً يمدح فيه البخل ويذم الجود، ليظهر قدرته على البلاغة، وأهداه للحسن بن سهل في وزارته للمأمون، فوقع عليه: لقد مدحت ما دمه الله، وحسنت ما قبّح الله، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معنك، وقد جعلنا نوالك عليه قبول قولك فيه.

وكان الحسن من كرماء الناس وعُقلائهم. سئل أبو العيناء عنه، فقال: كأنما خلف آدم في ولده، فهو ينفع عيلتهم^(١)، ويسد خللتهم^(٢)، ولقد رفع الله للدنيا من شأنها، إذ جعله من سكانها.

أخذ هذا المعنى أبو العيناء من قول الشاعر:

وَكَاَنَّ آدَمَ كَانَ قَبْلَ وَقَاتِهِ أَوْصَاكَ وَهُوَ يَجُودُ بِالْحَوْبَاءِ^(٣)
بَبْنِيهِ أَنْ تَزْعَاهُمْ فَرَعَيْتَهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَيْلَةَ الْأَبْنَاءِ

وأخذ أبو الطيّب المتنبّي آخر كلام أبي العيناء فقال:

قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ دُنْيَا أَنْتَ سَاكِئُهَا وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا

وقيل للحسن بن سهل: لم قيل: قال الأول، وقال الحكيم؟ قال: لأنّه كلام قد مرّ على الأسماع قبلنا، فلو كان زللاً لما نُقل إلينا مُستحسنًا.

[نفسه ص ٨٨٨ - ٨٨٩].



(١) «الْعَيْلَةُ وَالْعَالَةُ: الْفَاقَةُ».

[مختار الصحاح: ١٩٥].

(٢) «الْحَلَّةُ: الْحَاجَةُ، وَالْفَقْرُ، وَالْخَصَاصَةُ».

[القاموس المحيط: ٩٩٤].

(٣) «الْحَوْبَاءُ: النَّفْسُ، الْجَمْعُ: حَوْبَاوَاتٌ».

[القاموس المحيط: ٧٧].

علي بن الخليل والرَّشِيدُ

قال الفضل بن ربيع: جلس الرَّشِيدُ يوماً للمظالم، فجعلت أتصفح الناس، وأسمع كلامهم، فرميت بطرفي، فرأيت في آخرهم شيخاً حسن الهيئة والوجه ما رأيت أحسن منه، فوقف حتى تقوض^(١) المجلس ثم قال: يا أمير المؤمنين، رُفعتي، فأمرَ بأخذها فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي بقراءتها، فأنا أحسنُ تعبيراً لخطي من غيري - فقال له: اقرأ، فقال: شيخ ضَعِيف، ومقام صَعْب، ولا آمَنُ الاضطراب، فإن رأى أمير المؤمنين أن يصِلَ عنايته بأمرِي في الإذن بالجلوس فَعَلْ، فقال: اجلس، فجعل وأنشأ يقول:

يَا خَيْرَ مَنْ وَخَدَتْ^(٢) بِأَزْخِلِهِ تُجِبُ الرُّكَّابِ بِمَهْمِهِ جَلَسِ
تَطْوِي السَّبَاسِبَ^(٣) فِي أَرْزَمَتِهَا^(٤) طَيَّ التُّجَارِ^(٥) عَمَائِمِ الْبِرْسِ^(٦)
لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طَالِعَةً سَجَدَتْ لِوَجْهِكَ طُلُوعَةَ الشَّمْسِ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَنْتَ كُلُّهُمْ فِي يَوْمِكَ الْغَادِي وَفِي الْأَمْسِ
وَكَذَلِكَ لَنْ تَنْفِكَ خَيْرَهُمْ تُمْسِي وَتُضْبِحُ فَوْقَ مَا تُمْسِي
لِلَّهِ مَا هَارُونَ مِنْ مَلِكٍ عَفَّ السَّرِيرَةَ طَاهِرِ النَّفْسِ

(١) «قَاضَ الْبِنَاءُ: هَدَمَهُ، كَقَوَّضَهُ. أَوْ التَّقْوِيضُ: نَقْضٌ مِنْ غَيْرِ هَذَا».

[القاموس المحيط: ٦٥٣].

(٢) «الْوَخْدُ لِلْبَعِيرِ: الْإِسْرَاعُ، أَوْ أَنْ يَزِمِّي بِقَوَائِمِهِ كَمَشْيِ النِّعَامِ، أَوْ سَعَةُ الْخَطْوِ، كَالْوَخْدَانِ وَالْوَخِيدِ، وَقَدْ وَخَدَ، كَوَعَدَ».

[القاموس المحيط: ٣٢٥].

(٣) «السَّبَسَبُ: الْمَقَارَظَةُ، أَوْ الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْبَعِيدَةُ، بَلَدٌ سَبَسَبٌ وَسَبَاسِبٌ».

[القاموس المحيط: ٩٦].

(٤) «رَمَهُ فَاَنْزَمَ: شَدَّهُ. وَكَتَابَ: مَا يُزَمُّ بِهِ، الْجَمْعُ: أَرْزَمَةٌ».

[نفسه ص ١١١٨].

(٥) جمع تاجر.

(٦) «الْبِرْسُ، بِالْكَسْرِ: الْقُطْنُ، أَوْ شَبِيهِ بِهِ، أَوْ قُطْنُ الْبَرْذِي، وَبُضْمٌ».

[نفسه ص ٥٣٢].

تَمَثَّ عَلَيْهِ لِرَبِّهِ نَعَمٌ تَزْدَادُ جِدَّتُهَا ^(١) مَعَ اللَّبْسِ
 مِنْ عَثْرَةٍ طَابَتْ أَرْوَمَتُهَا ^(٢) أَهْلُ الْعَفَافِ وَمُنْتَهَى الْقُدْسِ
 مُتَهَلِّلِينَ عَلَى أَسِرَّتِهِمْ وَلَدَى الْهِجَاجِ ^(٣) مَصَاعِبِ ^(٤) شُمُسِ ^(٥)
 إِنِّي لَجَأْتُ إِلَيْكَ مِنْ فَرْعٍ قَدْ كَانَ شَرَّدَنِي وَمِنْ لَبْسِ
 لَمَّا اسْتَخَرْتُ اللَّهَ مُجْتَهِدًا يَمَّمْتُ نَحْوَكَ رِخْلَةَ الْعَنْسِ ^(٦)
 وَاخْتَرْتُ حِلْمَكَ لَا أَجَاوِزُهُ حَتَّى أُغَيِّبَ فِي ثَرَى رَمْسِي ^(٧)
 كَمْ قَدْ سَرَيْتُ إِلَيْكَ مُدَّرَعًا ^(٨) لَيْلًا يَمْوُجُ كَحَالِكِ النَّقْسِ ^(٩)
 إِنَّ رَاعِنِي مِنْ هَاجِسٍ فَرْعٍ كَانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تُرْسِي ^(١٠)

- (١) «جَدُّ الشَّيْءِ يَجِدُّ جِدَّةً بِكَسْرِ الْجِيمِ فِيهَا صَارَ جَدِيدًا وَهُوَ نَقِيضُ الْخَلْقِ».
 [مختار الصحاح: ٤١].
- (٢) «الْأَرْوَمَةُ، وَتَضَمُّ: الْأَصْلُ، الْجَمْعُ: أَرْوَمٌ».
- [القاموس المحيط: ١٠٧٥].
- (٣) «هَاجَ يَهِيْجُ هَيْجًا وَهَيْجَانًا وَهَيْجَا، بِالْكَسْرِ: ثَارَ، كَاهْتَاَجَ وَتَهَيَّجَ».
- [نفسه ص ٢١١].
- (٤) «الْمُضْعَبُ، كَمُكْرَمٍ: الْفَخْلُ».
- [نفسه ص ١٠٥].
- (٥) «شَمَسَ الْفَرَسُ شُمُوسًا وَشِمَاسًا مَنَعَ ظَهْرَهُ، فَهُوَ شَامِسٌ وَشُمُوسٌ».
- [نفسه ص ٥٥٢].
- (٦) «الْعَنْسُ: النَّاقَةُ الصُّلْبَةُ».
- [القاموس المحيط: ٥٦٠].
- (٧) «الرَّمْسُ: الْقَبْرُ، كَالْمَرَمَسِ وَالرَّامُوسِ الْجَمْعُ: أَرْمَاسٌ وَرُمُوسٌ».
- [نفسه ص ٥٤٩].
- (٨) «كُلُّ مَا أَدَخَلْتَ فِي جَوْفِ شَيْءٍ: فَقَدْ أَدْرَعْتَهُ. وَدَرَّعُهُ تَدْرِيعًا: أَلْبَسَهُ الدَّرْعَ».
- [القاموس المحيط: ٧١٥].
- (٩) «النَّقْسُ، بِالْكَسْرِ: الْمِدَادُ الْجَمْعُ: أَنْقَاسٌ وَأَنْقُسٌ».
- [نفسه ص ٥٧٨].
- (١٠) «التُّرْسُ، بِالضَّمِّ: مَعْرُوفُ الْجَمْعِ: أَتْرَاسٌ وَتِرَاسَةٌ وَتِرَاسٌ وَتُرُوسٌ».
- [نفسه ص ٥٣٤].

مَا ذَاكَ إِلَّا أَتْنِي رَجُلٌ
بِيضٌ أَوَانِسُ لَا قُرُونَ لَهَا
وَأَجَاذِبُ الْفُثَيَّانَ بَيْنَهُمْ
لِلْمَاءِ فِي حَاقَاتِهَا حَبَبٌ^(٤)
وَاللَّهُ يَعْلَمُ فِي بَنِيتهِ
أَضْبُو^(١) إِلَى تَفْرِ مِنَ الْإِنْسِ
يَقْتُلْنَ بِالتَّطْوِيلِ وَالْحَبْسِ
صَفَرَاءَ مِثْلَ مُجَاجَةٍ^(٢) الْوَزْسِ^(٣)
نَظْمٌ كَرَقَمَ صَحَائِفِ الْفُرْسِ
مَا إِنْ أَضْغَتْ إِقَامَةَ الْخَمْسِ^(٥)

قال: ومن تكون؟ قال: علي بن الحليل، الذي يقال إنه زنديق، فقال له: أنت آمن، وأمر له بخمسة آلاف درهم.

[نفسه ص ٩٠٩ - ٩١١].



بين المنصور ومعن بن زائدة

قال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة: كبرت يا معن! قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: إِنَّكَ لَجَلْدٌ^(٦)، قال: على أعدائك، قال: وَإِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةً، قال: هي لك يا أمير المؤمنين، قال: فَأَيُّ الدَّوْلَتَيْنِ أَحَبُّ

(١) «صَبِي إِلَيْهَا: حَنٌّ، كَصَبَا صَبْوَةً وَصَبَوَةً وَصُبُوا».

[القاموس المحيط: ١٣٠٢].

(٢) «الْمُجَاجُ بِالضَّمِّ وَالْمُجَاجَةُ أَيْضاً الرِّيقُ الَّذِي تَمُجُّهُ مِنْ فِيكَ يُقَالُ: الْمَطَرُ مُجَاجُ الْمَزْنِ وَالْعَسَلُ مُجَاجُ النَّحْلِ».

[مختار الصحاح: ٢٥٧].

(٣) «الْوَزْسُ بِوَزْنِ الْفُلْسِ: نَبْتُ أَصْفَرٍ يَكُونُ بِالْيَمَنِ تُتَّخَذُ مِنْهُ الْغُمْرَةُ لِلْوَجْهِ».

[نفسه ص ٢٩٨].

(٤) «الْحَبَبُ، مُحَرَّكَةٌ، وَكَعَنْبٍ: تَنْضُدُ الْأَسْنَانُ، وَمَا جَرَى عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ كَقِطْعِ الْفَوَارِيرِ».

[نفسه ص ٧٢].

(٥) الْخَمْسُ: أَرَادَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ الْمَفْرُوضَةَ. (الْمَحَقُّ).

(٦) جَلْدٌ: قُوَّةٌ شَدِيدُ الْإِحْتِمَالِ.

إليك، هذه أم دولة بني أمية؟ قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين، إن زاد برُّك على برِّهم كانت دولتك أحبَّ إليَّ.

ومعن هذا هو معن بن زائدة بن عبدالله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو أخي الحوفزان بن شريك بن عمرو بن قيس بن شرحبيل بن مُنَبِّه بن مرة بن ذهل بن شيبان، وبنو مطر بيت شيبان، وشيبان بيت ربيعة.

وإن كان معه أجود الناس، وفيه يقول مروان بن أبي حفصة ويعم بني مطر:

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَأَنَّهُمْ
هُمُ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ
بِهَالِيلٍ^(٦) فِي الْإِسْلَامِ سَادَاوْا وَلَمْ يَكُنْ
هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا
أَسُودَ لَهَا فِي غِيلٍ^(١) خَفَّانَ^(٢) أَشْبِلُ
لِجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِينَ^(٣) مَنَزِلُ
وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي الثَّائِبَاتِ^(٤) وَأَجْمَلُوا^(٥)
كَأُولِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
جَابُوا وَإِنْ أَغْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا^(٧)

(١) «الغِيلُ، بالكسر: الأَجَمَةُ. وموضع الأسدِ غِيلٌ، وجمعه: غُبُولٌ. قال الأصمعي: الغِيلُ: الشَّجَرُ الملتفُّ».

[مختار الصحاح: ٢٠٣].

(٢) «خَفَّانٌ، كَعَفَّانٍ: مَأْسَدَةٌ قُرْبَ الكُوفَةِ».

[القاموس المحيط: ٨٠٦].

(٣) «السَّمَائُ، ككتاب: الْأَعْزَلُ، والْرَامِخُ: تَجْمَانِ نَيْرَانٍ».

[نفسه ص ٩٤٣].

(٤) «الثَّائِبَةُ: الْمُصِيبَةُ واحدةٌ نَوَائِبُ الدَّهْرِ».

[مختار الصَّحاح: ٢٨٥].

(٥) «أَجْمَلَ الصَّنِيعَةِ: حَسَنَهَا وَكَثَّرَهَا».

[القاموس المحيط: ٩٧٩].

(٦) «الْبُهْلُولُ: السَّيِّدُ الْجَامِعُ لِكُلِّ خَيْرٍ».

[نفسه ص ٩٧٠].

(٧) «الْجَزَلُ: الْكَثِيرُ مِنَ الشَّيْءِ، كَالْجَزَلِ، الجمع: كَجِبَالٍ».

[القاموس المحيط: ٩٧٦].

أخذ البيت الأول ابن الرومي، وزاد فيه، فقال:

تَلَقَّاهُمْ وَرِمَاحُ الْخَطِّ بَيْنَهُمْ كَالْأُسْدِ أَلْبَسَهَا الْآجَامُ^(١) خَفَانُ

ودخل رجل من شيبان على معن بن زائدة، فقال: ما هذه الغيبة؟ فقال: أيها الأمير، ما غاب عن العين من يذكره القلب، وما زال شوقي إلى الأمير شديداً، وهو دون ما يجب له، وذكرى له كثيراً، وهو دون قدره، ولكن جفوة الحجاب، وقلة بشر الغلمان، منعاني من الإتيان! فأمر بتسهيل إذنه، وأجزل صلته.

[نفسه ص ٩١١ - ٩١٢].



بين أعرابي وبعض الولاة

دخل أعرابي على بعض الولاة فقال: أصلح الله الأمير، اجعلني زمّاماً^(٢) من أزمّتك، فإنّي مسعّر حرب^(٣)، ورَكَّاب نُجُب^(٤)، شديد على الأعداء، لئن على الأصدقاء، مُنْطَوِي الْخَصِيلَة^(٥)، قَلِيل

(١) «الْأَجَمَةُ، مُحَرَّكَة: الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُتَلَفُّ، الْجَمْع: أَجَمٌ، بِالضَّمِّ وَبِضْمَتَيْنِ وَبِالتَّحْرِيكِ، وَآجَامٌ وَإِجَامٌ وَأَجَمَاتٌ».

[نفسه ص ١٠٧٤].

(٢) «الزَّمَامُ، كَكِتَاب: مَا يُزْمُ بِهِ، الْجَمْع: أَزْمَةٌ».

[القاموس المحيط: ١١١٨].

(٣) «سَعَرَ النَّارَ وَالْحَرْبَ، كَمَنْعَ: أَوْقَدَهَا، كَسَعَّرَ وَأَسَعَرَ».

[نفسه ص ٤٠٧].

(٤) «النُّجُبُ، وَكُثْمَزَة: الْكَرِيمُ الْحَسِيبُ، الْجَمْع: أَنْجَابٌ وَنُجَبَاءٌ وَنُجُبٌ. وَنَاقَةُ نَجِيبٍ وَنَجِيبَةٌ، الْجَمْع: نَجَائِبٌ».

[نفسه ص ١٣٦].

(٥) «الْخَصِيلَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ، أَوْ لَحْمُ الْفَخْذَيْنِ وَالْعُضْدَيْنِ وَالذَّرَاعَيْنِ، أَوْ كُلُّ عَصَبَةٍ فِيهَا لَحْمٌ غَلِيظٌ، الْجَمْع: خَصِيلٌ وَخَصَائِلٌ».

[القاموس المحيط: ٩٩٣].

الْثَمِيلَةُ^(١)، قَلِيلُ غَرَارٍ^(٢) النَّوْمِ، قَدْ غَذَّتْنِي الْحُرُوبُ أَفَاوَيْقَهَا^(٣)، وَحَلَبْتُ
الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ، فَلَا يَمْنَعُكَ مَنِّي الدَّمَامَةُ، فَإِنَّ تَحْتَهَا لَشَهَامَةٌ.

[نفسه ص ٩٢٦].



بين ابن المعتزِّ وبعض الوزراء

كتب ابن المعتزِّ إلى بعض الوزراء: ما زال الحاسِدُ لنا عليك أيُّها
الوزير يَنْصِبُ الْحَبَائِلَ^(٤)، وَيَطْلُبُ الْغَوَائِلَ^(٥)، حَتَّى انْتَهَزَ فُرْصَتَهُ، وَأَبْلَغَكَ
تَشْنِيعاً زَخْرَفَهُ، وَكَذَباً زَوَّرَهُ، وَكَيْفَ الْإِحْتِرَاسَ مِمَّنْ يَحْضُرُ وَأَغْيَبَ، وَيَقُولُ
وَأَمْسِكْ؟ مَرْتَصِداً لَا يَغْفُلُ وَمَا كِرَافاً لَا يَفْتَرُ، وَرَبَّمَا اسْتَنْصَحَ الْغَاشِ، وَصَدَّقَ
الْكَاذِبَ، وَالْخَطْوَةَ لَا تُدْرِكُ بِالْحِيلَةِ، وَلَا يَجْرِي أَكْثَرُهَا عَلَى حَسَبِ السَّبَبِ
وَالْوَسِيلَةِ.

فأجابه: حَصولُ الثِّقَةِ بِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - تُغْنِي عَنْ حُضُورِكَ، وَصَدَقَ
حَالَتُكَ يَحْتَجُّ عَنْكَ، وَمَا تَقَرَّرَ عِنْدَنَا مِنْ نَيْتِكَ وَطَوَيْتِكَ يُغْنِي عَنْ اعْتِزَارِكَ.

[نفسه ص ٩٤٨].



(١) «الْثَمِيلَةُ: مَا يَكُونُ فِيهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ فِي الْجَوْفِ».

[نفسه ص ٩٧٣].

(٢) «الْغِرَارُ، بِالْكَسْرِ: الْقَلِيلُ مِنَ النَّوْمِ وَغَيْرِهِ».

[نفسه ص ٤٥٠].

(٣) «الْفَيْقَةُ، بِالْكَسْرِ: اسْمُ اللَّبَنِ يَجْتَمِعُ فِي الضَّرْعِ بَيْنَ الْحَلَبَتَيْنِ، الْجَمْعُ: فَيْقٌ، بِالْكَسْرِ،
وَفَيْقٌ، كَعَنْبٍ، وَفَيْقَاتٌ وَأَفَوَاقٌ، جَمْعُ الْجَمْعِ: أَفَاوِيقٌ».

[نفسه ص ٩٢٠].

(٤) «الْجِبَالَةُ، كَكِتَابَةِ: الْمِضْيِدَةُ، كَالْأُخْبُولِ وَالْأُخْبُولَةِ».

[القاموس المحيط: ٩٨١].

(٥) «الْغَوَائِلُ: الدَّوَاهِي».

[نفسه ص ١٠٤٠].

بين الحجاج وأهل العراق

قال عبد الملك بن مروان للحجاج: إنني استعملتك على العراق، فأخرج إليها كميّش الإزار^(١)، شديد الغرار، قليل العثار، منطوي الخصلة، قليل الثميلة، غرار التوم، طويل اليوم، واضغط الكوفة ضغطة تحبب^(٢) منها البصرة.

وشكا الحجاج يوماً سوء طاعة أهل العراق، وسقم مذهبهم، وسخط طريقتهم، فقال له جامع المحاربي: أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك، على ما سننوك^(٣) لبلدك، ولا لذات يدك، إلا لما نقموه من أفعالك، فدع ما يُبعدهم عنك إلى ما يُدنيه منك، والتمس العافية ممن دونك تُعطيها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك^(٤) بعد وعدك^(٥) ثلاثاً.

فقال له الحجاج: والله ما أرى أن أردّ بني اللّخناء إلى طاعتي إلا بالسيف. فقال جامع: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار. قال الحجاج: الخيار يومئذ لله. قال جامع: أجل، ولكن لا ندري لمن يجعله الله. فغضب الحجاج وقال: يا هَناه، إنك من مُحارب، فقال جامع:

(١) «رَجُلٌ كَمِيشُ الْإِزَارِ: مُشْمَرُهُ».

[القاموس المحيط: ٦٠٤].

(٢) «الْحَبَبُ، بالكسر، وَكَالْغُرَابِ: الضَّرَاطُ، وأكثر استعماله في الإبل والعَنَمِ. وَقَدْ حَبَّقَ يَحْبِقُ حَبْقًا وَحَبَقًا، كَكَتَفٍ وَغُرَابٍ».

[القاموس المحيط: ٨٧٢].

(٣) أبغضوك.

(٤) و(٥) «الْوَعْدُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ يُقَالُ: وَعَدَ يَعِدُ بِالْكَسْرِ وَغَدًا. قَالَ الْفَرَّاءُ: يُقَالُ: وَعَدْتُهُ خَيْرًا ووعدته شراً فإذا أسقطوا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ قالوا في الْخَيْرِ: الْوَعْدُ والْعِدَّةُ، وفي الشَّرِّ الْإِيْعَادُ وَالْوَعِيدُ فَإِنْ أَدْخَلُوا الْبَاءَ فِي الشَّرِّ جَاؤُوا بِالْأَلْفِ فَقَالُوا: أَوَعَدَهُ بِالسَّجْنِ وَنَحْوِهِ».

[مختار الصحاح: ٣٠٣].

وَلِلْحَرْبِ سُمِّيْنَا وَكُنَّا مُحَارِبًا إِذَا مَا الْقَنَاءُ^(١) أَمْسَى مِنَ الطَّغْنِ أَخْمَرَا

فقال له الحجاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك، فأضرب به وجهك. فقال جامع: إِنْ صَدَقْنَاكَ أَغْضَبْنَاكَ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ أَغْضَبْنَا اللَّهَ. فقال الحجاج: أجل، وسكن سلطانه، وشغل ببعض الأمر، وخرج جامع وأنسل من صفوف الناس، وانحاز إلى جبل العراق.

وكان جامع لَسِينًا^(٢) مُفَوِّهًا^(٣)، وهو الذي يقول للحجاج حين بنى واسطاً: بنيتها في غير بلدك، وأورثتها غير ولدك.

[نفسه ص ٩٧٥ - ٩٧٦].



بين خالد بن صفوان وعلي بن الجهم

دخل خالد بن صفوان على علي بن الجهم بن أبي حذيفة فألفاه يُريد الرّكوب فَقَرَّبَ إليه حمار ليركبه، فقال خالد: أما علمت أَنَّ الْعَيْرَ^(٤) عار، والجِمار شَنَارٌ^(٥)، مُنْكَرُ الصَّوْتِ، قَبِيحُ الْقَوْتِ^(٦)، مُتَزَلِّجٌ فِي الضَّحْلِ،

(١) «الْقَنَاءُ: الرُّمْحُ. الجمع: قَنَوَاتٌ وَقَنَاءٌ».

[القاموس المحيط: ١٣٢٦].

(٢) «اللسنُ بفتحيتين: الفصاحة، وقد لَسِنَ مِنْ بَابِ طَرِبَ فَهُوَ لَسِينٌ وَأَلْسَنُ».

[مختار الصحاح: ٢٤٩].

(٣) «مُفَوِّهٌ، كَمُعْظَمٍ، وَفِيهِ، كَكَيْسٍ: مِنْطِيقٌ».

[نفسه ص ١٢٥١].

(٤) «الْعَيْرُ: الْجِمَارُ، وَغَلَبَ عَلَى الْوَحْشِيِّ الْجَمْعُ: أَغْيَارٌ وَعِيَارٌ وَعُيُورٌ وَعُيُورَةٌ».

[القاموس المحيط: ٤٤٧].

(٥) «الشَّنَارُ، بِالْفَتْحِ: أَقْبَحُ الْعَيْبِ، وَالْعَارُ، وَالْأَمْرُ الْمَشْهُورُ بِالشُّنْعَةِ».

[نفسه ص ٤٢٠].

(٦) «فَانَّهُ الْأَمْرُ قَوْنًا وَقَوَاتًا: دَهَبَ عَنْهُ، كَافْتَانَهُ».

[نفسه ص ١٥٧].

مُرْتَطِمٌ فِي الْوَحْلِ، لَيْسَ بِرَكُوبَةِ فَحْلٍ، وَلَا بِمِطْيَةٍ^(١) رَخْلٍ، رَاكِبُهُ مُقَرَفٌ^(٢)، وَمُسَايِرُهُ مُشْرِفٌ.

فَاسْتَوْحَشَ ابْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ رُكُوبِ الْحِمَارِ وَنَزَلَ عَنْهُ، وَرَكِبَ فَرَساً وَدَفَعَ الْحِمَارَ إِلَى خَالِدٍ فَرَكِبَهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ يَا خَالِدُ! أَتُنْهَى عَنْ شَيْءٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ؟

فَقَالَ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! عَيْرٌ مِنْ بَنَاتِ الْكِزْبَالِ^(٣)، وَاضِحُ السَّرْبَالِ^(٤) مُخْتَلَجُ الْقَوَائِمِ، يَحْمِلُ الرَّجْلَةَ، وَيَبْلُغُ الْعُقْبَةَ، وَيَمْنَعُنِي أَنْ أَكُونَ جَبَّاراً عَنِيداً، إِنْ لَمْ أَعْتَرَفْ بِمَكَانِي فَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمَهْتَدِينَ.

[نفسه ص ٩٨٣ - ٩٨٤].



عَفْوٌ عَنْ ذِي جَرِيرَةٍ

قَالَ رَجُلٌ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ: اشْفَعْ لِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي فَكِّ أَخِي مِنْ حَبْسِهِ، وَكَانَ مَحْبُوساً فِي عِدَادِ الْعَصَاةِ، فَقَالَ لِلْمَأْمُونِ: لَيْسَ لِلْعَاصِي بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ ذَنْبٌ، وَلَيْسَ لِلْمَصَابِ بَعْدَ الْمَلِكِ عَذْرٌ. فَقَالَ: صَدَقْتَ، فَمَا طَلَبْتِكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ هَبَّهَ لِي. قَالَ: هُوَ لَكَ.

[نفسه ص ٩٩١].

(١) «الْمِطْيَةُ: الدَّابَّةُ تَمْطُو فِي سِيرِهَا الْجَمْعُ: مَطَايَا وَمِطْيٌ».

[القاموس المحيط: ١٣٣٥].

(٢) «الْمُقَرَفُ، كَمُخْسِنٍ مِنَ الْفَرَسِ وَغَيْرِهِ: مَا يُدَانِي الْهَجْنَةَ، أَيْ أُمُّهُ عَرَبِيَّةٌ لَا أَبُوهَ، لِأَنَّ الْإِقْرَافَ مِنْ قَبْلِ الْفُحْلِ، وَالْهَجْنَةُ مِنْ قَبْلِ الْأُمِّ».

[نفسه ص ٨٤٤].

(٣) «الْكِزْبَالُ، بِالْكَسْرِ، مِنْدَفُ الْقُطْنِ».

[القاموس المحيط: ١٠٥٢].

(٤) «السَّرْبَالُ، بِالْكَسْرِ: الْقَمِيصُ، أَوِ الدَّرْعُ، أَوْ كُلُّ مَا لُبِسَ، وَقَدْ تَسَرَّبَلَ بِهِ، وَسَرَّبَلَتْهُ».

[نفسه ص ١٠١٤].

بين ابن السمّك والرّشيد

قال ابن السمّك للرّشيد - وقد عجب من رفته وحسن إصاحته^(١) لموعظته وبليغ قبوله لقوله وسرعة دمعه على وجنته -: «يا أمير المؤمنين، لتواضعك في شرفك أشرف من شرفك، وإنّي أظنّ أنّ دمعتك هذه قد أطفأت أودية من النّار وجعلتها برداً وسلاماً.

[«الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيّان التوحيدي، تحقيق: محمد الفاضلي، ص ٢٣].



محادثة الإخوان

لفوائد الحديث ما صَنَّف أبو زيد رسالة لطيفة الحجم في المنظر، شريفة الفوائد في المَخْبَر، تجمع أصناف ما يقتبس من العلم والحكمة والتّجربة في الأخبار والأحاديث، وقد أحصاها واستقصاها وأفاد بها، وهي حاضرة، فقال: احملها واكتبها، ولا تَمِلْ إلى البخل بها على عادة أصحابنا الغثا. قلت: السمع والطاعة.

ثمّ رويت أنّ عبد الملك بن مروان قال لبعض جلسائه: قد قضيت الوطر من كلّ شيء إلاّ من محادثة الإخوان في الليالي الزّهر، على التّلال العُفر.

وأحسن من هذا ما قال عمر بن عبدالعزيز قال:

والله إنّي لأشتري ليلة من ليالي عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بألف دينار من بيت مال المسلمين. فقيل: يا أمير المؤمنين، أتقول هذا مع تحرّيك وشدة تحفّظك وتنزهك؟ فقال: أين يُذهب بكم؟ والله إنّي لأعود

(١) «أصاخ له: استمع».

بِرَأْيِهِ وَنُصْحِهِ وَهَدَايَتِهِ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِأَلُوفٍ وَأَلُوفِ الدَّنَانِيرِ، إِنَّ فِي الْمَحَادَثَةِ تَلْقِيحاً لِلْعُقُولِ، وَتَرْوِيحاً لِلْقَلْبِ، وَتَسْرِيحاً لِلْهَمِّ، وَتَنْقِيحاً لِلْأَدَبِ.

قال: صدق هذا الإمام في هذا الوصف، إِنَّ فِيهِ هَذَا كُلَّهُ.

قُلْتُ: وَسَمِعْتُ أَبَا سَعِيدِ السَّرَافِيِّ يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ السَّرَاجِ يَقُولُ: دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ الرُّومِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قَضَى فِيهِ، فَأَنْشَدَنَا قَوْلَهُ:

وَلَقَدْ سَأَلْتُ مَارِيَّ^(١) فَكَأَنَّ أَطْيَبَهَا خَبِيثُ
إِلَّا الْحَدِيثَ فَلِإِنَّهُ مِثْلُ اسْمِهِ أَبْدَأَ حَدِيثُ

وقال سليمان بن عبد الملك: «قَدْ رَكَبْنَا الْفَارَةَ^(٢)، وَتَبَطَّنَا الْحَسَنَاءَ، وَلَبَسْنَا اللَّيْنَ، وَأَكَلْنَا الطَّيِّبَ حَتَّى أَجْمَنَاهُ^(٣)، وَمَا أَنَا الْيَوْمَ إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنِّي إِلَى جَلِيسٍ يَضَعُ عَنِّي مَوْونَةَ التَّحْفِظِ وَيُحَدِّثُنِي بِمَا لَا يَمُجُّهُ^(٤) السَّمْعُ، وَيَطْرِبُ إِلَيْهِ الْقَلْبُ».

وهذا أيضاً حَقٌّ وَصَوَابٌ، لِأَنَّ النَّفْسَ تَمَلُّ، كَمَا أَنَّ الْبَدَنَ يَكِلُّ، وَكَمَا أَنَّ الْبَدَنَ إِذَا كَلَّ طَلَبَ الرَّاحَةَ، كَذَلِكَ النَّفْسُ إِذَا مَلَّتْ طَلَبَتْ الرُّوحَ^(٥)، وَكَمَا لَا بُدَّ لِلْبَدَنِ أَنْ يَسْتَمِدَّ وَيَسْتَفِيدَ بِالْجَمَامِ^(٦) الذَّاهِبِ بِالْحَرَكَةِ الْجَالِبَةِ

(١) «الْإِزْبُ، بِالْكَسْرِ: الْحَاجَّةُ، كَالِإِزْبَةِ بِالْكَسْرِ وَالضَّمُّ، وَالْأَرْبُ، مُحَرَّكَةٌ، وَالْمَارَبَةُ، مَثَلَةُ الرِّاءِ».

[القاموس المحيط: ٥٨].

(٢) «الْفَارَةُ مِنَ الدَّوَابِّ: الْجَيْدُ السَّيْرِ».

[مختار الصحاح: ٢١٠].

(٣) «أَجَمَ الطَّعَامَ وَغَيْرَهُ يَأْجِمُهُ: كَرِهَهُ وَمَلَّهُ».

[القاموس المحيط: ١٠٧٤].

(٤) «مَجَّ الشَّرَابَ مِنْ فِيهِ: رَمَى بِهِ وَبَاهَهُ رَدًّا».

[مختار الصحاح: ٢٥٧].

(٥) «الرُّوحُ، بِالْفَتْحِ: الرِّاحَةُ».

[القاموس المحيط: ٢٢٠].

(٦) «الْجَمَامُ، كَسَحَابٍ: الرِّاحَةُ».

[نفسه ص ١٠٨٩].

لِلنَّصَبِ^(١) وَالضَّجَرِ، كَذَلِكَ لَا بُدَّ لِلنَّفْسِ مِنْ أَنْ تَطْلُبَ الرُّوحَ عِنْدَ تَكَاثُفِ الْمَلَلِ الدَّاعِي إِلَى الْخَرَجِ فَإِنَّ الْبَدَنَ كَثِيفُ النَّفْسِ، وَلِهَذَا يُرَى بِالْعَيْنِ، كَمَا أَنَّ النَّفْسَ لَطِيفَةُ الْبَدَنِ، وَلِهَذَا لَا تُوجَدُ إِلَّا بِالْعَقْلِ، وَالنَّفْسُ صَفَاءُ الْبَدَنِ، وَالْبَدَنُ كَدْرُ النَّفْسِ.

فَقَالَ: أَحْسَنْتَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ عَلَى هَذِهِ التَّوْشِيحَاتِ وَأَعْجَبَنِي تَرْحَمُكَ عَلَى شَيْخِكَ أَبِي سَعِيدٍ، فَمَا كُلُّ أَحَدٍ يَسْمَحُ بِهَذَا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ، وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يَأْبَهُ لِهَذَا الْفِعْلِ، هَاتِ مِلْحَةَ الْوَدَاعِ حَتَّى نَفْتَرِقَ عَنْهَا، ثُمَّ نَأْخُذْ لَيْلَةَ أُخْرَى فِي شُجُونِ الْحَدِيثِ.

قُلْتُ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَيْفِ الْكَاتِبِ الرَّأْوِي، قَالَ: رَأَيْتُ جَحْظَةَ قَدْ دَعَا بَنَاءً لِيَبْنِيَ لَهُ حَائِطًا، فَحَضَرَ فَلَمَّا أَمْسَى اقْتَضَى الْبَنَاءُ الْأَجْرَةَ، فَتَمَاسَا وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ طَلَبَ عَشْرِينَ دِرْهَمًا، فَقَالَ جَحْظَةُ: إِنَّمَا عَمَلْتُ يَا هَذَا نِصْفَ يَوْمٍ وَتَطْلُبُ عَشْرِينَ دِرْهَمًا؟ قَالَ: أَنْتَ لَا تَدْرِي، إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ حَائِطًا يَبْقَى مِائَةَ سَنَةٍ، فَيَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ وَجَبَ الْحَائِطُ وَسَقَطَ، فَقَالَ جَحْظَةُ: هَذَا عَمَلُكَ الْحَسَنُ؟ قَالَ: فَأَرَدْتُ أَنْ يَبْقَى أَلْفَ سَنَةٍ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ كَانَ يَبْقَى إِلَى أَنْ يَسْتَوْفِيَ أَجْرَتَكَ. فَضَحَكَ - أَضْحَكَ اللَّهُ سَنَّهُ -.

[نفسه ص ٢٥ - ٢٦].



مِنْ رَسَائِلِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ، عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، قَالَ: كَتَبَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى الْحَجَّاجِ: أَنْتَ عِنْدِي كَسَالِمٌ، فَلَمْ يَذِرْ مَا هُوَ، فَكَتَبَ إِلَى قَتِيبَةَ يَسْأَلُهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ:

يُذِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُذِيرُهُمْ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْأَنْفِ وَالْعَيْنِ سَالِمٌ

ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى: أَنْتَ عِنْدِي قِدْحُ ابْنِ مُقْبَلٍ، فَلَمْ يَدِرْ مَا هُوَ، فَكَتَبَ إِلَى قُتَيْبَةَ يَسْأَلُهُ - وَكَانَ قُتَيْبَةُ قَدْ رَوَى الشَّعْرَ - فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ ابْنَ مُقْبَلٍ نَعَتَ قِدْحًا لَهُ فَقَالَ:

عَدَا وَهُوَ مَجْدُولٌ^(١) وَرَاحَ كَأَنَّهُ مِنَ الْمَشِّ وَالتَّقْلِيْبِ بِالْكَفِّ أَفْطَحَ خُرُوجَ مِنَ الْعُمَى إِذَا صُكَّ صَكَّةٌ بَدَا وَالْعُيُونُ الْمُسْتَكِفَّةُ تَلْمَحُ
قال أبو علي: الْمَشُّ: الْمَسْحُ، وَالْمَشُوشُ: الْمِنْدِيلُ، قال امرؤ القيس:

نَمْشُ بِأَغْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفْنَا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءٍ مُضْهَبٍ^(٢)
وَالْعُمَى: الشَّدَّةُ الَّتِي تَغْمُ، أَي: تُعْطِي. وَالْمُسْتَكِفَّةُ مِنْ قَوْلِهِمْ: اسْتَكْفَفْتُ الشَّيْءَ إِذَا وَضَعْتَ يَدَكَ عَلَى حَاجِبِكَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَاهُ كَالَّذِي يَسْتَظِلُّ مِنَ الشَّمْسِ.

[«الأمالي» لأبي علي القالي، تحقيق: الشيخ صلاح الدين بن فتحي هلال، والشيخ سيّد بن عباس الجليمي ص ٢٧ - ٢٨].



عبد الملك بن مروان وكُثَيِّرُ عَزَّةَ

قال أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي: وأخبرنا أبو بكر، قال: أخبرنا السَّكَنُ بن سعيد، قال: أخبرنا علي بن نصر الجهضمي، قال: دخل

(١) «رَجُلٌ مَجْدُولٌ: لَطِيفُ الْقَصَبِ، مُحْكَمُ الْقَنْلِ، وَسَاعِدٌ أَجْدَلُ. وَسَاقٌ مَجْدُولَةٌ وَجَدْلَاءُ: حَسَنَةُ الطَّيِّ».

[القاموس المحيط: ٩٧٥].

(٢) «ضَهَبُهُ تَضْهِياً: شَوَاهُ عَلَى حِجَارَةٍ مُخَمَّاةٍ، وَشَوَاهُ وَلَمْ يَبَالِغْ فِي نَضْجِهِ».

[القاموس المحيط: ١٠٨].

كثِير على عبد الملك بن مروان رحمه الله! فقال عبد الملك بن مروان: أنت كثير عزة؟ قال: نعم، قال: أن تسمع بالمُعِيدِي خَيْر من أن تراه، فقال: يا أمير المؤمنين، كُلُّ عند مَحَلِّه رَحِب الفِئاء، شامِخ البِناء، عالي السَّناء، ثُمَّ أنشأ يقول:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ^(١) وَفِي أَثَوَابِهِ أَسَدٌ هَـصُورُ^(٢)
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ^(٣) إِذَا تَرَاهُ فَيُخْلِفُ ظَنُّكَ الرَّجُلَ الطَّرِيرُ
بُغَاثُ^(٤) الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا رِقَاباً وَلَمْ تَطُلِ الْبُزَاةُ وَلَا الصَّقُورُ
خَشَاشُ^(٥) الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحاً وَأُمُّ الصَّقْرِ مِثْلَاتُ^(٦) نَزُورُ^(٧)
ضِعَافُ الْأَسَدِ أَكْثَرُهَا زَيْراً وَأَضْرَمَهَا اللَّوَاتِي لَا تَزِيرُ^(٨)
وَقَدْ عَظَّمَ الْبَعِيرُ بَغَيْرِ لُبٍّ^(٩) فَلَمْ يَسْتَفْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ

(١) «المُزْدَرِي: الْمُخْتَقِر».

[القاموس المحيط: ١٢٩٢].

(٢) «الهُصُر: الْكَسْرُ، والدَّفْع، وعطفُ شيءٍ رطب كالغُضَنِ ونحوه، وكُسْرُهُ من غَيْرِ بَيِّنَةٍ، أو عطفُ أي شيء كان. هَصْرُهُ وبِهِ يَهْصِرُهُ فَانْهَصَرَ وَانْتَهَصَرُهُ فَانْهَصَرَ».

[نفسه ص ٤٩٨].

(٣) «الطَّرُّ: طُلُوع النَّبْتِ وَالشَّارِبِ، يَطْرُ وَيَطْرُ، وَغَلَامٌ طَارٌ وَطَرِيرٌ، كَمَا طَرَّ شَارِبُهُ».

[نفسه ص ٤٣٠].

(٤) «الْبُغَاثُ، مُثَلَّثَةٌ: طَائِرٌ أَغْبَرٌ، الْجَمْع: كَغَزْلَانٍ، وَشِرَارُ الطَّيْرِ».

[القاموس المحيط: ١٦٥].

(٥) «الْخَشَاشُ، مُثَلَّثَةٌ: حَشَرَاتُ الْأَرْضِ، وَالْعَصَافِيرُ وَنَحْوُهَا».

[نفسه ص ٥٩٢].

(٦) «الْمِثْلَاتُ: نَاقَةٌ تَضَعُ وَاحِداً ثُمَّ لَا تَحْمِلُ، وَامْرَأَةٌ لَا يَعْيشُ لَهَا وَلَدٌ».

[نفسه ص ١٥٨].

(٧) «النَّزُورُ: الْمَرْأَةُ الْقَلِيلَةُ الْوَلَدِ».

[نفسه ص ٤٨١].

(٨) «الزَّأْرُ وَالزُّيْرُ: صَوْتُ الْأَسَدِ مِنْ صَوْتِهِ، كَالْتَزَوُّرِ، وَقَدْ زَأَرَ، كَضَرَبَ وَمَنَعَ وَسَمِعَ، وَأَزَارَ».

[القاموس المحيط: ٣٩٨].

(٩) «اللُّبُّ: الْعَقْلُ، الْجَمْع: أَلْبَابٌ وَأَلْبٌ وَأَلْبَبٌ».

[نفسه ص ١٣٣].

يُنَوِّخُ^(١) ثُمَّ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوِي^(٢) فَلَا عَرْفَ لَدَيْهِ وَلَا تَكِيرُ
يُقَوِّدُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ أَرْضٍ وَيَنْحَرُهُ عَلَى الثَّرْبِ الصَّغِيرِ
فَمَا عَظُمَ الرِّجَالِ لَهُمْ بَزِينٍ وَلَكِنْ زَيْنُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ

فقال عبد الملك: لله ذرُّه، ما أفصح لسانه، وأضبط جَنَانَه^(٣)، وأطول
عِنَانَه! والله إنِّي لأظنه كما وصف نفسه.

[نفسه ص ٥٧].



شعر حجيّة بن مضرب في مدح بعض الملوك

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال: أنشدني عَمِّي، عن أبيه، عن ابن
الكلبي لحجيّة بن المضرب يمدح يعفر بن زرعة أحد الأملاك^(٤)، أملاك
ردمان:

إِذَا كُنْتُ سَائِلًا عَنِ الْمَجْدِ وَالْعُلَا
فَنَقَّبَ عَنِ الْأُمْلُوكِ وَاهْتَفَّ بِيَعْفَرِ^(٦)
وَأَيَّنَ الْعَطَاءُ الْجَزْلُ وَالنَّائِلُ الْعَمْرُ^(٥)
وَعِشْ جَارَ ظِلٍّ لَا يُغَالِبُهُ الدَّهْرُ
فَمَا فَوْقَهُ فَخْرٌ وَإِنْ عَظُمَ الْفَخْرُ

(١) «تَنَوَّخَ الْجَمْلُ الثَّاقَةُ: ابْرَكَهَا لِلْسُّفَادِ، كَأَنَّاخَهَا، فَاسْتَنَاحَتْ وَتَنَوَّخَتْ، وَلَا يُقَالُ: نَاحَتْ
وَلَا أَنَاخَتْ».

[القاموس المحيط: ٢٦٢].

(٢) «الْهَرَاوَةُ، بِالْكَسْرِ: الْقَصَا الْجَمْعُ: هَرَاوَى وَهَرِيٌّ وَهَرِيٌّ».

[نفسه ص ١٣٤٦].

(٣) «الْجَنَانُ: الْقَلْبُ، أَوْ رَوْعُهُ، وَالرُّوْحُ الْجَمْعُ: أَجْنَانٌ».

[القاموس المحيط: ١١٨٧].

(٤) الأملاك: اسم جمع بمعنى الملوك وهم مَقَاوِلُ حمير، أي: ملوكها.

(٥) الْكَثِيرُ.

(٦) يَعْفَرُ: اسم ملك من ملوك اليمن.

أَنَاسٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهَهُ
يَصُونُونَ أَحْسَاباً وَمَجْداً مُؤَثَّلًا^(٢)
سَمَوْا فِي الْمَعَالِي رُتَبَةً فَوْقَ رُتَبَةٍ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ فَتَضَاءَلَتْ
فَلَوْ لَامَسَ الصَّخْرُ الْأَصَمَّ^(٤) أَكْفَهُمْ
وَلَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ الْبَسِيطَةُ مِنْهُمْ
شَكَرْتُ لَكُمْ آلَاءَكُمْ^(٥) وَبَلَاءَكُمْ
فَأَيِّدِيهِمْ بِيضٌ وَأَوْجُهُهُمْ زُهْرٌ^(١)
يَبْذُلُ أَكْفٌ دُونَهَا الْمُزْنُ^(٣) وَالْبَحْرُ
أَحْلَنَهُمْ حَيْثُ النَّعَائِمُ وَالنَّسْرُ
لِنُورِهِمُ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ وَالْبَذْرُ
لِفَاضَتِ يَنَابِيعِ النَّدى ذَلِكَ الصَّخْرُ
لِمُخْتَبِطِ عَافٍ لَمَّا عُرِفَ الْفَقْرُ
وَمَا ضَاعَ مَعْرُوفٌ يُكَافِئُهُ شُكْرُ
[نفسه ص ٦٣].



خبر هشام بن عبد الملك

حَدَّثَنَا أَبُو الْمِيَّاسِ الرَّائِيَّة، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ بَعْضِ شُيُوخِهِ، قَالَ: كَانَتْ وَلِيمَةٌ فِي قُرَيْشٍ تَوَلَّى أَمْرَهَا مَقَّاسُ الْفَقْعَسِيِّ، فَأَجْلَسَ عُمَارَةَ الْكَلْبِيِّ فَوْقَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَحْفَظَهُ ذَلِكَ وَآلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ مَتَى أَفْضَتْ^(٦) الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ عَاقِبُهُ، فَلَمَّا جَلَسَ فِي الْخِلَافَةِ أَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِهِ وَتُقْلَعَ أَضْرَاسُهُ وَأُظْفَارُ يَدَيْهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ، فَأَنشَأَ يَقُولُ:

(١) «الزُّهْرُ، بِالضَّمِّ: الْبَيَاضُ، وَالْحُسْنُ، وَقَدْ زَهَرَ، كَفَرِحَ وَكَرُمَ، وَهُوَ أَزْهَرُ».

[القاموس المحيط: ٤٠٣].

(٢) «تَأَثَّلَ: تَأَصَّلَ».

[القاموس المحيط: ٩٦٠].

(٣) «الْمُزْنُ، بِالضَّمِّ: السَّحَابُ، أَوْ أُبَيْضُهُ، أَوْ دُوُ الْمَاءِ، الْقِطْعَةُ: مُزْنَةٌ».

[نفسه ص ١٢٣٤].

(٤) «حَجَرَ أَصَمَّ. وَصَخْرَةً صَمَاءً: ضَلَبَ مُصَمَّتًا».

[القاموس المحيط: ١١٣٠].

(٥) «الْآلَاءُ: النِّعَمُ، وَاجِدُهَا: إِلَيَّ وَالْوُ وَالْيُ وَالْيُ وَالْيُ».

[نفسه ص ١٢٦٠].

(٦) آَلَتْ إِلَيْهِ.

عَذَّبُونِي بِعَذَابٍ قَلَعُوا جَوْهَرَ رَاسِي
ثُمَّ زَادُونِي عَذَابًا نَزَعُوا عَنِّي طَسَاسِي
بِالْمُدَى حُرْزَ لَحْمِي وَبِأَطْرَافِ الْمَوَاسِي

قال أبو علي: قال أبو العباس قال لي أبو الميَّاس: الطَّسَّاسُ: الأظفار، ولم أرَ أحداً من أصحابنا يعرفه، ثم أخبرني رجل من أهل اليمن قال: يُقال عندنا طَسُّهُ إذا تناوله بأطراف أصابعه.

[نفسه ص ٦٥ - ٦٦].



شعر الأحوص في سؤال يزيد بن عبد الملك، وفطنته في ذلك

حدَّثنا أبو بكر بن دُرَيْد، قال: أخبرنا الرِّياشي، عن ابن سلام، قال: بلغني أنَّ الأحوص دخل على يزيد بن عبد الملك فقال له يزيد: لو لم تُمِتْ^(١) إلينا بحرمة، ولا تَوَسَّلْتَ بِدَالَةٍ^(٢)، ولا جَدَّدْتَ لَنَا مَذْحًا، غير أنَّك مقتصر على بيتك لاستوجبنا عندنا جَزِيلَ الصَّلَةِ، ثمَّ أنشد يزيد:

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكُمْ أَنْ يَقُودَنِي إِلَى غَيْرِكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ
وَأَنْ أَجْتَدِي لِلنَّفْعِ غَيْرَكَ مِنْهُمْ وَأَنْتَ إِمَامٌ لِلْبَرِيَّةِ مَقْنَعُ

وقال الرِّياشي: وإنما قال هذين البيتين في عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

[نفسه ص ٧٧ - ٧٨].

(١) «المَتُّ: التَّوَسُّلُ بِقَرَابَةٍ، كَالْمَتْمَتَةِ».

[القاموس المحيط: ٤٦٠].

(٢) «الدَّالَّةُ: مَا تَدُلُّ بِهِ عَلَى حِمِيمِكَ».

[نفسه ص ١٠٠٠].

خبر كرم يحيى بن طالب الحنفي وركوب الدين له، واضطراره لسؤال السلطان

حدثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أبو محمد بن سعيد، قال: كان يحيى بن طالب الحنفي شيخاً كريماً يقري^(١) الأضياف ويطعم الطعام. فركبه الدين الفادح، فجلا عن اليمامة إلى بغداد يسأل السلطان قضاء دينه، فأراد رجل من أهل اليمامة الشخص من بغداد إلى اليمامة، فشيّعه يحيى بن طالب، فلما جلس الرجل في الزورق ذرفت عينا يحيى وأنشأ يقول:

أَحَقُّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَاطِرًا
إِذَا ارْتَحَلْتُ نَحْوَ الْيَمَامَةِ رُفْقَةً
أَقُولُ لِمُوسَى وَالذَّمُوعُ كَأَنَّهَا
أَلَا هَلْ لِشَيْخٍ وَابْنِ سِتِينَ حِجَّةٌ
كَأَنَّ فُؤَادِي كَلَّمَا مَرَّ رَاكِبٌ
يُزْهِدُنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ صَنَعْتُهُ
فَيَا حَزَنًا مَاذَا أَجِئُ^(٥) مِنَ الْهَوَى

إِلَى قَرْقَرَى يَوْمًا وَأَغْلَامِهَا الْخُضْرُ
دَعَاكَ الْهَوَى وَاهْتِاجٌ^(٢) قَلْبَكَ الذِّكْرُ
جَدَاوِلُ مَاءٍ فِي مَسَارِبِهَا^(٣) تَجْرِي
بَكَى طَرِبًا^(٤) نَحْوَ الْيَمَامَةِ مِنْ عُذْرِ
جَنَاحِ غُرَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى وَكْرِ
إِلَى النَّاسِ مَا جَرَّبْتُ مِنْ قِلَّةِ الشُّكْرِ
وَمِنْ مُضْمَرِ الشُّوقِ الدَّخِيلِ^(٦) إِلَى حِجْرِ

(١) «قَرَى الضَّيْفَ قَرَى، بالكسر والقصر والفتح والمد: أَضَافَهُ».

[القاموس المحيط: ١٣٢٤].

(٢) «هَاجَ يَهِيْجُ هَيْجًا وَهَيْجَانًا وَهَيْجًا، بالكسر: نَارٌ، كَاهْتِاجٌ وَتَهَيَّجٌ».

[القاموس المحيط: ٢١١].

(٣) «الْمَسْرَبَةُ: الْمَرْعَى، الْجَمْعُ: مَسَارِبٌ».

[القاموس المحيط: ٩٦].

(٤) «الطَّرِبُ؛ مُحَرَّكَةٌ: الْفَرَحُ، وَالْحُزْنُ، ضِدُّهُ، أَوْ خِفَّةٌ تَلْحَقُكَ، تَسْرُكٌ أَوْ تَحْزَنُكَ، وَتَخْصِيصُهُ بِالْفَرَحِ وَهُمْ».

[نفسه ص ١٠٩].

(٥) «جَاءَ اللَّيْلُ، وَعَلَيْهِ جَأٌ وَجُونًا وَأَجْنَةٌ: سَتَرُهُ، وَكُلُّ مَا سَتَرَ عَنْكَ فَقَدْ جُنَّ عَنْكَ».

[القاموس المحيط: ١١٨٧].

(٦) «حُبٌّ دَخِيلٌ: دَاخِلٌ».

[نفسه ص ٩٩٨].

تَعَزَّبْتُ^(١) عَنْهَا كَارِهَاً فَتَرَكْتُهَا
لَعَلَّ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ يَعْلَمُهُ
وَكَانَ فِرَاقِيهَا أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ
سَيَضُرُّنِي يَوْمًا إِلَيْهَا عَلَى قَدْرِ
فَتَفْتُرَ^(٢) عَيْنٌ مَا تَمَلُّ مِنَ الْبُكَاءِ
وَيَضْحُو قَلْبٌ مَا يُنْهِنُهُ^(٣) بِالزَّجْرِ
[نفسه ص ١٢٦].



خطبة بعض القرشيين عند هشام بن عبد الملك

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ:
قَدِمَ وَفَدَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هِشَامَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَقَالُ
لَهُ: إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ، وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ سِنًا، وَأَفْضَلَهُمْ رَأْيًا وَجِلْمًا، فَقَامَ
مَتَوَكِّنًا عَلَى عَصَا وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ خُطْبَاءَ قُرَيْشٍ قَدْ قَالَتْ فِيكَ
فَأَصْنَبْتَ، وَأَنْتَ عَلَيَّ فَأَحْسَنْتَ، وَوَاللَّهِ مَا بَلَغَ قَائِلُهُمْ قَدْرَكَ، وَلَا أَحْصَى
مُثْنِيَهُمْ فَضْلَكَ، أَفَتَأْذَنُ لِي فِي الْكَلَامِ؟ قَالَ: تَكَلِّمْ، قَالَ: أَفَأَوْجِزُ أَمْ
أُطِيبُ^(٤)؟ قَالَ: بَلْ أَوْجِزْ. قَالَ: تَوَلَّكَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَسَنِ، وَزَيْنَكَ
بِالثَّقَفِي، وَجَمَعَ لَكَ خَيْرَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، إِنَّ لِي حَوَائِجَ فَأَذْكُرُهَا؟ قَالَ:
نَعَمْ، كَبُرَتْ سِنِّي، وَضَعَفَتْ قُوَايَ، وَاشْتَدَّتْ حَاجَتِي، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْبُرَ كَسْرِي، وَيَنْفِي فَقْرِي، قَالَ: يَا ابْنَ أَبِي الْجَهْمِ، مَا يَجْبُرُ
كَسْرَكَ وَيَنْفِي فَقْرَكَ؟ قَالَ: أَلْفَ دِينَارٍ وَأَلْفَ دِينَارٍ وَأَلْفَ دِينَارٍ، قَالَ: هِيَاهُ

(١) «الْعُزُوبُ: الْعَيْثُ، يَغْزُبُ وَيَغْزُبُ، وَالذَّهَابُ».

[نفسه ص ١١٤].

(٢) «فَتَرُ يَفْتُرُ وَيَفْتُرُ فُتُورًا وَفُتَارًا: سَكَنَ بَعْدَ حِدَّةٍ، وَلَآنَ بَعْدَ شِدَّةٍ».

[القاموس المحيط: ٤٥٤].

(٣) «نَهْنَهُ عَنْ الْأَمْرِ فَتَنَهْنَهُ: كَفَّهُ، وَزَجَرَهُ فَكَفَّ. وَأَصْلُهَا: نَهْنَهُ».

[نفسه ص ١٢٥٥].

(٤) «أُطِيبَ الرَّجُلُ: أَتَى بِالْبَلَاغَةِ فِي الْوَصْفِ، مَذْحًا كَانَ أَوْ دُمًّا».

[القاموس المحيط: ١١٠].

يا ابن أبي الجهم! بيت المال لا يحتمل هذا، قال: كأنك آليت يا أمير المؤمنين ألا تقضي لي حاجة مقامي هذا، قال: ألف دينار لماذا؟ قال: أقضي بها ديناً قد قدَحَني^(١) حملة، وأرهقني^(٢) أهله، قال: نعم المسلك أسلكتها، ديناً قضيت، وأمانة أدّيت، قال: وألف دينار لماذا؟ قال: أزوّج بها من أدرك من ولدي، فأشدّ بهم عَضْدي، ويكثر بهم عددي، قال: ولا بأس، أغضضت طرفاً، وحضنت فرجاً، وأمّزت نسلاً، وألف دينار لماذا؟ قال: اشتري بها أرضاً فأعود بفضلها على ولدي، وبفضل فضلها على ذوي قراباتي، قال: ولا بأس، أردت ذخراً، ورجوت أجراً، ووصلت رحماً قد أمرنا لك بها، فقال: الله المحمود على ذلك، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحم خيراً، فقال هشام: تالله ما رأيت رجلاً أَلطف في سؤال، ولا أرفق في مقال من هذا، هكذا فليكن القَرَشِي.

[نفسه ص ١٤٧].



حسن سؤال رجل لعبد الملك

حدّثنا أبو بكر قال: أخبرنا أبو حاتم، عن العتبي، قال: قال رجل لعبد الملك بن مروان - رحمه الله تعالى -: يا أمير المؤمنين، هزّزت دَوائب الرّحال إليك، فلم أجِدْ معوّلاً إلاّ عليك، أمتطي^(٣) اللّيل بعد النّهار، وأقطع المجاهل بالآثار، يقودوني نحوك رجاء، وتَسوقني إليك بلوى، والتّفس

(١) «قدَحَهُ الدّينُ، كَمَنَعَ: أثقله».

[القاموس المحيط: ٢٣٣].

(٢) «رَهَقَهُ، كَفَرَحَ: غَشِيَهُ ولحقه، أو دَنَا مِنْهُ، سَوَاءٌ أَخَذَهُ أو لم يأخذه».

[نفسه ص ٨٨٩].

(٣) «المَطِيَّةُ: الدّابَّةُ تَمْطُو في سيرها، الجمع: مَطَايَا وَمَطِيٌّ. وامتَطَاها وأمطّاها: جعلها مَطِيَّةً».

[القاموس المحيط: ١٣٣٥].

راغبة، والاجتهاد عار، وإذا بلغتكَ فَقَذَنِي^(١)، قال: احطُطْ عن راحلتك فقد بلغت.

[نفسه ص ١٩٢].



مِنْ أَخْبَارِ الْمَأْمُونِ

حدَّثنا الأخفش، قال: بلغني أَنَّ إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون قبل رضاه عنه فقال: يا أمير المؤمنين، وَلِيَّ الثَّأْرِ مُحَكَّمٌ فِي الْقِصَاصِ، وَمَنْ تَنَاوَلَهُ الْاِغْتِرَارُ بِمَا مَدَّ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ الرَّخَاءِ أَمِنْ عَادِيَةِ الدَّهْرِ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ ذِي ذَنْبٍ، كَمَا جَعَلَ كُلَّ ذِي ذَنْبٍ دُونَكَ، فَإِنْ تَأَخَذَ فِحْقُكَ، وَإِنْ تَغَفُّ فَبِفَضْلِكَ، ثُمَّ قَالَ:

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَغْظَمُ مِنْهُ
فَخُذْ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَاضْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فِعَالِي مِنْ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

فقال: القدرة تُذهب الحَفِظَةَ^(٢)، والنَّدَمُ توبة، وعَفُوُّ الله بينهما، وهو أكبر ما يُحَاوَلُ، يا إبراهيم! لقد حَبَبْتَ إِلَيَّ الْعَفْوَ حَتَّى خِفْتُ أَلَّا أُوجَرَ عَلَيْهِ، لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكَ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، وَعَفَا عَنْهُ وَأَمَرَ بِرَدِّ مَالِهِ وَضِيَاعِهِ، فَقَالَ:

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي
فَأَبْتُ مِنْكَ وَمَا كَافَأْتُهَا بِبَيْدٍ هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ وَفْرِ^(٣) وَمِنْ عَدَمٍ

(١) اكفني.

(٢) «الْحَفِظَةُ: الْحِمِيَّةُ، وَالْعَضْبُ».

(٣) «الْوَفْرُ: الْغِنَى».

[القاموس المحيط: ٦٩٥].

[القاموس المحيط: ٤٩٣].

وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاخْتَجَّ عِنْدَكَ لِي
فَلَوْ بَدَّلْتُ دَمِي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ
مَقَامَ شَاهِدٍ عَذْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ
وَالْمَالِ حَتَّى أَسْلُ الثَّغْلَ مِنْ قَدَمِي
إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تَهَبْهَا كُنْتُ لَمْ تَلَمْ
[نفسه ص ١٩٣ - ١٩٤].



أدب الولاة

حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ نَفْطُويهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى،
عَنْ حَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي صَبَّاحُ بْنُ خَاقَانَ، قَالَ:
قَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِبَعْضِ الْوُلاَةِ: قَدِمْتُ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ بَقْسَطِهِ مِنْ
وَجْهِكَ وَكَرَامَتِكَ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَحَدٍ، أَوْ حَتَّى كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ.
[نفسه ص ٢٠٦].



بيت الرعيّة والسلاطين

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَثْمَانَ، عَنْ الْعُتْبِيِّ، عَنْ
أَبِيهِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ سَعِيدٍ، قَالَ:
حَجَّ عَتَبَةُ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ - وَالنَّاسُ قَرِيبٌ عَهْدَهُمْ بِفِتْنَةٍ - فَصَلَّى
بِمَكَّةَ الْجُمُعَةَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ وَلَيْنَا هَذَا الْمَقَامَ الَّذِي يُضَاعَفُ
فِيهِ لِلْمَحْسَنِ الْأَجْرُ، وَعَلَى الْمُسِيءِ فِيهِ الْوِزْرُ، وَنَحْنُ عَلَى طَرِيقِ مَا قَصَدْنَا،
فَلَا تَمْدُوا الْأَعْنَاقَ إِلَى غَيْرِنَا، فَإِنَّهَا تَنْقُطِعُ دُونَنَا، وَرُبَّ مُتَمَنٍّ حَتَفَهُ فِي
أَمْنِيَّتِهِ، فَاقْبَلُوا الْعَافِيَةَ مَا قَبَلْنَاهَا فِيكُمْ وَقَبَلْنَاهَا مِنْكُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَلَوْ فَإِنَّهَا أَتَعَبَتْ
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ تَرِيحَ مِنْ بَعْدِكُمْ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِينَ كُلًّا عَلَى
كُلِّ. فَصَاحَ بِهِ أَعْرَابِيٌّ: أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ، فَقَالَ: لَسْتُ بِهِ وَلَمْ تُبْعِدْ، فَقَالَ: يَا
أَخَاهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ فَقُلْتُ، فَقَالَ: تَاللَّهِ أَنْ تُخْسِنُوا وَقَدْ أَسَأْنَا، خَيْرٌ مِنْ أَنْ
تُسَيِّئُوا وَقَدْ أَحْسَنَّا، فَإِنْ كَانَ الْإِحْسَانُ لَكُمْ دُونَنَا فَمَا أَحَقَّكُمْ بِاسْتِمَامِهِ، وَإِنْ

كَانَ مَتَا فَمَا أَوْلَاكُمْ بِمَكَافَأَتِنَا، رَجُلٌ مِّنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ يَلْقَاكُمْ بِالْعُمُومَةِ، وَيَقْرُبُ إِلَيْكُمْ بِالْحُؤُولَةِ، قَدْ كَثُرَ الْعِيَالُ، وَوُطِئَ الزَّمَانُ، وَبِهِ فَقْرٌ، وَفِيهِ أَجْرٌ، وَعِنْدَهُ شُكْرٌ. فَقَالَ عَتَبَةُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكُمْ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَيْكُمْ، قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِغَنَّاكَ، فَلَيْتَ إِسْرَاعِنَا إِلَيْكَ، يَقُومُ بِإِبْطَانِنَا عَنْكَ.

[نفسه ص ٢٢٧].

بَيْنَ الرَّعِيَّةِ وَالسَّلَاطِينِ

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَثْمَانَ، عَنْ الْعُتْبِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: كُنَّا بِمِصْرَ فَبَلَّغْنَا أُمُورَ عَنْ أَهْلِهَا، فَصَعِدَ عَتَبَةُ الْمَنْبَرِ مُغْضَبًا فَقَالَ: أَيَا حَامِلِينَ أَلَامَ أَنْوْفِ رُكْبَتِ بَيْنِ أَعْيُنٍ، إِنَّمَا قَلَمْتُ أَظْفَارِي عَنْكُمْ لِيَلِينَ مَسِيَّ إِيَّاكُمْ، وَسَأَلْتُكُمْ صِلَاحَكُمْ لَكُمْ إِذْ كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ، فَأَمَّا إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الطَّعْنَ فِي الْوَلَاةِ وَالتَّنْقِصَ لِلسَّلَفِ، فَوَاللَّهِ لَا قُطْعَنٌ عَلَى ظُهُورِكُمْ بَطُونِ السَّيَاطِ، فَإِنْ حَسَمْتُ دَاءَكُمْ وَإِلَّا فَالسَّيْفُ مِنْ وَرَائِكُمْ، فَكُمْ مِنْ مَوْعِظَةِ مَتَا لَكُمْ مَجَّتْهَا^(١) قُلُوبُكُمْ، وَزَجَرَةٌ صَمَتَتْ عَنْهَا آذَانُكُمْ، وَلَسْتُ أَبْخُلُ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذْ جُدْتُمْ لَنَا بِالْمَعْصِيَةِ، وَلَا أَوْسِيَكُمْ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْحُسْنَى إِنْ صِرْتُمْ إِلَى التِّي هِيَ أَبَرُّ وَأَتَقَى.

[نفسه ص ٢٣١ - ٢٣٢].

مَدْحُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ لِبَعْضِ الْأُمَرَاءِ

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلْفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ التُّخَعِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ:

(١) «مَجَّ الشَّرَابُ مِنْ فِيهِ: رَمَاهُ».

حَدَّثَنِي المَدَائِنِيُّ، قَالَ: امْتَدَحَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ عُمَرَ بْنَ الْعَلَاءِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ حَرْيْثٍ صَاحِبَ الْمَهْدِيِّ، فَأَمَرَ لَهُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَأَمَرَ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ خَدَمِهِ وَغُلَمَانِهِ أَنْ يَخْلَعُوا عَلَيْهِ، فَخْلَعُوا عَلَيْهِ حَتَّى لَمْ يَقْدِرَ عَلَى الْقِيَامِ لِمَا عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ، ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الشُّعْرَاءِ كَانُوا بَبَابِ عُمَرَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا عَجَباً لِلْأَمِيرِ، يُعْطِي أَبَا الْعَتَاهِيَةِ سَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ! فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ فَقَالَ: عَلَيَّ بِهِمْ، فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا أَحْسَدَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ يَا مَعْشَرَ الشُّعْرَاءِ! إِنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِينَا يُرِيدُ مَدْحَنَا فَيُشَبِّبُ فِي قَصِيدَتِهِ بِصَدِيقَتِهِ بِخَمْسِينَ بَيْتاً، فَمَا يَبْلُغُنَا حَتَّى تَذْهَبَ لَذَاذَةِ مَدْحِهِ وَرَوْنَقِ شِعْرِهِ، وَقَدْ أَتَانَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَشَبِّبَ بِيَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ:

إِنِّي أَمِنْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَبِّهِ	لَمَّا عَلِفْتُ مِنَ الْأَمِيرِ حَبَالاً
لَوْ يَسْتَطِيعُ النَّاسُ مِنْ إِجْلَالِهِ	لَحَذَوْا لَهُ حُرَّ الْوُجُوهِ نِعَالاً
مَا كَانَ هَذَا الْجُودُ حَتَّى كُنْتُ يَا	عُمراً وَلَوْ يَوْمًا تَزُولُ لَزَالاً
إِنَّ الْمَطَايَا تَشْكِيكَ لِأَنَّهَا	قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَاباً ^(١) وَرِمَالاً
فَإِذَا أَتَيْنَ بِنَا أَتَيْنَ مُخِفَةً	وَإِذَا رَجَعْنَ بِنَا رَجَعْنَ ثِقَالاً

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ حِينَ مَدَحَهُ: أَقِمْ حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِكَ، فَأَقَامَ أَيَّاماً وَلَمْ يَرِ شَيْئاً، وَكَانَ عُمَرُ يَنْتَظِرُ مَا لَا يَجِيءُ مِنْ وَجْهِ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ:

يَا ابْنَ الْعَلَاءِ وَيَا ابْنَ الْقَرْظِ مِرْدَاسٍ	إِنِّي امْتَدَخْتُكَ فِي صَخْبِي وَجُلَاسِي
أُنْبِي عَلَيْكَ وَلِي حَالٍ تُكَذِّبُنِي	فِيمَا أَقُولُ فَأَسْتَخِييَ مِنَ النَّاسِ
حَتَّى إِذَا قِيلَ مَا أَعْطَاكَ مِنْ صَفْدٍ ^(٢)	طَاطَأْتُ مِنْ سُوءِ حَالٍ عِنْدَهَا رَاسِي

فَقَالَ عُمَرُ لِحَاجِبِهِ: اكْفِنِيهِ أَيَّاماً، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ كَلَاماً دَفَعَهُ بِهِ، وَقَالَ لَهُ: تَنْتَظِرُ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

(١) «السَّبَبُ: الْمَفَازَةُ، أَوْ الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْبَعِيدَةُ، بَلَدٌ سَبَبٌ وَسَبَابٌ».

[القاموس المحيط: ٩٦].

(٢) «الصَّفْدُ، مَحْرُكَةٌ: الْعَطَاءُ».

[القاموس المحيط: ٢٩٣].

أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ الْعَيْنُ يَا عُمَرُ فَتَخُنْ لَهَا نَبْغِي التَّمَائِمَ ^(١) وَالتُّشْرَ ^(٢)
 أَصَابَتْكَ عَيْنٌ فِي سَخَائِكَ صُلْبَةً وَيَا رَبَّ عَيْنٍ صُلْبَةً تَفْلِقُ الْحَجَرَ
 سَنَزِقِيكَ بِالْأَشْعَارِ حَتَّى تَمْلَهَا فَإِنْ لَمْ تُفِقْ مِنْهَا رَقِينَاكَ بِالسُّورِ

قال: فضحك عمر، وقال لصاحب بيت ماله: كم عندك؟ قال: سبعون ألف درهم، قال: ادفعها إليه، ويُقال: إته قال له: اعذرني عنده ولا تدخله عليّ فإنّي أستحي منه.

[نفسه ص ٢٣٣ - ٢٣٤].



وصية رجل لبعض الملوك

حدّثنا أبو بكر قال: أخبرنا أبو الحسن بن خضّر، عن حمّاد بن إسحاق الموصلي، قال: سمعت أبي يقول: قال رجل من العجم لملك كان في دهره: أوصيك بأربع خلال تُرضي بهنّ ربك، وتُصلح بهنّ رعيتك، لا يغرّنك ارتقاء السهل إذا كان المنحدر وُغراً، ولا تَعِدَنَّ عِدَّةً ليس في يدك وفاؤها. واعلم أنّ الله نَقَمَات فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ، واعلم أنّ للأعمال جزاء فأتق العواقب. [نفسه ص ٢٤٣].



جزاء الإحسان

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حدّثنا السّكن بن سَعِيد، عن محمد بن

(١) «التَّمِيم»: جمع تَمِيمَة، كالتَّمَائِم، لَحَرَّة رُقْطَاء تُنْظَم فِي السَّيْرِ، ثُمَّ يُعَقَّدُ فِي الْعُنُقِ.

[القاموس المحيط: ١٠٨٣].

(٢) «التُّشْرَة»: بِالضَّمِّ: رُقِيَّة يُعَالَج بِهَا الْمَجْنُون، وَالْمَرِيضُ، وَقَدْ بُشِّرَ عَنْهُ.

[نفسه ص ٤٨٢].

عَبَادِ الْمَهْلَبِيِّ، قَالَ: قِيلَ لِلْمَهْلَبِ: إِنَّ فَلَانًا عَيْنٌ لِلخَوَارِجِ فِي عَسْكَرِكَ، وَإِنَّهُ يَتَكَفَّنُ بِالسَّلَاحِ إِذَا دُعُوا لِلْحَرْبِ لِيُغْتَالِكَ وَيَلْحَقَ بِالخَوَارِجِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَأَتَى بِهِ فَقَالَ لَهُ: قَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَنَا كَيْدُكَ لَنَا، وَلَمْ نُقَدِّمْ مِنْ أَمْرِكَ عَلَى مَا عَزَمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ مَا لَمْ يَدْعِ الْيَقِينَ لِلشُّكِّ مُعْتَرِضًا، فَاخْتَرْنَا أَيَّ قِتْلَةٍ تُحِبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ؟

فَقَالَ: سَيَنْفُ مُجْهِزٌ^(١) أَوْ عَطْفَةُ كَرِيمٍ مُحْتَقِرٍ لِضِغْنِ^(٢) ذَوِي الضُّغَائِنِ، قَالَ: فَإِنَّهَا عَطْفَةُ كَرِيمٍ مُحْتَقِرٍ لِلذُّنُوبِ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ.

وَحَدَّثَنَا أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنَا السَّكَنُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: أَوْفَدَ الْمَهْلَبُ كَعْبَ بْنَ مَعْدَانَ الْأَشْقَرِيَّ حِينَ هَزَمَ عَبْدَ رَبِّهِ الْأَصْغَرَ وَأَجْلَى قَطْرِيًّا حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ كَرْمَانَ نَحْوِ أَرْضِ خِرَاسَانَ، فَقَالَ لَهُ الْحَبَّاجُ: كَيْفَ كَانَتْ مُحَارَبَةُ الْمَهْلَبِ لِلْقَوْمِ؟ قَالَ: كَانَ إِذَا وَجَدَ الْفُرْصَةَ سَارَ^(٣) كَمَا يَسُورُ اللَّيْثُ، وَإِذَا دَهَمَتْهُ^(٤) الطَّخْمَةُ^(٥) رَاغَ كَمَا يَزُورُغُ الثُّعْلَبُ، وَإِذَا مَادَهُ^(٦) الْقَوْمُ صَبَرَ صَبْرَ الدَّهْرِ، قَالَ: وَكَيْفَ كَانَ فِيكُمْ؟ قَالَ: كَانَ لَنَا مِنْهُ إِشْفَاقُ الْوَالِدِ الْحَدِيبِ^(٧)، وَلَهُ مِنَّا طَاعَةُ الْوَلَدِ الْبَرِّ، قَالَ: كَادَنَا بِبَعْضِ مَا كِذَّنَاهُ بِهِ،

(١) «جَهَّزَ عَلَى الْجَرِيحِ، كَمَنَعَ، وَأَجْهَزَ: أَثْبَتَ قِتْلَهُ، وَأَسْرَعَهُ، وَتَمَّمَ عَلَيْهِ. وَمَوْتُ مُجْهِزٍ وَجْهِزٌ: سَرِيعٌ».

[القاموس المحيط: ٥٠٧].

(٢) «الضُّغْنُ: الْحِقْدُ، كَالضُّغَيْنَةِ».

[نفسه ص ١٢١١].

(٣) «سَارَ الرَّجُلُ إِلَيْكَ: وَثَبَ وَثَارَ».

[القاموس المحيط: ٤١١].

(٤) «دَهَمَكَ، كَسَمِعَ وَمَنَعَ: غَشِيكَ».

[نفسه ص ١١٠٩].

(٥) «طَخْمَةُ الْوَادِي وَاللَّيْلِ وَالسَّيْلِ، مَثَلَةٌ: دَفَعَتْهُ، وَمِنْ النَّاسِ: جَمَاعَتُهُمْ».

[نفسه ص ١١٣٢].

(٦) «مَادَ يَمِيدُ مَيْدًا وَمَيْدَانًا: تَحَرَّكَ».

[نفسه ص ٣٢١].

(٧) «تَحَدَّبَ عَلَيْهِ: تَعَطَّفَ، كَحَدِيبٍ، بِالْكَسْرِ».

والأجل أحسن جنة^(١) وأنفذ عذبة، قال: فكيف أتبعتم عبد ربّه وتركتموه؟ قال: آثرنا الحدّ على القلّ، وكانت سلامة الجند أحبّ إلينا من شجب^(٢) العدو، فقال له الحجاج: أكنت أعددت لهذا الجواب قبل لقائي؟ قال: لا يعلم الغيب إلا الله.

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حدّثنا أبو حاتم، قال: أتيت أبا عبيدة ومعي شعر عروة بن الورد فقال لي: ما معك؟ فقلت: شعر عروة، فقال: فارغ حمل شعر فقير ليقرأه على فقير، فقلت له: ما معي غيره، فأنشدني أنت ما شئت، فأنشدني:

يَا رَبِّ ظِلِّ عُقَابٍ^(٣) قَدْ وَقَيْتُ بِهَا
وَرَبِّ يَوْمِ حِمَى أَرْعَيْتُ عَقْوَتَهُ^(٤)
وَيَوْمَ لَهْوٍ لِأَهْلِ الْخَفْضِ^(٥) ظِلٌّ بِهِ
مُسْهَرًا مَوْقِفِي وَالْحَرْبُ كَاشِفَةٌ
مُهْرِي^(٦) مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطَالُ تَجْتَلِدُ^(٧)
خَيْلِي افْتِصَارًا وَأَطْرَافُ الْقَنَا قَصْدُ^(٨)
لَهْوِي اضْطِلَاءَ الْوَعَى وَنَارُهُ تَقْدُ
عَنْهَا الْقِنَاعَ وَبَحْرُ الْمَوْتِ يَطْرِدُ

(١) وقاية.

(٢) «شَجَبَهُ: أهلكه، وحَزَنَهُ، وشَغَلَهُ، وجَذَبَهُ».

[القاموس المحيط: ٩٩].

(٣) العُقَابُ: الزّاية.

(٤) «المُهْرُ، بِالضَّمِّ: وَلَدُ الْفَرَسِ، أَوْ أَوَّلُ مَا يُنْتَجُ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ. الْجَمْعُ: أَمْهَارٌ وَمِهَارٌ وَمِهَارَةٌ».

[القاموس المحيط: ٤٧٨].

(٥) «جَالِدُوا بِالسُّيُوفِ: تَضَارَبُوا».

[نفسه ص ٢٧٣].

(٦) «الْعَقْوَةُ: شَجَرٌ، وَمَا حَوْلَ الدَّارِ وَالْمَحَلَّةِ، كَالْعَقَاةِ الْجَمْعُ: عِقَاءٌ».

[القاموس المحيط: ١٣١٣].

(٧) «رُمِحَ قَصِيدًا، كَكَتِفٍ، وَقَصِيدًا وَأَقْصَادًا: مُتَكَسِّرًا».

[نفسه ص ٣١٠].

(٨) «الْخَفْضُ: الدَّعَةُ، وَعَيْشٌ خَافِضٌ، وَقَدْ خَفَضَ، كَكَرَّمَ».

[نفسه ص ٦٤١].

وَرُبَّ هَاجِرَةٍ تَغْلِي مَرَاجِلَهَا^(١) مَخَزَتْهَا^(٢) بِمَطَايَا^(٣) غَارَةٍ تَخْدُ^(٤)
تَجْتَابُ^(٥) أَوْدِيَةَ الْأَفْزَاعِ أَمِيَّةَ كَأَنَّهَا أُسْدٌ تَقْتَادُهَا أُسْدٌ
فَإِنْ أُمْتُ حَتَفَ أَثْفِي^(٦) لَا أُمْتُ كَمَدًا^(٧) عَلَى الطَّعَانِ وَقَضَرُ الْعَاجِزِ الْكَمْدُ
وَلَمْ أَقُلْ لَمْ أَسَاقِ الْمَوْتَ شَارِبُهُ فِي كَأْسِهِ وَالْمَنَايَا شَرَّعٌ وَرُدُّ
ثُمَّ قَالَ: هَذَا الشُّعْرُ! لَا مَا تُعَلِّلُونَ^(٨) بِهِ أَنْفُسَكُمْ مِنْ أَشْعَارِ
الْمَخَانِيثِ^(٩)! قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَالشُّعْرُ لِقَطْرِي بْنِ الْفَجَاءَةِ.
[نفسه ص ٢٥٢ - ٢٥٣].



- (١) «الْمَرْجَلُ، كَمِثْبَرٍ: الْقِدْرُ مِنَ الْجَبَازَةِ وَالتَّحَاسِ، مُذَكَّرٌ».
 - (٢) «مَخَزَتْ السَّفِينَةَ، كَمَنَعَ مَخْرَأً وَمُخَوْرًا: جَرَتْ، أَوْ اسْتَقْبَلَتْ الرِّيحَ فِي جَرْيِهَا، وَالسَّابِغُ: شَقَّ الْمَاءَ بِيَدِهِ».
 - (٣) جمع مطية: الرَّاحِلَةُ.
 - (٤) «الْوَحْدُ لِلْبَعِيرِ: الْإِسْرَاعُ، أَوْ أَنْ يَرْمِيَ بِقَوَائِمِهِ كَمَشِي النُّعَامِ، أَوْ سَعَةُ الْخَطْوِ، كَالْوَحْدَانِ وَالْوَحِيدِ، وَقَدْ وَخَدَ، كَوَعَدَ، فَهُوَ وَاحِدٌ وَوَخَادٌ وَوَخُودٌ».
 - (٥) «جُبْتُ الْبِلَادَ بِضَمِّ الْجِيمِ وَكَسَرِهَا مِنْ بَابٍ قَالِ وَبَاعَ. وَاجْتَبْتُهَا: قَطَعْتُهَا».
 - (٦) «الْحَتَفُ: الْمَوْتُ وَالْجَمْعُ: حُتُوفٌ. وَمَاتَ فُلَانٌ حَتَفَ أَثْفِي إِذَا مَاتَ مِنْ غَيْرِ قَتْلِ وَلَا ضَرْبٍ. وَلَا يُتَنَّى مِنْهُ فِعْلٌ».
 - (٧) «الْكَمْدُ: الْحُزْنُ الْمَكْتُومُ وَبَابُهُ طَرِبَ فَهُوَ كَمَدٌ وَكَمِيدٌ».
 - (٨) «تَعَلَّلَ بِالْأَمْرِ؛ تَشَاعَلَ أَوْ تَجَزَّأَ، كَاغْتَلَّ».
 - (٩) «الْحَنِثُ، كَكْتِفٍ: مَنْ فِيهِ انْخِثَاتٌ، أَي: تَكَسَّرَ وَتَشَنَّ، وَقَدْ حَنِثَ كَفَرِحَ، وَتَحَنَّثَ وَانْحَنَّثَ».
- [نفسه ص ٢٤١].
- [نفسه ص ١٦٨].

اعتذار رجل لبعض الملوك

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حدّثنا أبو عثمان، عن سعيد بن مسعدة الأخفش، قال: اعتذر رجل من العرب إلى بعض ملوكهم فقال: إِنَّ زَلَّتِي وَإِنْ دَانَتْ قَدْ أَحَاطَتْ بِحُرْمَتِي، فَإِنَّ فَضْلَكَ يُحِيطُ بِهَا، وَكَرَمَكَ يُوفِي عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ:

إِنِّي إِلَيْكَ سَلِمْتُ كَمَا نَتَّ رِخْلَتِي أَزْجُو الْإِلَهَ وَصَفْحَكَ الْمَبْذُولَا
إِنْ كَانَ ذَنْبِي قَدْ أَحَاطَ بِحُرْمَتِي فَأَحِطْ بِذَنْبِي عَفْوَكَ الْمَأْمُولَا

[نفسه ص ٢٥٦].



أسباب السيادة

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: أخبرنا الرياشي، عن العُتبي، عن رجل من الأنصار من أهل المدينة، قال: قال معاوية - رضي الله عنه - لعرابة بن أوس بن حارثة الأنصاري، بأي شيء سُدَّتْ قَوْمُكَ يَا عَرَابَةُ؟ قال: أخبرك يا معاوية بِأَنِّي كُنْتُ لَهُمْ كَمَا كَانَ حَاتِمٌ لِقَوْمِهِ، قال: وكيف كان؟ فأنشدته:

وَأَضْبَحْتُ فِي أَمْرِ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا كَذِي الْجِلْمِ يُرْضَى مَا يَقُولُ وَيُغْرِفُ
وَذَاكَ لِأَنِّي لَا أَعَادِي سَرَاتِهِمْ^(١) وَلَا عَنْ أَخِي ضَرَائِهِمْ أَتَنَكَّفُ^(٢)
وَإِنِّي لَا أُعْطِي سَائِلِي وَلَرُبَّمَا أَكْلَفُ مَا لَا أَسْتَطِيعُ فَأُكْلَفُ
وَإِنِّي لَمَذْمُومٌ إِذَا قِيلَ حَاتِمٌ نَبَا نَبْوَةٍ إِنَّ الْكَرِيمَ يُعَنْفُ

(١) «السَّزْوُ: المَرْوَةُ فِي شَرَفٍ، سَزَوْا، كَكَرَّمُوا وَدَعَا وَرَضِي، سَرَاوَةً وَسَزَوْا وَسَرَاءً وَسَرَاءً، فَهُوَ سَرِيٌّ الْجَمْعُ: أَشْرِيَاءُ وَسَرَوَاءُ وَسَرَى. وَالسَّرَاءُ: اسْمُ جَمْعِ الْجَمْعِ: سَرَوَاتٌ».

[القاموس المحيط: ١٢٩٥].

(٢) «نَكَفَ عَنْهُ، كَفَّرَ وَنَصَرَ: أَيْفَ مِنْهُ وَامْتَنَعَ».

[نفسه ص ٨٥٨].

ووالله إنني لأعفو عن سفيهم وأحلم عن جاهلهم، وأسعى في حوائجهم، وأعطي سائلهم، فَمَنْ فَعَلَ فِعْلِي فَهُوَ مِثْلِي، وَمَنْ فَعَلَ أَحْسَنَ مِنْ فِعْلِي فَهُوَ أَفْضَلُ مِنِّي، وَمَنْ قَصَّرَ عَن فِعْلِي فَأَنَا خَيْرُ مِنْهُ، فَقَالَ معاوية: لقد صدق الشماخ حيث يقول فيك:

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَةَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ الْيَمِينِ
[نفسه ص ٢٦١].



ثناء وفد العراق على أميرهم مُصعب

حدَّثنا أبو بكر، قال: حدَّثنا أبو عثمان، عن التَّوْزِيِّ، عن أَبِي عُبَيْدَةَ، قال: قَدِمَ وَفْدُ الْعِرَاقِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَسَأَلَهُمْ عَنْ مُصْعَبٍ، فَقَالُوا: أَحْسَنَ النَّاسِ سِيرَةً، وَأَقْضَاهُ بِحَقٍّ، وَأَعْدَلُهُ فِي حُكْمٍ، فَلَمَّا صَلَّى الْجُمُعَةَ صَعِدَ الْمَنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

قَدْ جَرَّبُونِي ثُمَّ جَرَّبُونِي مِنْ غُلُوتَيْنِ وَمِنْ الْمِثْنَيْنِ
حَتَّى إِذَا شَابُوا وَشَيَّبُونِي خَلَّوْا عِنَايَ ثُمَّ سَيَّبُونِي

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَأَلْتُ الْوَفْدَ عَنْ مُصْعَبٍ فَأَحْسَنُوا الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَذَكَرُوا مَا أَحَبُّهُ، وَإِنَّ مُصْعَباً أَطْبَى الْقُلُوبِ حَتَّى مَا تَعْدِلُ بِهِ، وَالْأَهْوَاءُ حَتَّى مَا تَحُولُ عَنْهُ، وَاسْتَمَالَ^(١) الْأَلْسُنَ بِثَنَائِهَا، وَالْقُلُوبَ بِنُضْجِهَا، وَالتُّفُوسَ بِمَحَبَّتِهَا، فَهُوَ الْمَحْبُوبُ فِي خَاصَّتِهِ، الْمَحْمُودُ فِي عَامَّتِهِ، بِمَا أَطْلَقَ اللَّهُ بِهِ لِسَانَهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَبَسَطَ يَدَهُ مِنَ الْبَذْلِ، ثُمَّ نَزَلَ.

[نفسه ص ٢٦٩].

(١) «اسْتَمَالَ فَلَانًا، وَبِقَلْبِهِ: أَمَّالَهُ».

قول جحدر في سجنه حين حبسه الحجاج

أنشدنا أبو بكر، عن الأشنانداني لجحدر - وكان لصاً مُبرِّاً فأخذه
الحجاج فحبسه -، فقال في الحبس:

تَأْوِبِنِي^(١) فَبِتُّ لَهَا كَنِيْعاً^(٢) هِيَ الْعُوَادُ لَا عُوَادَ قَوْمِي
إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ أَجْلَيْنَ عَنِّي وَكَانَ مَقَرُّ مَنْزِلِهِنَّ قَلْبِي
أَلَيْسَ اللَّهُ يَغْلُمُ أَنَّ قَلْبِي وَأَهْوَى أَنْ أَرُدَّ إِلَيْكَ طَرْفِي
نَظَرْتُ وَنَاقَتَايَ عَلَى تَعَادٍ إِلَى نَارِيهِمَا وَهُمَا بَعِيدٌ
هُمُومٌ مَا تُفَارِقُنِي حَوَانِي أَطْلَنَ عِيَادَتِي فِي ذَا الْمَكَانِ
ثَنَى رِيْعَانَهُنَّ^(٣) عَلَيَّ ثَانِي فَقَدْ أَلْفَهْنَهُ^(٤) وَالْهَمُّ آتِي
يُحِبُّكَ أَيُّهَا الْبَرْقُ الْيَمَانِي عَلَى عُدَوَاءٍ^(٥) مِنْ شُعْلِي وَشَانِي
مُطَاوِعَةِ الْأَرْمَةِ^(٦) تُرَحِّلَانِ تَشْوَقَانِ^(٧) الْمُحِبُّ وَتَوْقِدَانِ

(١) «تَأْوِبُهُ وَتَأْيِيْبُهُ: أَنَاهُ لَيْلًا، وَالْمَصْدَرُ: الْمُتَأَوِّبُ وَالْمُتَأْيِبُ».

[القاموس المحيط: ٦٠].

(٢) «الْكَنِيْعُ: الْمَكْسُورُ الْيَدَ، وَالْعَادِلُ عَنْ طَرِيقٍ إِلَى غَيْرِهِ».

[نفسه ص ٧٦٠].

(٣) «الرَّيْعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: أَوَّلُهُ وَأَفْضَلُهُ، كَرِيْعَانِهِ».

[القاموس المحيط: ٧٢٤].

(٤) «الْمَنْفُوهُ: الضَّعِيفُ الْفُوَادِ الْجَبَانُ، وَمَا كَانَ نَافِهَاً قَتْفَهُ، كَمَنْعَ، نَفُوهاً».

[نفسه ص ١٢٥٤].

(٥) «الْعُدَوَاءُ، كَالْعُلُوَاءِ: الْأَرْضُ الْيَابِسَةُ الصُّلْبَةُ».

[القاموس المحيط: ١٣٠٩].

(٦) «زَمَهُ فَانْزَمَ: شَدَّهُ، وَكَكْتَابَ: مَا يُزْمُ بِهِ، الْجَمْعُ: أَرْمَةٌ».

[نفسه ص ١١١٨].

(٧) «السُّوقُ: نِزَاعُ النَّفْسِ، وَحَرَكَةُ الْهَوَى، الْجَمْعُ: أَشْوَاقٌ، وَقَدْ شَاقَنِي حُبُّهَا: هَاجَنِي، كَشَوْقَنِي».

[القاموس المحيط: ٨٩٩].

وَمِمَّا هَاجَنِي ^(١) فَازْدَدْتُ شَوْقًا
تَجَاوَبَتَا بِلَحْنٍ أَعْجَمِي
فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتْ ^(٥) سُلَيْمَى
أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو
نَعَمْ وَتَرَى الْهَلَالَ كَمَا أَرَاهُ
فَمَا بَيْنَ التَّفَرُّقِ غَيْرَ سَبْعٍ
فَيَا أَخَوِي مِنْ كَغِبِ بْنِ عَمْرٍو
إِذَا جَاوَزْتُمَا سَعَفَاتِ ^(٦) حَجْرِ ^(٧)
وَقُولَا جَخْدَرَ أَمْسَى رَهِينَا
حَاذَرَ صَوْلَةَ الْحَجَّاجِ ظُلْمًا
بُكَاءَ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ ^(٢)
عَلَى غُضْنَيْنِ مِنْ عَرَبٍ ^(٣) وَبَانِ ^(٤)
وَفِي الْعَرَبِ اغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِي
وَإِنَّا فَذَاكَ لَنَا تَدَانِي
وَيَغْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي
بَقِيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ أَوْ بِثَمَانٍ
أَقْلًا اللَّوْمَ إِنْ لَمْ تَنْفَعَانِي
وَأَوْدِيَةَ الْيَمَامَةِ فَانْعَيَانِي ^(٨)
يُحَاذِرُ وَقَعَ مَضْقُولٍ ^(٩) يَمَانِي
وَمَا الْحَجَّاجُ ظَلَامٌ لِحَاجِنِي

(١) «هَاجَ يَهِيْجُ هَيْجًا وَهَيْجَانًا وَهَيْجًا، بِالْكَسْرِ: ثَارَ، كَالْهَتَاجِ وَتَهَيَّجَ».

[نفسه ص ٢١١].

(٢) «تَجَاوَبُوا: جَاوَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

[نفسه ص ٧٠].

(٣) «الْعَرَبُ: شَجَرَةٌ حِجَارِيَّةٌ صَخْمَةٌ شَاكَّةٌ».

[القاموس المحيط ١١٩].

(٤) «الْبَانُ: شَجَرٌ، وَلِحَبٌ ثَمَرُهُ دُهْنٌ طَيِّبٌ...».

[نفسه ص ١١٨٢].

(٥) بَانَتْ: فَارَقَتْ.

(٦) «السَّعْفُ، مُحَرَّكَةٌ: جَرِيدُ النَّخْلِ، أَوْ وَرْقُهُ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ إِذَا يَبَسَتْ، وَإِذَا كَانَتْ رَطْبَةً: فَشَطْبَةٌ».

[القاموس المحيط: ٨١٩].

(٧) اسم موضع.

(٨) «نَعَاهُ لَهُ نَعْيًا وَنَعْيًا وَنُعْيَانًا، بِالضَّمِّ: أَخْبَرَهُ بِمَوْتِهِ».

[نفسه، ص ١٣٣٩].

(٩) «صَقْلُهُ: جَلَاهُ، فَهُوَ مَضْقُولٌ وَصَفِيلٌ، وَالْأَسْمُ: كَكْتَابٍ، وَهُوَ صَاقِلٌ، الْجَمْعُ: كَكْتَبَةٍ».

[القاموس المحيط: ١٠٢٢].

إِلَى قَوْمٍ إِذَا سَمِعُوا بِقَتْلِي بَكَى شُبَّانُهُمْ وَبَكَى الْعَوَانِي^(١)
 فَإِنْ أَهْلِكَ قَرُبَ قَتَى سَيَبْكِي عَلَيَّ مُهَذَّبٌ رَخِصَ الْبَنَانِ
 وَلَمْ أَكْ قَدْ قَضَيْتُ حُقُوقَ قَوْمِي وَلَا حَقَّ الْمُهَنْدِ^(٢) وَالسَّنَانِ^(٣)

قال أبو علي: المبر: الغالب. والكنيع: المنقبض. وأنفهنه: أعينه.
 [نفسه ص ٢٦٨].



موعظة القرظي لعمر بن عبدالعزيز في أوصاف بطانته

حدَّثنا أبو بكر - رحمه الله - قال: حدَّثنا أبو عثمان، عن التَّوْزِي، عن أبي عُبَيْدَةَ، قال: بلغني أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ الْقُرْظِي قال لعمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه -: لَا تَتَّخِذْ وزيراً إلاَّ عالماً، وَلَا أَمِيناً إلاَّ بِالْجَمِيلِ معروفًا، وبالمعروف موصوفًا، فَإِنَّهُمْ شُرَكَاءُكَ فِي أَمَانَتِكَ، وَأَعْوَانُكَ عَلَى أَمْرِكَ، فَإِنْ صَلَحُوا صَلَحُوا، وَإِنْ فَسَدُوا أَفْسَدُوا.

[نفسه ص ٢٩٦].



نصيحة بليغة لعبدالملك بن مروان

وبهذا الإسناد قال: قال عبدالملك بن مروان - رحمه الله -: يَا بَنِي أُمَيَّةَ، ابْذُلُوا نَدَاكُمْ^(٤)، وَكَقُوا أَذَاكُمْ، وَاعْفُوا إِذَا قَدَرْتُمْ، وَلَا تَبْخُلُوا إِذَا

(١) «الْعَانِيَةُ: المرأةُ التي تُطَلَّبُ وَلَا تَطْلُبُ، أَوْ الْعَنِيَّةُ بِحُسْنِهَا عَنِ الزَّيْنَةِ».

[نفسه ص ١٣١٩].

(٢) «الْمُهَنْدُ: السِّيفُ الْمَطْبُوعُ مِنْ حَدِيدِ الْهِنْدِ».

[مختار الصحاح: ٢٩٢].

(٣) «السَّنَانُ: نُضْلُ الرُّنْجِ الْجَمْعِ: أَسِنَّةٌ».

[القاموس المحيط: ١٢٠٧].

(٤) جُودُكُمْ.

سُئِلْتُمْ، فَإِنَّ خَيْرَ الْمَالِ مَا أَفَادَ حَمْدًا أَوْ نَفَى دَمًا، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، فَإِنَّمَا النَّاسُ عِيَالُ اللَّهِ قَدْ تَكْفَلُ اللَّهُ بِأَرْزَاقِهِمْ، فَمَنْ وَسَّعَ أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ ضَيَّقَ ضَيَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

[نفسه ص ٢٩٦].



خبر الأحنف مع معاوية في مدح الولد

حَدَّثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ - وَرَاقُ أَبِي بَكْرٍ بَنِ دَرِيدٍ - قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَمْرٍو بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: دَخَلَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَيزِيدُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ إِعْجَابًا بِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَحْرٍ، مَا تَقُولُ فِي الْوَلَدِ؟ فَعَلِمَ مَا أَرَادَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! هُمْ عِمَادُ ظُهُورِنَا، وَثَمَرُ قُلُوبِنَا، وَقُرَّةُ^(١) أَعْيُنِنَا، بِهِمْ نَصُولُ عَلَى أَعْدَائِنَا، وَهُمْ الْخَلْفُ مِنَّا لِمَنْ بَعَدْنَا، فَكُنْ لَهُمْ أَرْضًا ذَلِيلَةً، وَسَمَاءَ ظَلِيلَةً، إِنْ سَأَلُوكَ فَأَعْطِهِمْ، وَإِنْ اسْتَعْتَبُوكَ^(٢) فَأَعْتَبِهِمْ، لَا تَمْنَعِهِمْ رِفْدَكَ^(٣) فَيَمْلُؤُوا قُرْبَكَ، وَيَكْرَهُوا حَيَاتَكَ، وَيَسْتَبْطِنُوا وَفَاتَكَ، فَقَالَ: اللَّهُ دَرَكُ يَا أَبَا بَحْرٍ! هُمْ كَمَا وَصَفْتُ.

[نفسه ص ٣٠٦].



نصيحة الحسن لعمر بن عبدالعزیز

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنِ عُرْفَةَ التَّحَوِّيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمَدَائِنِيِّ، قَالَ: كَتَبَ الْحَسَنُ إِلَى عُمَرَ بْنِ

(١) «قُرَّتْ عَيْنُهُ تَقَرُّ، بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ: قُرَّةٌ، وَتُضَمُّ، وَفُرُورًا: بَرَدَتْ، وَانْقَطَعَ بُكَاءُهَا».

[القاموس المحيط: ٤٦١].

(٢) «الْعُتْبَى، بِالضَّمِّ: الرِّضَا. وَاسْتَعْتَبَهُ: أَعْطَاهُ الْعُتْبَى، كَأَعْتَبَهُ، وَطَلَّبَ إِلَيْهِ الْعُتْبَى، ضِدًّا».

[نفسه ص ١١٢].

(٣) عطاءك.

عبدالعزیز - رحمۃ اللہ علیہما - : کُنْ کالمُداویِ جُزَحَہ، صَبِرَ عَلٰی شِدَّةِ الدَّوَاءِ، مَخَافَةَ طَوْلِ الْبَلَاءِ .

[نفسه ص ٣١٠].



موعظة لعمر بن عبدالعزيز في ذم الدنيا

وَحَدَّثَنَا قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمَدَائِنِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَمَّادٍ، قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى رَجُلٍ: اتَّقِ الدُّنْيَا فَإِنَّ مَسَهَا لَيِّنٌ، وَارْقُصْ نَعِيمَهَا لِقَلَّةِ مَا يَتْبَعُكَ مِنْهُ، وَاتْرِكْ مَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا لِسُرْعَةِ مَفَارِقَتِهَا.

وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ قَالَ: عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَبْلَ خِلَافَتِهِ:

أَنَّهُ الْفُؤَادَ عَنِ الصَّبَا^(١) وَعَنِ انْقِيَادِ لِلْهَوَى
فَلَعَمْرُؤُكَ إِنَّ فِي شَيْنِ الْمَفَارِقِ^(٢) وَالْجَلَى^(٣)
لَكَ وَاعْظَا لَوْ كُنْتَ تَتَّعِظُ أَتَعَاظُ ذَوِي النَّهْيِ^(٤)
حَتَّى مَتَى لَا تَزْعَوِي^(٥) وَإِلَى مَتَى وَإِلَى مَتَى

(١) «صَبِي إِلَيْهَا: حَنٌّ، كَصَبَا صَبُوءَةً وَصُبُوءَةً وَصُبُوءًا».

[القاموس المحيط: ١٣٠٢].

(٢) «الْمَفْرُوقُ، كَمَفْعَدٍ وَمَجْلِسٍ: وَسَطُ الرَّأْسِ، وَهُوَ الَّذِي يُفَرِّقُ فِيهِ الشَّعْرُ».

[نفسه ص ٩١٧].

(٣) «الْجَلَا، مَقْصُورَةٌ: انْحِسَارُ مُقَدِّمِ الشَّعْرِ أَوْ نِصْفِ الرَّأْسِ».

[نفسه ص ١٢٧١].

(٤) «النَّهْيُ: الْعَقْلُ، كَالنَّهْيِ، وَهُوَ يَكُونُ جَمْعَ نَهْيَةٍ أَيْضًا. وَرَجُلٌ مَنَهَاةٌ: عَاقِلٌ. وَنَهْوٌ، كَكَرْمٍ، فَهُوَ نَهْيٌ مِنْ أَنْهَاءٍ».

[القاموس المحيط: ١٣٤١].

(٥) «الرَّغْوَةُ وَالرَّغْوَةُ، وَيُثَلَّثَانِ، وَالرَّغْوَى، وَيُضَمُّ، وَالْارْعَوَاءُ وَالرَّغْيَا، بِالضَّمِّ: التَّزْوُوعُ عَنِ الْجَهْلِ، وَحُسْنُ الرُّجُوعِ عَنْهُ، وَقَدْ اَزْعَوَى».

[نفسه ص ١٢٨٩].

مَا بَغْدَ أَنْ سُمِّيتَ كَهـ لَا وَاسْتُلِبْتَ اسْمَ الْفَتَى
بَلِي الشَّبَابِ وَأَنْتَ إِنْ عُمُزْتَ رَهْنٌ لِلْبَلَى
وَكَفَى بِذَلِكَ زَاجِرًا لِمَرْءٍ عَنْ غِيِّ كَفَى
[نفسه ص ٣١٠].



خبر في الوُشاة، وحفظ السرِّ

حدَّثنا أبو بكر بن دريد قال: أخبرنا عبدالرحمن، عن عمِّه، قال: وَشَى واش بعد الله بن هَمَّام السُّلُولِي إلى زياد، فَقَالَ له: إِنَّهُ هَجَاكَ، فَقَالَ: أَجْمَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَعَثَ زِيَادُ إِلَى ابْنِ هَمَّامٍ فَأَتَيْ بِهِ، وَأَدْخَلَ الرَّجُلَ بَيْتًا، فَقَالَ زِيَادُ: يَا بَنَ هَمَّامٍ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ هَجَوْتَنِي، فَقَالَ: كَلَّا، أَصْلَحَكَ اللَّهُ! مَا فَعَلْتُ وَلَا أَنْتَ لَذَلِكَ بِأَهْلٍ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ أَخْبَرَنِي وَأَخْرَجَ الرَّجُلَ، فَاطْرَقَ^(١) ابْنُ هَمَّامٍ هُنَيْهَةً ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ:

أَنْتَ امْرُؤٌ إِمَّا اثْتَمَنْتُكَ خَالِيًا فَخُنْتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِلاَ عِلْمٍ
فَأُبَيْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ

فأعجب زياد بجوابه، وأقصى الواشي ولم يقبل منه.

[نفسه ص ٣١١].



خبر الاعرابي الذي سأل خالد بن عبدالله القسري

حدَّثنا أبو بكر قال: أخبرنا عبدالرحمن، عن عمِّه، قال: دخل أعرابي

(١) «أَطْرَقَ: سَكَّتْ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ، وَأَرْضَى عَيْنِيهِ يَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ».

على خالد بن عبدالله القسريّ فقال: أصلح الله الأمير، شيخ كبير حَدَّثَهُ^(١) إليك بارية العظام، ومؤرثة الأسقام، ومطوّلة الأعوام، فذهبت أمواله، ودُعِدَتْ آبَالُهُ^(٢)، وتغيّرت أحواله، فإن رأى الأمير أن يجبره بِفَضْلِهِ، وينعشه بِسِجْلِهِ، ويردّه إلى أهله، فقال: كُلّ ذلك، وأمر له بِعَشْرَةِ آلاف درهم.

قال أبو علي: بارية العظام: التي تَبْري العظام. ودُعِدَتْ: فُرِّقَتْ. والسَّجْل: الدَّلْو الذي فيه ماء، وهو هاهنا مَثَلٌ.

[نفسه ص ٣١١].



قول عبدالملك حين حضرته الوفاة في ذمّ الدنيا

وحَدَّثَنَا أبو بكر رحمه الله قال: حَدَّثَنَا أبو حاتم، عن الأصمعيّ عن يونس، قال: لَمَّا حضرت عبدالملك الوفاة قال - وهو يعني الدنيا -: إِنَّ طَوِيلَكَ لَقَصِير، وَإِنَّ كَثِيرَكَ لَلْقَلِيل، وَإِنْ كُنَّا مِنْكَ لَفِي غُرُور.

[نفسه ص ٣٢١].



خبر بعض الأعراب في سؤال بعض الملوك

حَدَّثَنَا أبو عبدالله قال: حَدَّثَنَا أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابيّ قال: أتى أعرابيّ باب بعض الملوك فأقام به حَوْلًا ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ: الْأَمَلُ وَالْعُدْمُ

(١) «حَدَا الْإِبِلَ، وَبِهَا حَذَوٌ وَحَدَاءٌ وَجَدَاءٌ: زَجَرَهَا وَسَاقَهَا».

[القاموس المحيط: ١٢٧٣].

(٢) «الْإِبِلُ: لَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ لِأَنَّ أَسْمَاءَ الْجُمُوعِ الَّتِي لَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا إِذَا كَانَتْ لِغَيْرِ الْإِنْسَانِ فَالْإِبِلُ لَهَا لَا زِمٌ وَرُبَّمَا قَالُوا: إِبِلٌ بِسُكُونِ الْبَاءِ لِلتَّخْفِيفِ وَالْجَمْعُ: آبَالٌ».

[مختار الصحاح: ١].

أقدماني عليك. وفي السَّطر الثاني: الإقلال لا صبر معه. وفي الثالث: الانصراف بلا فائدة شِماتُهُ الأعداء. وفي السَّطر الرَّابِع: إِمَّا نَعَمْ سَرِيحٌ^(١)، وإِمَّا يَأْسٌ مُرِيحٌ.

[نفسه ص ٣٣٣].



من أخبار أبي العتاهية مع الخُلفاء والأُمراء

قال حينما نقض نفقور ملك الرُّوم ما كان أعطى الرَّشيد من الانقياد، وتجهَّز الرَّشيد وغزاه فنزل على هرقله ودخلها بالسَّيف:

أَلَا نَادَتْ هِرْقُلَةَ بِالْخَرَابِ	مِنْ الْمَلِكِ الْمُوقِّ لِلصَّوَابِ
غَدَا هَارُونَ يُزْعِدُ بِالْمَنَآيَا	وَيُبْرِقُ بِالْمُذَكَّرَةِ ^(٢) الْقِضَابِ ^(٣)
وَرَايَاتٍ يَحُلُّ النَّضْرُ فِيهَا	تَمُرُّ كَأَنَّهَا قِطْعُ السَّحَابِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَفِرَتْ فَاثْلَمَ	وَأَبْشَرَ بِالْغَنِيمَةِ وَالْإِيَابِ

حدَّث أبو خَيْثَم العنزي، وكان صديقاً لأبي العتاهية، قال: حدَّثني أبو العتاهية قال: أخرجني المهدي معه إلى الصَّيد. فوقعنا منه على شيء كثير فتفرَّق أصحابه في طلبه، وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يلتفتوا. وعرض لنا واد جَرَّار وتغيَّمت السَّماء وبدأت بِمَطَرٍ، فتحيَّرتنا وأشرفنا على الوادي، فإذا فيه مَلَأَح يعبِّر النَّاسُ فجاء إلينا فسألناه عن الطريق فجعل يضعف رأينا ويعجزنا في بذلنا أنفسنا في ذلك الغيم للصَّيد حتى أبعدنا. ثُمَّ أدخلنا كُوخاً له وكاد المهدي يموت بَرْداً. فقال له: أغطيك بِجُبَّتِي هذه الصُّوف. فقال: نَعَمْ، فغَطَّاه بِهَا فتماسك قَلِيلاً ونام. فافتقده غلماؤه وتبعوا

(١) سَرِيحٌ: سَرِيحٌ غير بَطِيء.

(٢) المذَكَّرَةُ: جمع مذكَّر وهو السَّيف الحَادُّ.

(٣) القِضَاب: الشَّدِيدَةُ الْقَطْع.

أثره حتى جأؤونا. فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عنه، وألقوا عليه الخز^(١) والوشى^(٢)، فلما انتبه قال لي: ويحك ما فعل الملاح فقد وجب حقه علينا، فقلت: هرب خوفاً من قبح ما خاطبنا به. قال: إنا لله إني لقد أردت أن أغنيه وبأي شيء خاطبنا نحن مستحقون لأقبح مما خاطبنا به.

بحياتي عليك إلا ما هجوتني. فقلت يا أمير المؤمنين كيف تطيب نفسي بأن أهجوك! قال: إنك لتفعلن فإني ضعيف الرأي مُغرم بالصيد. فقلت:

يَا لَابَسَ الْوَشْيِ عَلَى ثَوْبِهِ مَا أَقْبَحَ الْأَشْيَبَ فِي الرَّاحِ^(٣)
لَوْ شِئْتُ أَيْضاً جُلْتُ فِي خَامَةٍ^(٤) وَفِي وَشَاحِينَ^(٥) وَأَوْضَاحِ^(٦)
كَمْ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ فِي نَفْسِهِ قَدْ نَامَ فِي جُبَّةٍ مَلَّاحِ

... وقال في المهدي:

أَنْتَ الْمُقَابِلُ وَالْمُدَا بِرُ فِي الْمَنَاسِبِ وَالْعَدِيدِ
بَيْنَ الْعُمُومَةِ وَالْخُؤُ لَةِ وَالْأُبُوءَةِ وَالْجُدُودِ
فَإِذَا انْتَمَيْتَ إِلَى أَبِي لَكَ فَأَنْتَ فِي الْمَجْدِ الْمَشِيدِ
وَإِذَا انْتَمَى خَالَ فَمَا خَالَ بِأَكْرَمَ مِنْ يَزِيدِ

حدث أحمد بن معاوية القرشي قال: لما عقد الرشيد ولاية العهد لبيه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤمن قال أبو العتاهية:

(١) «الْخَزُّ وَاحِدُ الْخُزُوزِ مِنَ الثِّيَابِ».

[مختار الصحاح: ٧٣].

(٢) «الْوَشْيُ: نَقْشُ الثَّوْبِ مَعْرُوفٌ، وَيَكُونُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ».

[القاموس المحيط: ١٣٤٣].

(٣) الرَّاحُ: الْخَمَرُ.

(٤) الْخَامَةُ: نَسِجٌ مِنَ الْقُطْنِ.

(٥) الْوَشَاحُ: نَسِجٌ عَرِيضٌ تَشَدُّهُ الْمَرْأَةُ بَيْنَ عَاتِقَيْهَا وَكَشْحَيْهَا.

(٦) الْأَوْضَاحُ: جَمْعٌ وَضَحٌ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْحُلِيِّ.

رَحَلْتُ عَنِ الرَّبْعِ^(١) الْمَحِيلِ قَعُودِي^(٢)
وَرَاعَ يُرَاعِي اللَّيْلَ فِي حِفْظِ أُمَّةٍ
بِأَلْوِيَةِ جَنْبِرِلُ يَفْدُمُ أَهْلَهَا
تَجَافَى^(٣) عَنِ الدُّنْيَا فَأَيَقَنَ أَنَّهَا
وَشَدَّ عُرَى الْإِسْلَامِ مِنْهُ بِفِثْيَةٍ
هُمْ خَيْرُ أَوْلَادٍ لَهُمْ خَيْرُ وَالِدٍ
بَنُو الْمُضْطَفَى هَارُونُ حَوْلَ سَرِيرِهِ
تَقَلَّبَ أَلْحَاطُ^(٤) الْمَهَابَةِ بَيْنَهُمْ
جُدُودُ هُمْ شَمْسٌ أَتَتْ فِي أَهْلَةٍ
إِلَى ذِي زُحُوفٍ^(٥) جَمَّةٍ^(٦) وَجُنُودٍ
يُدَافِعُ عَنْهَا الشَّرَّ غَيْرَ رَقُودٍ
وَرَايَاتٍ نَضَرِ حَوْلَهُ وَبُنُودٍ
مُفَارِقَةٍ لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودٍ
ثَلَاثَةَ أَمْلَاحٍ وَلَاَةَ عُهُودٍ
لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَتْ وَجُدُودٍ
فَخَيْرُ قِيَامِ حَوْلَهُ وَقَعُودٍ
عُيُونُ ظِبَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسُودٍ
تَبَدَّتْ لِرَاءٍ فِي نُجُومِ سُعُودٍ^(٧)

فوصله الرشيد بصلة ما وصل مثلها شاعراً قط .

... وقال يستغيث الرشيد لما حبسه :

يَا رَشِيدَ الْأَمْرِ أَرْشِدْنِي إِلَى وَجْهِ نُجْجِي^(٨) لَا عُذِمْتَ الرَّشْدَا

(١) «الرَّبْعُ: الدَّارُ بَيْنَهَا حَيْثُ كَانَتْ، الْجَمْعُ: رِبَاعٌ وَرُبُوعٌ وَأَرْبَعٌ وَأَرْبَاعٌ، وَالْمَحَلَّةُ وَالْمَنْزَلُ».

[القاموس المحيط: ٧١٨].

(٢) «الْقَعُودُ: الْقُلُوصُ، وَالْبَكْرُ إِلَى أَنْ يُثْنِيَ، وَالْفَصِيلُ».

[نفسه ص ٣١١].

(٣) «زَحَفَ إِلَيْهِ، كَمَنَعَ، زَحَفًا وَزُحُوفًا وَزَحَفَانًا: مَشَى».

[نفسه ص ٨١٥].

(٤) كثيرة.

(٥) «تَجَافَى جَنْبَهُ عَنِ الْفِرَاشِ أَيْ نَبَا وَاسْتَجَفَاهُ عَدُوَّهُ جَافِيًا».

[مختار الصحاح: ٤٥].

(٦) «الْأَحَاطُ، بِالْفَتْحِ: مُؤَخِّرُ الْغَيْنِ وَبِالْكَسْرِ مَضْدَرٌ لَاحِظُهُ أَيْ رَاعَاهُ».

[مختار الصحاح: ٢٤٧].

(٧) سعود النجوم: هي كواكب عشرة، يُقال لكل واحدٍ منها سعد. (المحقق).

(٨) «النُّجُجُ بوزن النُّضجِ والنُّجَاجِ بِالْفَتْحِ: الظُّقَرُ بِالْحَوَاجِ. وَأَنْجَحَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُنْجَحٌ صَارَ ذَا نُجْجٍ».

[مختار الصحاح: ٢٦٩].

لَا أَرَاكَ اللَّهُ سُوءاً أَبَدًا مَا رَأَتْ مِثْلَكَ عَيْنٌ أَحَدًا
أَعِنِ الْخَائِفَ وَازْحَمْ صَوْتَهُ رَافِعاً نَخْوَكَ يَدْعُوكَ يَدًا
وَابْلَإِي مِنْ دَعَاوِي آمِلٍ كُلَّمَا قُلْتُ تَدَائِي بَعْدًا
كَمْ أُمْنِي بَعْدِ بَعْدٍ عَدٍ يَنْقُذُ الْعُمُرُ وَلَمْ أَلْقَ عَدَا

... وروى أنه لما قتل الأمين أرسلت زبيدة إلى أبي العتاهية أن يقول على لسانها أبياتاً يستعطف بها المأمون فأرسل إليها هذه الأبيات:

أَلَا إِنَّ صَرْفَ^(١) الدَّهْرِ يُذْنِي وَيُبْعِدُ وَيُمْتَعُ بِالْآلَافِ طَوْرًا وَيُنْفِدُ
أَصَابَتْ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مِثِّي يَدِي يَدِي فَسَلَّمْتُ بِالْأَقْدَارِ وَاللَّهُ أَحْمَدُ
أَقُولُ لِرَيْبِ الدَّهْرِ إِنْ دَهَبَتْ يَدُ فَقَدْ بَقِيَتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِي يَدُ
إِذَا بَقِيَ الْمَأْمُونُ لِي فَالرَّشِيدُ لِي وَلِي جَعْفَرٌ لَمْ يُفْتَقَدْ وَمُحَمَّدُ

... حدث حبيب بن الجهم التميمي قال: حضرت الفضل بن الربيع متنجزاً جائزتي، وفرضي، فلم يدخل عليه أحد قبلي، فإذا عون حاجبه قد جاء فقال: هذا أبو العتاهية يسلم عليك وقد قدم من مكة فقال: أعفني منه الساعة يشغلني عن ركوبي. فخرج إليه عون فقال: إنه على الركوب إلى أمير المؤمنين، فأخرج من كُفِّهِ نعلًا عليها شراك، فقال: قل له: إن أبا العتاهية قد أهداها إليك جعلت فداءك. قال: قد دخلت بها، فقال: ما هذه؟ فقلت: نعلٌ وعلى شراكها مكتوب كتاب. فقال: يا حبيب اقرأ ما عليها. فقرأته فإذا هو:

نَعْلٌ بَعَثْتُ بِهَا لِيَلْبِسَهَا قَدَمٌ بِهَا يَمْشِي إِلَى الْمَجْدِ
لَوْ كَانَ يَضْلُحُ أَنْ أَشْرَكَهَا خَدْيٌ جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدْيِ

... قال الأصمعي: صنع الرشيد طعاماً وزخرف مجالسه، وأحضر

(١) «صَرْفُ الدَّهْرِ: حَدَثَاتُهُ وَنَوَائِئُهُ».

أبا العتاهية وقال له: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا. فقال أبو العتاهية:

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ
يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اشْتَهَيْتَ لَدَى الرِّوَّاحِ^(١) أَوْ الْبُكُورِ
فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَفَّقَعَتْ^(٢) فِي ظِلِّ حَشْرَجَةٍ^(٣) الصُّدُورِ
فَهُنَاكَ تَغْلَمُ مُوقِنًا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ

... حَدَّثَ عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ: كَانَ الْهَادِي وَاجِدًا^(٤) عَلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ لِمَلَازِمَتِهِ أَخَاهُ هَارُونَ فِي خِلَافَةِ الْمَهْدِيِّ. فَلَمَّا وَلِيَ مُوسَى الْخِلَافَةَ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَمْدَحُهُ:

يَضْطَرُّ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ إِذَا حَرَكَ مُوسَى الْقَضِيبَ أَوْ فَكَّرَ
مَا أَبَيَّنَ الْفَضْلَ فِي مَغِيبٍ وَمَا أَوْرَدَ مِنْ رَأْيِهِ وَمَا أَضْدَرَ
فَكَمْ تَرَى عَزَّ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ مَعْشَرِ قَوْمٍ وَذَلَّ مِنْ مَعْشَرِ
يُثْمِرُ مِنْ مَسِّهِ الْقَضِيبُ وَلَوْ يَمَسُّهُ غَيْرُهُ لَمَا أَثْمَرَ
مَنْ مِثْلُ مُوسَى وَمِثْلُ وَالِدِهِ الـ مَهْدِيِّ أَوْ مِثْلُ جَدِّهِ جَعْفَرِ

... دَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ عَلَى مُوسَى الْهَادِي بَعْدَ أَنْ رَضِيَ عَنْهُ لِمَدَحِهِ إِيَّاهُ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ «يَضْطَرُّ الْخَوْفُ» فَأَنْشَدَهُ:

(١) «الرِّوَّاحُ: ضِدُّ الصَّبَاحِ وَهُوَ اسْمٌ لِلْوَقْتِ مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى اللَّيْلِ وَهُوَ أَيْضًا مَصْدَرُ رَاحَ يَرُوحُ ضِدُّ غَدَا يَغْدُو. وَسَرَحَتِ الْمَاشِيَةُ بِالْغَدَاةِ وَرَاحَتِ بِالْعِشِيِّ تَرُوحُ رَوَاحًا أَيْ رَجَعَتْ».

[مختار الصحاح: ١١٠].

(٢) «الْقَفْقَعَةُ: تَحْرِيكُ الشَّيْءِ الْيَاسِ الصُّلْبِ مَعَ صَوْتٍ».

[القاموس المحيط: ٧٥٤].

(٣) «الْحَشْرَجَةُ: الْغُرْغُرَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَتَرْدُّ النَّفْسِ».

[نفسه ص ١٨٤].

(٤) «وَجَدَ عَلَيْهِ فِي الْقَضْبِ مَوْجِدَةً بِكسر الجيم ووجداناً أيضاً بِكسر الواو».

[مختار الصحاح: ٢٩٦].

بَيْنَ الْخَوَزَنْقِ^(١) وَالسَّيْدِيرِ^(٢)
 نِ نَعُومٍ فِي بَخْرِ السُّرُورِ
 رَبُّنَا مِنَ الدَّهْرِ الْعَثُورِ
 يَا بِالرَّوَّاحِ وَيَا بِالْبُكُورِ
 جُنْحُنَ أَجْنِحَةَ النُّسُورِ
 مَ عَلَى الشُّهُولَةِ وَالْوُغُورِ
 فِي سِنٍ مُكْتَهِلٍ كَبِيرِ

لَهْفِي عَلَى الزَّمَنِ الْقَصِيرِ
 إِذْ نَحْنُ فِي غُرْفِ الْجِنَا
 وَإِلَى أَمِينِ اللَّهِ مَهْ—
 وَإِلَيْهِ أَتَعَبْنَا الْمَطَا
 صُغَرَ^(٣) الْخُدُودِ كَأَنَّمَا
 مُتَسَرِّبَلَاتٍ^(٤) بِالظَّلَا
 مَا زَالَ قَبْلَ فِطَامِهِ
 . . . وقال يمدح الرَّشِيدَ:

إِمَامُ اغْتِرَامٍ لَا تُخَافُ بَوَادِرُهُ
 مَوَارِدُهُ مَخْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ
 مُسَلِّمَةٌ مِنْ كُلِّ سُوءٍ عَسَاكِرُهُ
 وَلِيٌّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَاصِرُهُ
 إِذَا مَا الصَّدَى بِالرِّيقِ غَصَّتْ حَنَاجِرُهُ

جَرَى لَكَ مِنْ هَارُونَ بِالسَّغْدِ طَائِرُهُ
 إِمَامٌ لَهُ رَأْيٌ حَمِيدٌ وَرَحْمَةٌ
 هُوَ الْمَلِكُ الْمَجْبُولُ^(٥) نَفْسًا عَلَى الثَّقَى
 لِيَغْمُدَ^(٦) سَيْفَ الْحَرْبِ فَاللَّهُ وَخَدَهُ
 وَهَارُونُ مَاءِ الْمُزْنِ^(٧) يَشْفِي مِنَ الصَّدَى^(٨)

(١) الْخَوَزَنْقُ: قَصْرٌ فِي الْعِرَاقِ بَنَاهُ التُّعْمَانُ اللَّخِمِيُّ وَوَسَّعَهُ الْعَبَّاسِيُّونَ.

(٢) السَّيْدِيرُ: قَصْرٌ فِي الْحِجْرَةِ قَرِيبٌ مِنَ الْخَوَزَنْقِ.

(٣) «الصُّغَرُ، مُحَرَّكَةً، وَالتَّصْغَرُ: مَبْلٌ فِي الْوَجْهِ، أَوْ فِي أَحَدِ الشَّفَتَيْنِ، أَوْ ذَاءٌ فِي الْبَعِيرِ، يَلْوِي عُقَّةً مِنْهُ، صَعَرَ، كَفَرِحَ، فَهُوَ أَصْعَرُ».

[القاموس المحيط: ٤٢٤].

(٤) «السَّرْبَلَاتُ: كُلُّ مَا لَيْسَ، وَقَدْ تَسَرَّبَلَتْ بِهِ، وَسَرَبَلَتْهُ».

[نفسه ص ١٠١٤].

(٥) الْجِبِلَّةُ: الْخَلْقَةُ وَالطَّبِيعَةُ.

(٦) «الْغِمْدُ، بِالْكَسْرِ: جَفْنُ السَّيْفِ، كَالْغُمْدَانِ، بِضَمَّتَيْنِ وَالشَّدُّ، الْجَمْعُ: أَغْمَادٌ وَغُمُودٌ، وَبِالْفَتْحِ: مَصْدَرُ غَمَدَةٍ يَغْمِدُهُ وَيَغْمُدُهُ: جَعَلَهُ فِي الْغِمْدِ، كَأَغْمَدَهُ».

[القاموس المحيط: ٣٠٤].

(٧) «الْمُزْنُ، بِالضَّمِّ: السَّحَابُ، أَوْ أَيْبُضُهُ، أَوْ ذُو الْمَاءِ، الْقِطْعَةُ: مُزْنَةٌ».

[القاموس المحيط: ١٢٣٤].

(٨) «الصَّدَى: الْعَطَشُ، صَدِيٌّ، كَرَضِيٍّ، صَدَى، فَهُوَ صَدٍ وَصَادٍ وَصَدْيَانٌ».

[نفسه ص ١٣٠٢].

وَأَوْسَطُ بَيْتٍ فِي قُرَيْشٍ لَبِيتُهُ
وَزَخَفٌ لَهُ تَخَكِّي الْبُرُوقِ سُيُوفُهُ
إِذَا حَمِيَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تَضَاكَتْ
إِذَا نُكِبَ الْإِسْلَامُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ
وَمَنْ ذَا يَفُوتُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ مُذْرِكُ

وَأَوَّلُ عِزٍّ فِي قُرَيْشٍ وَآخِرُهُ
وَتَخَكِّي الرُّعُودِ الْقَاصِفَاتِ حَوَافِرُهُ
إِلَى الشَّمْسِ فِيهِ بِيضُهُ^(١) وَمَغَافِرُهُ^(٢)
فَهَارُونَ مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ ثَائِرُهُ
كَذَا لَمْ يَفُتْ هَارُونَ ضِدُّ يُنَافِرُهُ

... تأخر المهدي عن أن ينيل أبا العتاهية ما سأل، فبعث إليه بهذين البيتين، فأعطاه خمسين ألف درهم:

لَيْتَ شِغْرِي^(٣) مَا عِنْدَكُمْ لَيْتَ شِغْرِي
مَا جَوَابُ أَوْلَى بِكُلِّ جَمِيلٍ

فَلَقَدْ أَخَّرَ الْجَوَابُ لِأَمْرِ
مِنْ جَوَادٍ يُرَدُّ مِنْ بَعْدِ شَهْرِ

... وقال أبو العتاهية عندما أمر الرشيد بحبسِهِ:

أَنَا الْيَوْمَ لِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَشْهُرُ
تَذَكَّرُ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّي وَحُرْمَتِي
لِيَالِي تُذْنِي مِنْكَ بِالْقُرْبِ مَجْلِسِي
فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً

يَرُوحُ عَلَيَّ الْعَمُّ مِنْكُمْ وَيَبْكُرُ
وَمَا كُنْتُ تُؤَلِّينِي لَعَلَّكَ تَذَكَّرُ
وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ يَقْطُرُ
إِلَيَّ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

... نظم أبو العتاهية هذه الأبيات لزبيدة زوج الرشيد بعد مقتل ابنها الأمين فبعثت بها إلى المأمون:

لِخَيْرِ إِمَامٍ قَامَ مِنْ خَيْرِ عُصْرٍ
وَأَفْضَلِ رَاقٍ فَوْقَ أَغْوَادٍ مِنْبَرٍ

(١) «الْبَيْضُ: السَّيْفُ وَجَمْعُهُ: بَيْضٌ».

[مختار الصحاح: ٢٩].

(٢) «الْفَقْرُ: التَّنْغِيَةُ وَبَابُهُ ضَرْبٌ. وَالْمِغْفَرُ بِوزنِ الْمِبْضَعِ: زَرْدٌ يُنْسَجُ عَلَى قَدْرِ الرَّأْسِ يُلبَسُ تحتِ الْقَلَسُوةِ».

[نفسه ص ١٩٩].

(٣) «لَيْتَ شِغْرِي فُلَانًا، وَلَهُ، وَعَنْهُ مَا صَنَعَ؟ أَي: لَيْتَنِي شَعَرْتُ».

[القاموس المحيط: ٤١٦].

وَوَارِثِ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ وَمُلْكِهِمْ
كَتَبْتُ وَعَيْنِي تَسْتَهْلُ^(١) دُمُوعَهَا
أَصِبتُ بِأَذْنَى النَّاسِ مِنْكَ قَرَابَةً
أَتَى طَاهِرٌ لَا طَهَّرَ اللَّهُ طَاهِرًا
فَأَبْرَزَنِي مَكْشُوفَةَ الْوَجْهِ حَاسِرًا
يَعِزُّ عَلَى هَارُونَ مَا قَدْ لَقِيْتُهُ
تَذَكَّرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَرَابَتِي
فَإِنْ يَكُ مَا أَسْدَى لِأَمْرِ أَمْرَتُهُ
وَإِنْ تَكُ الْأُخْرَى فَعَيْرُ مُدَافِعِ

هُوَ الْمَلِكُ الْمَأْمُونُ مِنْ أُمِّ جَعْفَرٍ
إِلَيْكَ ابْنُ عَمِّي مِنْ جُفُونِي وَمَخْجَرِي^(٢)
وَمَنْ هُوَ لِي رُوحِي فَعِيلَ تَصْبِيرِي^(٣)
فَمَا طَاهِرٌ فِي فِعْلِهِ بِمُطَهَّرٍ
وَأَنْهَبَ أَمْوَالِي وَخَرَّبَ أَذُورِي
وَمَا مَرَّ لِي مِنْ نَاقِصِ الْخَلْقِ أَغْوَرِ
فَدَيْتُكَ مِنْ ذِي قُرْبَةٍ مُتَذَكِّرِ
صَبَرْتُ لِأَمْرِ مِنْ قَدِيرٍ مُدَبِّرِ
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَعَيْرِ

... حَدَّثَ مُوسَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ أَبُو جَعْفَرٍ صَدِيقًا لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ، فَلَمَّا خَدَمَ الْمَأْمُونُ وَخَصَّ بِهِ رَأْيَ مِنْهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ جَفْوَةً، فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الشَّرِيفَ يَشِيئُهُ^(٤)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُزْجِي لَهُ الْغِنَى
فَإِنْ نِلْتَ تِيهَا بِالَّذِي نِلْتَ مِنْ غِنَى
تَتَائِيَهُ^(٥) عَلَى الْأَخْلَاءِ فِي الْوَفْرِ^(٦)
وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ
فَإِنَّ غِنَايَ فِي التَّجْمُلِ وَالصَّبْرِ

(١) سَالَتْ.

(٢) «الْمَخْجَرُ - كَمَخْلِسٍ وَمِنْبَرٍ - مِنَ الْعَيْنِ: مَا دَارَ بِهَا».

[القاموس المحيط: ٣٧٢].

(٣) «الصَّبْرُ: نَقِيضُ الْجَزَعِ، صَبَرَ يَصْبِرُ، فَهُوَ صَابِرٌ وَصَبِيرٌ وَصَبُورٌ، وَتَصَبَّرَ وَاضْطَبَّرَ وَاصْبَرَ».

[القاموس المحيط: ٤٢٢].

(٤) «شَأْنُهُ يَشِيئُهُ: ضِدُّ زَانَهُ».

[القاموس المحيط: ١٢١٠].

(٥) التَّيَّةُ، بِالْكَسْرِ: الصَّلَفُ، وَالْكَبَرُ. تَاءٌ، فَهُوَ تَائِهٌ وَتِيَّاهٌ وَتِيَّهَانٌ.

(٦) «الْوَفْرُ: الْغِنَى، وَمِنَ الْمَالِ وَالْمَتَاعِ: الْكَثِيرُ الْوَاسِعُ، أَوْ الْعَامُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْجَمْعُ: «وُفُورٌ».

[القاموس المحيط: ٤٩٣].

فبعث إليه بألفي درهم وكتب إليه يعتذر مما أنكره.

... وقال أبو العتاهية يرثي يزيد بن منصور خال المهدي:

أَنْعَى يَزِيدَ بْنَ مَنْصُورٍ إِلَى الْبَشْرِ أَنْعَى يَزِيدَ لِأَهْلِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
يَا سَاكِنَ الْحُفْرَةِ الْمَهْجُورِ سَاكِنُهَا بَعْدَ الْمَقَاصِرِ ^(١) وَالْأَبْوَابِ وَالْحَجَرِ
وَجَدْتُ فَقْدَكَ فِي مَالِي وَفِي نَسَبِي ^(٢) وَجَدْتُ فَقْدَكَ فِي شِعْرِي وَفِي نَثْرِي
فَلَسْتُ أَذْرِي جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً أَمَنْظِرِي أَسْوَاً هُوَ فِيكَ أَمْ خَبْرِي
[«ديوان أبي العتاهية» شرح: د. وفاء الباني قمر].



خبر أعرابي دخل على بعض الملوك يمدحه

حدَّثنا أبو بكر قال رحمه الله: حدَّثنا أبو حاتم، عن الأصمعي، قال: دخل أعرابي على بعض الملوك فقال: رأيتني فيما أتعاطى من مَذْحِك كالمُخْبِر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على الناظر، وأيقنت أنني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز مُقْصَر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدُّعاء لك، ووكلتُ الإخبار عنك إلى علم الناس بك.

[«الأمالي» ص ٣٣٤].



(١) «المَقْصُورَةُ: الدَّارُ الواسِعَةُ الْمُحْصَنَةُ، أو هي أَصْغَرُ مِنَ الدَّارِ، كَالْقَصَارَةِ، بِالضَّمِّ، ولا يَدْخُلُهَا إِلَّا صَاحِبُهَا».

[القاموس المحيط: ٤٦٢].

(٢) «التَّشْبُّ والتَّشْبَةُ، مُحْرَكَتَيْنِ، والمَنْشَبَةُ: المَالُ الْأَصِيلُ مِنَ الثَّائِقِ وَالصَّامِتِ».

[نفسه ص ١٣٨].

قول عبدالملك في السِّياسة

حدَّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال: حدَّثنا أبو حاتم، عن أبي زَيْد قال: سأل الوليدُ بن عبدالملك أباه عن السِّياسة، فقال: هيبةُ الخاصَّة مع صدق مودَّتها، واقتياد قُلوب العامَّة بالإنصاف لها، واحتمال هَفوات الصَّنائع، فإنَّ شُكرها أقرب الأيادي إليها.

[نفسه ص ٣٤١].



وصيَّة زيَّاد لعمَّاله

حدَّثنا أبو بكر قال: حدَّثنا أبو حاتم، عن أبي عُبيدة، عن يُونُس، قال: كان زيَّاد إذا وُلِّي رجلاً عَمَلاً قال له: خُذْ عهدك وِسْرَ إلى عَمَلِك، واعلم أنَّك مصروف رأس سَنَتِكَ، وأنَّك تصير إلى أربع خِلال فاختر لنفسك: إنا إنَّ وَجَدناكَ قَوِيًّا خائِناً اسْتَهَنَّا بِقَوَّتِكَ، وأَحْسَنَّا على خيانتك أدَبَكَ، وأَوْجَعنا ظَهْرَكَ وثَقَّلنا غُرْمَكَ، وإنَّ جَمَعْتَ عَلينا الجُرْمين جَمَعنا عَلَيْكَ المَضْرَتين، وإنَّ وَجَدناكَ أَمِيناً قَوِيًّا زَدنا في عَمَلِكَ ورفَعنا ذَكَرَكَ، وكَثَرنا مالَكَ وأوطَأنا عَقَبَكَ.

[نفسه ص ٣٤٢].



خطبة عمر بن عبدالعزيز في الجزع والدُّنيا

حدَّثنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدَّثني أبي قال: حدَّثنا أحمد بن عُبيد قال: حدَّثنا الزنادي، قال: يُقال: إنَّ عُمَرَ بن عبدالعزيز رحمه الله تكلَّم بهذا الكلام في خُطبته: ما الجَزَع ممَّا لا بُدَّ منه، وما الطَّمَع فيمَّا لا

يُرَجَى، وما الحيلة فيما سَيَزُول! وإنما الشَّيء من أصله، فَقَدْ مَضَتْ قَبْلَنَا
أصول نحن فُروعها، فَمَا بَقَاء فَرَع بَعْد أصله، إِنَّمَا النَّاسُ فِي الدُّنْيَا أَغْرَاض
تَتَضَلُّ فِيهِمُ الْمَنَايَا، وَهُمْ فِيهَا نَهَبٌ لِلْمَصَائِبِ، مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقَ، وَفِي
أَكْلَةٍ غَصَصَ، لَا يَنَالُونَ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ يَوْمًا مِنْ
عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَأَنْتُمْ أَعْوَانُ الْحُتُوفِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَأَيْنَ
الْمَهْرَبِ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ! وَإِنَّمَا نَتَقَلَّبُ فِي قُدْرَةِ الطَّالِبِ، فَمَا أَصْغَرَ الْمُصِيبَةِ
الْيَوْمَ مَعَ عَظِيمِ الْفَائِدَةِ غَدًا، وَأَكْبَرَ خِيَةِ الْخَائِبِ فِيهِ! وَالسَّلَامُ.

[نفسه ص ٣٥٩].



خبر عبدالملك بن مروان وبطانته في أحسن ما قيل في الشعر

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: كَانَ
عبدالملك بن مروان ذات ليلة في سَمَرِهِ^(١) مَعَ وَلَدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَخَاصَّتِهِ،
فَقَالَ لَهُمْ: لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الشُّعْرِ وَلِيُفْضَلْ مِنْ رَأْيِ
تَفْضِيلِهِ، فَأَنشَدُوا وَفَضَّلُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: امْرُؤُ الْقَيْسِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ:
النَّابِغَةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَعَشَى، فَلَمَّا فَرَّغُوا قَالَ: أَشْعَرُ وَاللَّهِ مِنْ هَؤُلَاءِ
جَمِيعًا عِنْدِي الَّذِي يَقُولُ: قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: أَنشَدَ عَبْدِالْمَلِكِ بَعْضُ هَذِهِ
الْأَبْيَاتِ الَّتِي أَنَا ذَاكِرُهَا وَضَمَمْتُ إِلَيْهَا مَا اخْتَرْتُ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَقَتَّ قِرَاءَتِي
شُعْرَ مَعْنِ بْنِ أَوْسٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بَنِ دَرِيدٍ وَمَا رَوَاهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي
نَوَادِرِهِ:

وَذِي رَجِمَ قَلَمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ^(٢) بِجِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ جِلْمٌ

(١) «السَّمَرُ، محرَّكة: اللَّيْلُ، وَحَدِيثُهُ، كَالسَّمِيرِ».

[القاموس المحيط: ٤٠٩].

(٢) «الضُّغْنُ، بالكسر: الْحِقْدُ، كَالضُّغْنِيَّةِ، وَقَدْ ضَغِنَ، كَفَرِحَ».

[القاموس المحيط: ١٢١١].

وَكَاالْمَوْتُ عِنْدِي أَنْ يَحُلَّ بِهِ الرُّغْمُ
وَلَيْسَ لَهُ بِالصَّفْحِ عَنْ ذَنْبِهِ عِلْمُ
سِهَامٍ عَدُوٍّ يُسْتَهَاضُ^(٣) بِهَا الْعَظْمُ
وَمَا تَسْتَوِي حَزْبُ الْأَقَارِبِ وَالسَّلَامُ
عَلَى سَهْمِهِ مَا ذَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ
وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَوَانٌ وَلَا شَتَمُ
قَطِيعَتَهَا تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالْإِثْمُ
وَيَدْعُو لِحُكْمِ جَائِرٍ غَيْرُهُ الْحُكْمُ
رِعَايَتُهَا حَقٌّ وَتَغْطِيلُهَا ظُلْمُ
بِوَسْمِ شَنَارٍ^(٩) لَا يُشَاكِيهِ^(١٠) وَسَمُ

يُحَاوِلُ رَغْمِي^(١) لَا يُحَاوِلُ غَيْرِهِ
فَإِنْ أَغْفُ عَنْهُ أَغْضُ عَيْنًا عَلَى قَدَى
وَإِنْ أَتَنَصَّرَ مِنْهُ أَكُنْ مِثْلَ رَائِشٍ^(٢)
صَبَرْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
وَبَادَرْتُ مِنْهُ النَّأْيَ^(٤) وَالْمَرْءُ قَادِرُ
وَيَشْتِمُ عِرْضِي فِي الْمُغَيِّبِ جَاهِدًا
إِذَا سُمْتُهِ وَضَلَ الْقَرَابَةَ سَامِنِي^(٥)
وَإِنْ أَدْعُهُ لِلنُّصْفِ^(٦) يَأْبَ وَيَغْصِنِي
فَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ وَالرَّحْمُ الَّتِي
إِذَا لَعَلَاهُ بَارِقِي^(٧) وَخَطْمَتُهُ^(٨)

(١) «الرُّغْمُ: الكُرْهُ، وَثُلُثٌ، كَالْمَرْغَمَةِ، وَرَغْمُهُ، كَعَلِمَهُ وَمَنْعَهُ: كَرِهَهُ».

[نفسه ص ١١١٤].

(٢) «رَاشَ السَّهْمُ يَرِيشُهُ: أَلْزَقَ عَلَيْهِ الرِّيشَ، كَرِيشُهُ، فَهُوَ مَرِيشٌ وَمُرِيشٌ».

[القاموس المحيط: ٥٩٥].

(٣) «هَاضَ الْعَظْمُ يَهِيضُهُ: كَسَرَهُ بَعْدَ الْجُبُورِ، كَاهْتَاضَهُ، وَهُوَ مَهِيضٌ».

[نفسه ص ٦٥٧].

(٤) النَّأْيُ: الْبُعْدُ.

(٥) «سَامَ فُلَانًا الْأَمْرَ: كَلَّفَهُ إِيَّاهُ، أَوْ أَوْلَاهُ إِيَّاهُ، كَسَوَّمَهُ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْعَذَابِ وَالشَّرِّ».

[القاموس المحيط: ١١٢٤].

(٦) «الْإِنْصَافُ: الْعَدْلُ، وَالْإِسْمُ: النِّصْفُ وَالنِّصْفَةُ، مُحْرَكَتَيْنِ».

[نفسه ص ٨٥٦].

(٧) «الْبَارِقَةُ: السُّيُوفُ».

[القاموس المحيط: ٨٦٦].

(٨) «خَطْمَتُهُ يَخْطُمُهُ: ضَرَبَ أَنْفَهُ».

[نفسه ص ١١٠٤].

(٩) «الشَّنَارُ، بِالْفَتْحِ: أَقْبَحُ الْعَيْبِ، وَالْعَارُ، وَالْأَمْرُ الْمَشْهُورُ بِالشُّنْعَةِ».

[نفسه ص ٤٢٠].

(١٠) «شَاكِيَهُ مُشَاكِيَهُ وَشِكَاها: شَابَهَهُ وَشَاكَلَهُ وَقَارَبَهُ».

[نفسه ص ١٢٤٨].

وَيَسْعَى إِذَا أَبْنِي لِيَهْدِمَ صَالِحِي
يَوْدُ لَوْ أَنِّي مُغْدِمٌ ^(١) دُو خَصَاصَةٍ ^(٢)
وَيَعْتَدُ غَنَمًا فِي الْحَوَادِثِ نَكَبَتِي
فَمَا زِلْتُ فِي لَيْنِي لَهُ وَتَعَطْفِي

وروى :

فَمَا زِلْتُ فِي رَفَقٍ بِهِ وَتَعَطْفٍ

وزاد ابن الأعرابي :

وَحَفِضَ لَهُ مَنِّي الْجَنَاحَ تَأْلَفًا
وَقَوْلِي إِذَا أَخْشَى عَلَيْهِ مُصِيبَةً

وروى :

وَقَوْلِي إِذَا أَخْشَى عَلَيْهِ مُلِمَّةٌ ^(٤)
وَصَبْرِي عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْهُ تُرِيبُنِي
لَأَسْتَلَّ مِنْهُ الضُّغْنَ حَتَّى اسْتَلْتُهُ
رَأَيْتُ انْثِلَامًا ^(٦) بَيْنَنَا فَرَقَعْتُهُ

(١) «أَعْدَمَ إِعْدَامًا وَعُدَمًا، بِالضَّمِّ: افْتَقَرَ».

[القاموس المحيط: ١١٣٦].

(٢) «الْخَصَاصُ وَالْخَصَاصَةُ وَالْخَصَاصَاءُ، بَفَتْحِهِنَّ: الْفَقْرُ».

[نفسه ص ٦١٨].

(٣) «السَّئَاءُ، بِالْمَدِّ: الرُّقْعَةُ».

[نفسه ص ١٢٩٦].

(٤) «الْمُلِمَّةُ: النَّازِلَةُ مِنْ نَوَازِلِ الدُّنْيَا».

[مختار الصحاح: ٢٥٢].

(٥) «كَظَمَ غَيْظَهُ: اجْتَرَعَهُ وَبَابُهُ ضَرَبَ فَهُوَ رَجُلٌ كَظِيمٌ وَالْغَيْظُ مَكْظُومٌ».

[نفسه ص ٢٣٨].

(٦) «ثَلَّمَ الْإِنَاءَ وَالسِّيفَ وَنَحْوَهُ، كَضَرَبَ وَفَرَحَ، وَثَلَّمَهُ فَانْثَلَمَ وَثَلَّمَتْ: كَسَرَ حَرْفَهُ فَانْكَسَرَ».

[القاموس المحيط: ١٠٨٤].

وَلَيْسَ الَّذِي يَبْنِي كَمَنْ شَأْنُهُ الْهَدْمُ
وَأَكْرَهُ جُهْدِي أَنْ يُخَالِطَهُ الْعُدْمُ
وَمَا إِنْ لَهُ فِيهَا سَنَاءٌ ^(٣) وَلَا غُنْمُ
عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمُّ

عليه

لِثُذْنِيهِ مِنِّي الْقَرَابَةُ وَالرَّحْمُ
أَلَا اسْلَمَ فِدَاكَ الْخَالُ دُو الْعَقْدِ وَالْعَمُّ

أَلَا اسْلَمَ
وَكَظَمِي ^(٥) عَلَى غَيْظِي وَقَدْ يَنْفَعُ الْكَظْمُ
وَقَدْ كَانَ ذَا ضِغْنٍ يَضِيقُ بِهِ الْجِزْمُ
بِرَفْقِي وَإِحْيَائِي وَقَدْ يُزْقَعُ الثَّلْمُ

وَأَبْرَأْتُ غِلًّا^(١) الصَّدْرِ مِنْهُ تَوْسَعًا بِحِلْمِي كَمَا يُشْفَى بِالْأَذْوِيَةِ الْكَلَمُ^(٢)

وزاد ابن الأعرابي:

فَدَاوَيْتُهُ حَتَّى أَزْفَأَنَّ^(٣) نِفَارُهُ فَعُدْنَا كَأَنَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا صَرْمٌ^(٤)
وَأَطْفَأَ نَارَ الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَصْبَحَ بَغْدَ الْحَرْبِ وَهُوَ لَنَا سَلَمٌ

وروى: فأطفأت نار الحرب. فقليل له: يا أمير المؤمنين، من قائل هذه الأبيات؟ قال: معن بن أوس المزني.

[نفسه ص ٣٦٠ - ٣٦١].



خبر عزة كثير مع عبدالملك بن مروان

حدثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثني أبي عكرمة الضبي، قال: قال العتبي: دخلت عزة على عبدالملك بن مروان فقال لها: يا عزة، أنت عزة كثير؟ فقالت: أنا أم بكر الضمرية، فقال لها: أتروين قول كثير:

وَقَدْ زَعَمْتُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْخُذُ لَا يَتَغَيَّرُ
تَغْيِيرَ جَسَمِي وَالْخَلِيفَةِ كَالَّتِي عَهَدْتُ وَلَمْ يُخْبِر بِسِرِّكَ مُخْبِرُ

(١) «الغَيْلُ: الجَفْدُ، كَالْغَيْلِ، بِالْكَسْرِ، وَالضُّغْنُ، وَقَدْ غَلَّ صَدْرُهُ يَغْلُ».

[نفسه ص ١٠٣٩].

(٢) «الْكَلَمُ: الخَرْجُ، الجَمْعُ: كُلُّوْمٌ وَكِلَامٌ».

[نفسه ص ١١٥٥].

(٣) «أَزْفَأَنَّ أَزْفِئْتَانًا: نَفَرَ ثُمَّ سَكَنَ، وَضَعَفَ، وَاسْتَرْخَى».

[القاموس المحيط: ١٢٠١].

(٤) «صَرَمَهُ يَصْرِمُهُ صَرْمًا، وَيُضَمُّ: قَطَعَهُ بَائِنًا».

[نفسه ص ١١٢٩].

فَقَالَتْ: لَا أُرَوِّي هَذَا، وَلَكِنْ أُرَوِّي قَوْلَهُ:

كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَغْرَضْتُ مِنْ الصُّمِّ^(١) لَوْ تَمْشِي بِهَا الْعُصْمُ^(٢) زَلَّتِ
صَفُوحًا فَمَا تَلَقَّاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَضَلُ مَلَّتِ
[نفسه ص ٣٦٥].



وصف الحجاج لنفسه

وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْعُكْلِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلَ عَبْدِ الْمَلِكِ
الْحَجَّاجَ عَنْ عِيْبِهِ فَتَلَكَّأَ^(٣) عَلَيْهِ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يُخْبِرَهُ، فَقَالَ: أَنَا حَدِيدٌ حَسُودٌ
حَقُودٌ لُجُوجٌ^(٤) ذُو قَسْوَةٍ، فَبَلَغَ هَذَا الْكَلَامَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ فَقَالَ: لَقَدْ
انْتَحَلَ^(٥) الشَّرَّ بِحَدَافِيرِهِ^(٦)، وَالْمُرُوقَ^(٧) مِنْ جَمِيعِ الْخَيْرِ بِزَوْبِرِهِ^(٨).

(١) «الصَّمَاءُ: الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ، الْجَمْعُ: صُمٌّ».

[القاموس المحيط: ١١٣٠].

(٢) «الْأَعْصَمُ مِنَ الطَّبَاءِ وَالْوُعُولِ: مَا فِي ذِرَاعَيْهِ أَوْ فِي أَحَدِهِمَا بَيَاضٌ وَسَائِرُهُ أَسْوَدٌ أَوْ
أَحْمَرٌ، وَهِيَ عُصْمَاءٌ».

[نفسه ص ١١٣٨].

(٣) «تَلَكَّأَ عَلَيْهِ: اغْتَلَّ، وَعَنَهُ: أَبْطَأَ».

[القاموس المحيط: ٥٢].

(٤) مُتَمَادِي فِي الْخُصُومَةِ.

(٥) «انْتَحَلَهُ وَتَنَحَّلَهُ: ادَّعَا لِنَفْسِهِ وَهُوَ لِغَيْرِهِ».

[القاموس المحيط: ١٠٦١].

(٦) «أَخَذَهُ بِحُدُوفِهِ وَبِحَدَافِيرِهِ وَبِأَسْرِهِ، أَوْ بِجَوَانِبِهِ، أَوْ بِأَعَالِيهِ».

[نفسه ص ٣٨٤].

(٧) «مَرَقَ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ مُرُوقًا: خَرَجَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ».

[نفسه ص ٩٢٣].

(٨) «أَخَذَهُ بِزَوْبِرِهِ وَرَأْبِرِهِ وَزَبِيرِهِ وَزَبُورِهِ أَي: أَجْمَعَ».

[نفسه ص ٣٩٨].

ولقد تأنَّق^(١) في دَمِّ نفسه، وتَجَوَّد في الدَّلالة على لَوْمِ طبعه، وفي إقامة البرهان على إفراط كُفره، والخروج من كَنَفِ رَبِّه، وشِدَّة المُشاكلة لِشيطانه الذي أغواه.

[نفسه ص ٣٦٨].



لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

كُتِبَ عُمَرُ - رضي الله عنه - إلى أبي موسى: أما بعد، فتفقَّهوا في السُّنة، وتعلَّموا العربيَّة.

وزُوي عنه رحمه الله أنه قال: رَحِمَ الله امرأً أصلح من لِسانه.

وقال عليّ بن محمَّد العلوي:

رَأَيْتُ لِسَانَ الْمَرْءِ رَائِدَ عَقْلِهِ وَعُنْوَانُهُ فَانْظُرْ بِمَاذَا تُعْنُونُ
وَلَا تُغْدُ إِضْلَاحَ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ يُخْبِرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيُبَيِّنُ
وَيُغْجِبُنِي زِيُّ الْفَتَى وَجَمَالُهُ فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِي سَاعَةً يَلْحَنُ^(٢)

كان عبدالله بن عمر يضرب ولده على اللحن.

قال شعبة: مثل الذي يتعلَّم الحديث، ولا يتعلَّم النحو مثل البُزنس لا رأس له.

قال المأمون لأحد أولاده - وقد سَمِعَ منه لَحْنًا -: ما على أحدكم أنْ

(١) «شَيْءٌ أُنِيقٌ، كَامِيرٌ: حَسَنٌ مُعْجِبٌ، وَلَهُ أُنَاقَةٌ، وَيَكْسِرُ. وَأُنُقٌ تَأْنِيْقًا: عَجَبٌ».

[القاموس المحيط: ٨٦٥].

(٢) «اللَّحْنُ: الْخَطَأُ فِي الْإِعْرَابِ وَبَابُهُ قَطَعَ. وَيُقَالُ: فُلَانٌ لَحَّانٌ وَلَحَّانَةٌ أَيْضًا أَيْ يُخْطِئُ».

[مختار الصحاح: ٢٤٨].

يتعلّم العربيّة فيقيم بها أودّه^(١)، ويزين بها مشهده، ويفلّ^(٢) بها حُجج خُصمه بِمُسكّنات حُكمه، ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه. أُويسرُ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمتّه، فلا يزال الدهر أسير كلمته، قاتل الله الذي يقول:

أَلَمْ تَرِ مِفْتَاحَ الْفُؤَادِ لِسَانَهُ إِذَا هُوَ أَبْدَى مَا يَقُولُ مِنَ الْقَمِ
وَكَايْنُ تَرَى مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفُ فُؤَادِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

وقال الخليل بن أحمد:

لَا يَكُونُ السَّرِيُّ^(٣) مِثْلَ الدَّنِيِّ^(٤) لَا وَلَا ذُو الذِّكَاءِ مِثْلَ الْعَبِيِّ
لَا يَكُونُ الْأَلْدُ^(٥) ذُو الْمَقُولِ^(٦) الْمُر هَفِ^(٧) عِنْدَ الْقِيَاسِ مِثْلَ الْعَبِيِّ^(٨)

(١) «أورد الشيء اغوج وبأبه طرب، وتأرد نعوّج».

[نفسه ص ١٣].

(٢) «فلّ الجيش: هزّمه وبأبه ردّ يقال: فلّه فانقل أي كسره فانكسر».

[مختار الصحاح: ٢١٤].

(٣) «السرو: المروءة في شرف سرو، ككروم ودعا ورصي، سراوة وسروا وسرا وسراء، فهو سري الجمع: أسرياء وسرواء وسرى».

[القاموس المحيط: ١٢٩٥].

(٤) «الدني: الساقط الضعيف».

[نفسه ص ١٢٨٣].

(٥) «الألد: الخضم الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق، كالأنلد واليلند، الجمع: لد ولداد».

[القاموس المحيط: ٣١٧].

(٦) «المقول، كمنبر: اللسان».

[نفسه ص ١٠٥١].

(٧) «أزهف سيفه: رفقه فهو مزهف».

[مختار الصحاح: ١٠٩].

(٨) «العبي: ضد البيان. وقد عي في منطقته فهو عي على فعل. وعبي يغيا بوزن رضي يرضى فهو عبي على فعيل».

[نفسه ص ١٩٥].

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى ذِي السَّرِّ
يَنْظُمُ الْحُجَّةَ السَّنِيَّةَ^(١) فِي السُّدِّ
وَتَرَى اللَّحْنَ بِالْحَسِيبِ^(٢) أَخِي الْهَيْدِ
فَاطْلُبِ النَّحْوَ لِلْحِجَاجِ^(٣) وَلِلشُّغِّ
وَالخِطَابِ الْبَلِيغِ عِنْدَ جَوَابِ الْـ
وَارْفُضِ الْقَوْلَ مِنْ طَعَامِ^(٤) جَفَوَا عِنْدَ
قِيَمَةِ الْمَرْءِ كُلِّ مَا يُخْسِنُ الْمَرْـ
وَأَبْهَى مِنَ اللِّسَانِ الْبَهِيِّ
لَكَ مِنَ الْقَوْلِ مِثْلَ عِقْدِ الْهَدِيِّ
أَةِ مِثْلَ الصَّدَا عَلَى الْمَشْرِفِيِّ^(٥)
رِ مُقِيمًا وَالْمُسْنَدِ الْمَرْوِيِّ
قَوْلِ تُزْهِى^(٦) بِمِثْلِهِ فِي النَّدِيِّ^(٧)
هُ فَقَادُوا بَغْضَهُ لِلنُّسِيِّ
ءُ قَضَاءٍ مِنَ الْإِمَامِ عَلِيِّ

قال ثعلب: سمعت محمد بن سلام يقول: ما أحدث الناس مروءة
أفضل من طلب النحو.

قال عبدالله بن المبارك: اللحن في الكلام أقبح من الجدر في
الوجه.

(١) «السَّنِيَّةُ: الرَّفِيعُ وَأَسْنَاهُ رَفَعَهُ».

[مختار الصحاح: ١٣٤].

(٢) «الْحَسَبُ: مَا يَعُدُّهُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَفَاخِرِ آبَائِهِ وَقِيلَ: حَسَبُهُ دِينُهُ وَقِيلَ: مَالُهُ، وَالرَّجُلُ حَسِيبٌ».

[نفسه ص ٥٧].

(٣) «الْمَشْرِفِيُّ: سُيُوفٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَشَارِفٍ. وَهِيَ قُرَى مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ تَذُو مِنْ الرَّيْفِ».

[نفسه ص ١٤١].

(٤) «الْحُجَّةُ: الْبُرْهَانُ وَحَاجَتُهُ فَحَجَّتُهُ مِنْ بَابِ رَدَّ أَيِ غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ».

[مختار الصحاح: ٥٢].

(٥) «زَمَا يَزْهَوُ زَهْوًا أَيِ تَكَبَّرَ».

[نفسه ص ١١٧].

(٦) «النَّدِيُّ عَلَى فَعِيلٍ: مَجْلِسُ الْقَوْمِ وَمُتَحَدِّثُهُمْ وَكَذَا النَّدْوَةُ وَالنَّادِي وَالْمُنْتَدَى».

[مختار الصحاح: ٢٧٢].

(٧) «الطَّعَامُ: أَوْعَادُ النَّاسِ. الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ فِيهِ سَوَاءٌ».

[مختار الصحاح: ١٦٥].

وقال عبدالملك: اللَّحْنُ هُجْنَةٌ^(١) للشَّريف. قال ابن شُبرمة: إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْظُمَ فِي عَيْنِ مَنْ كُنْتَ فِي عَيْنِهِ صَغِيرًا، وَيَصْغُرَ فِي عَيْنِكَ مَنْ كَانَ فِيهَا كَبِيرًا فَتَعْلَمْ الْعَرَبِيَّةَ، فَإِنَّهَا تُجْرِيكَ وَتُدْنِيكَ مِنَ السُّلْطَانِ.

قال الشاعر:

النَّخْوُ يُضْلِحُ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكَنِ^(٢) وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَالنَّخْوُ مِثْلُ الْمِلْحِ إِنْ أَلْقَيْتَهُ فِي كُلِّ ضِدٍّ مِنْ طَعَامِكَ يَحْسُنُ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجْلَهَا فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ

رأى أبو الأسود الدُّؤلي أَعْدَالَ^(٣) لِلتُّجَارِ مَكْتُوبًا عَلَيْهَا: لِأَبُو فُلَانٍ!!
فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! يَلْحَنُونَ وَيَرْبَحُونَ.

قال رجلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: يَا أَبُو سَعِيدٍ! فَقَالَ: كَسَبَ الدَّوَانِيقُ شَغْلَكَ
أَنْ تَقُولَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ.

مرَّ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ بِقَوْمٍ مِنَ الْمَوَالِي يَتَكَلَّمُونَ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَقَالَ: لَشْنٍ
تَكَلَّمْتُمْ فِيهَا لِأَنْتُمْ أَوَّلُ مَنْ أَفْسَدَهَا.

وقالوا: الْعَرَبِيَّةُ تَزِيدُ فِي الْمُرُوءَةِ.

[«بهجة المجالس وأنس المجالس» للإمام أبي عمر القرطبي.

تحقيق: محمد مرسي الخوي، ج ١/٦٤ - ٦٦].



(١) «الهُجْنَةُ فِي النَّاسِ وَالْخَيْلِ إِنَّمَا تَكُونُ مِنْ قَبْلِ الْأُمِّ فَإِذَا كَانَ الْأَبُّ عَتِيقًا أَيْ كَرِيمًا وَالْأُمُّ
لَيْسَتْ كَذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ هَجِينًا. وَالْإِقْرَافُ مِنْ قَبْلِ الْأُمِّ».

[مختار الصحاح: ٢٨٨].

(٢) «اللُّكْنَةُ: عُجْمَةٌ فِي اللِّسَانِ وَعِيٌّ».

[نفسه ص ٢٥١].

(٣) «الْعِدَالُ، بِالْكَسْرِ: يَضْفُ الْجَمَلُ، الْجَمْعُ: أَعْدَالٌ وَعُدُولٌ».

[القاموس المحيط: ١٠٣٠].

المعتصم والفتح بن خاقان

دخل المعتصم على خاقان عائداً فقال للفتح بن خاقان: أيما أحسن، دار أمير المؤمنين أم دار أبيك؟ فقال: ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن.

[نفسه ص ١٠٧].



ما كان ليعود إلي وقد خرج من عندي

قال مالك بن أنس: قدم على عمر بن عبدالعزيز فتيان، فقالا: إن أبانا توفي فترك مالا عند عمنا حميد، فأمر عمر بإحضاره، فلما دخل عليه، قال له عمر: يا حميد! أنت القاتل:

حميد الذي أَرَجَّ^(١) دَارُهُ أَخُو الْخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الْأَضْلَعُ
أَتَانِي الْمَشِيبُ عَلَى شُرْبِهَا وَكَانَ كَرِيماً فَمَا يَنْزِعُ^(٢)

فقال: نعم. قال: أما إذ أقررت، فأني سأجلدك؟ قال: ولم؟ قال: لأنك أقررت بشرب الخمر، وزعمت أنك لم تنزع عنها. فقال: هيها، أين يذهب بك؟ ألم تسمع قول الله يقول: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [٢٢٥] أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ [٢٢٥] وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ [٢٢٦] ﴿ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦]؟

قال عمر: أولى لك يا حميد، لقد أقلت. ثم قال: ويحك يا حميد، كان أبوك صالحاً، وأنت رجل صالح، وكان أبوك رجلاً سوء، وما كل الناس يشبه أباه، فقال: إذن هؤلاء يزعمون أن أباهم توفي، وترك عندك

(١) «الأَرَجُ، محرّكة، والأَرِيجُ والأَرِيجَةُ: تَوَهُجُ رِيحِ الطَّيْبِ. أَرَجَ، كَفَرَحَ».

[القاموس المحيط: ١٧٩].

(٢) «نَزَعَ عن الأمور: انتهى عنها».

[نفسه ص ٧٦٦].

مَالاً. قَالَ: صدقوا، وأنا أحضره الآن. فأحضره بخواتيم أبيهم، ثم قال: إِنَّ هَؤُلَاءِ تُوفِّي أبوهم منذ كذا وكذا، وأنا أنفق عليهم من مالي وهذا مالهم. فقال عمر: ما أحد أحق أن يكون عنده منك.

قال: ما كان ليعود إليّ وقد خرج من عندي.

[نفسه ص ١٠٧].



وصية عبدالملك بن مروان

قال عبدالملك بن مروان لبنيه: يا بنيّ لو عداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعملون عليه؟ فقال الوليد: أما أنا ففارس حرب، وقال سليمان: أما أنا فكاتب سلطان، وقال ليزيد: فأنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين! ما تركا غاية لمختار، فقال عبدالملك: فأين أنتم يا بنيّ من التجارة التي هي أصلكم ونسبتكم؟ فقالوا: تلك صناعة لا يفارقها ذلّ الرغبة والرّهبة، ولا ينجو صاحبها من الدخول في جملة الدّهاء والرّعية، قال: فعليكم إذا بطلب الأدب، فإن كنتم ملوكاً سُدتم، وإن كنتم أوساطاً رأستم، وإن أعوزتكم^(١) المعيشة عشتم.

[نفسه ص ١١٤].



أَذَلَّ الحِرْصُ أعناقَ الرِّجَالِ

كان المأمون يعجبه قول أبي العتاهية:

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الحِرْصُ أعْنَاقَ الرِّجَالِ

(١) «عَوَزَ الرَّجُلُ: افْتَقَرَ، كَأَعْوَزَ».

أخذه أبو الفتح الملقب بكشاجم فقال:

بالحِرْصِ فِي الرِّزْقِ يَذَلُّ الْفَتَى وَفِي الْقُنُوعِ الشَّرَفُ الشَّامِخُ
قال أبو عمر: وشعر أبي العتاهية الذي فيه هذا البيت الذي أعجب
المأمون:

نَعَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ اللَّيَالِي تَصَرَّفُهُنَّ خَالًا بَعْدَ خَالٍ
فَمَا لِي لَسْتُ مَشْغُولًا بِنَفْسِي وَمَا لِي لَا أَخَافُ الْمَوْتَ مَا لِي
لَقَدْ أَيقَنْتُ أَنِّي غَيْرُ بَاقٍ وَلَكِنِّي أَرَانِي لَا أَبَالِي
تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرُّجَالِ
هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرَ ذَاكَ إِلَى زَوَالِ
فَمَا تَرْجُو بِشَيْءٍ لَيْسَ يَبْقَى وَشَيْكَا مَا تُغَيِّرُهُ اللَّيَالِي

قال: فَلَمَّا بَلَغَ سَلَمًا الْخَاسِرَ قَوْلَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ، قَالَ:

مَا أَقْبَحَ التَّزْهِيدَ مِنْ وَاعِظٍ يُزْهَدُ النَّاسَ وَلَا يَزْهَدُ
لَوْ كَانَ فِي تَزْهِيدِهِ صَادِقًا أَضْحَى وَأَمْسَى بَيْنَهُ الْمَسْجِدُ
إِنْ رَفَضَ الدُّنْيَا فَمَالَهُ يَكْتَنِزُ الْمَالَ وَيَسْتَرْفِدُ^(١)
يَخَافُ أَنْ تَنْفَدَ أَرْزَاقُهُ وَالرِّزْقُ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَنْفَدُ
الرِّزْقُ مَفْسُومٌ عَلَى مَنْ تَرَى يَسْعَى لَهُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ

[نفسه ص ١٥٤ - ١٥٥].



(١) «الرَّفْدُ: بكسر الراء: العطاء والصدقة وفتحها المصدر. وَرَفَدَهُ أعطاه. وَرَفَدَهُ أَعَانَهُ وبابهما ضَرَبَ. وَالْإِرْفَادُ أَيْضًا الْإِعْطَاءُ وَالْإِعَانَةُ».

[مختار الصحاح: ١٠٥].

والله لئن جاوزت قدرِي فما بلغت قدرك

دخل أعرابي على داود بن مزيد المهلبِي، فقال: إني لم أصن وجهي عن مسألتك، فَصُنْ وجهك عن رَدِّي، وَضَعْنِي مِنْ كَرَمِكَ بحيث وضعتك من أُملي فيك. قال: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، وهي أكثر من قدرك. قال: والله لئن جاوزت قدرِي فما بلغت قدرك.

[نفسه ص ١٧٢].



صَبَرَ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ

ذكر الطحاوي قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ حَاتِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ الْحَجَّاجُ أَبِي عَلِيٍّ بَعْضَ أَعْمَالِهِ فَنَقِمَ عَلَيْهِ، فَتَوَارَى أَبِي عَنْهُ فِي بَادِيَةِ قَوْمِهِ وَأَنَا مَعَهُ، فَبِينَا أَنَا فِي سَحَرٍ مِنَ الْأَسْحَارِ إِذْ مَرَّ رَاكِبٌ وَهُوَ يَقُولُ:

صَبَرَ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ^(١) إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
لَا تَضِيقُ فِي الْأُمُورِ دُرْعَا^(٢) فَقَدْ يُكْشِفُ غَمَّاؤَهَا^(٣) بِغَيْرِ اخْتِيَالِ
رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمِّ رِ لَهْ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ^(٤)

(١) «أَلَمْ يَهْ: نَزَلَ، كَلَّمَ وَالتَّمَ».

[القاموس المحيط: ١١٥٩].

(٢) «ضَاقَ بِهِ دُرْعَا: ضَعُفَتْ طاقته ولم يجد من المكروه فيه مَخْلَصًا».

[نفسه ص ٧١٧].

(٣) «الْعَمَاءُ وَالْعُمَى، كُرْبَى: الدَّاهِيَةُ».

[نفسه ص ١١٤٣].

(٤) «عَقَلَ الْبَعِيرَ مِنْ بَابِ ضَرَبَ أَيِ ثَنَى وَظَيْفُهُ مَعَ ذِرَاعِهِ فَشَدَّهَ فِي وَسْطِ الذَّرَاعِ. وَذَلِكَ الْحَبْلُ هُوَ الْعِقَالُ وَالْجَمْعُ عُقْلٌ».

[مختار الصحاح: ١٨٨].

قال: فقلت: ما ذاك؟ قال: مات الحجاج. فوالله ما أدري بأيهما كنت أشد فرحاً، أبقوله: مات الحجاج، أم بقوله: فرجة.
[نفسه ص ١٨٤].



هدية شمس المعالي إلى عضد الدولة

أهدى شمس المعالي إلى عضد الدولة سبعة أقلام، وكتب إليه:

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ سَبْعَةَ أَقْلَامٍ مِ لَهَا فِي الْبَهَاءِ حَظٌّ عَظِيمٌ
مُزَهَّفَاتٍ^(١) كَأَنَّهَا أَلْسُنُ الْحَيَا تِ قَدْ جَازَ حَدَّهَا التَّقْوِيمُ
وَتَفَاءَلْتُ أَنْ سَتَحْوِي الْأَقَالِي مِ بِهَا كُلُّ وَاحِدٍ إِفْلِيمُ
[نفسه ص ٢٨٨].



وصية أرسطوطاليس إلى الإسكندر

كتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر: املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها، وطلبك ذلك منها بالإحسان أدوم بقاء لإحسانك منه باعتسافك^(٢)، واعلم أنك إنما تملك الأبدان فتحطها إلى القلوب بالمعروف، واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول، قدرت على أن تفعل، فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل.

[نفسه ص ٣٠٦].

(١) «أَزَهَفَ سَيَفَهُ: رَقَّقَهُ فَهُوَ مُزَهَّفٌ».

[مختار الصحاح: ١٠٩].

(٢) «الْعَسْفُ: الْأَخْذُ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ وَبَابُهُ ضَرْبٌ وَكَذَا التَّعْسُفُ وَالْإِعْسَافُ».

[مختار الصحاح: ١٨١].

المأمون وبعض شيوخ الفقهاء

استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء، فأذن له، فلما دخل عليه رأى بين يديه رجلاً يهودياً كاتباً، كانت له عنده منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاه من خدمته، فلما رآه الفقيه - وقد كان المأمون أوماً إليه بالجلوس - : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس، قال: نعم، فأنشده:

إِنَّ الَّذِي شَرَفْتَ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبٌ

وأشار إلى اليهودي، فخجل المأمون ووجم^(١)، ثم أمر حاجبه بإخراج اليهودي مسحوباً على وجهه، وأنفذ عهداً باطراحه وإبعاده، وألاً يُستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله.

[نفسه ص ٣٥٩].



من عفو الأمراء

قال سعيد بن المسيب: لأن يُخطيء الإمام في العفو خير من أن يُخطيء في العقوبة.

قال جعفر بن محمد: لأن أندم على العفو خير من أن أندم على العقوبة.

طلب عبدالملك بن مروان رجلاً فأعجزه ثم ظفر به، فقال رجاء بن حيوة: يا أمير المؤمنين! قد صنع الله ما أحببت من ظفرك به، فاصنع ما أحبب الله من عفوك عنه.

(١) «الوجم»، ككتف وصاحب العَبُوس المَطْرِقُ لِشِدَّةِ الحُزن. وَجَمَ، كَوَعَدَ، وَجَمًا وَوُجُومًا: سَكَتَ عَلَى غَيْظٍ.

قال رجل للمنصور حين ظفر بأهل الشام، وقد أجلبوا^(١) عليه وخالفوه مع عبدالله بن علي: الانتقام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نعيد أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس^(٢) النصيبين، ولا يبلغ أرفع الدرجتين.

كان يُقال: أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.

قال المهلب بن أبي صفرة: خير مناقب الملوك العفو.

قال المأمون: وددت أن أهل الجرائم عرفوا رأيي في العفو، فسلمت لي صدورهم.

قال معاوية رحمه الله: ما وجدت شيئاً ألدّ عندي من غيظ أتجرّعه، ولم يعرف قيمة الأبهة من لم يجرّعه غصص الغيظ.

اعتذر رجل إلى الهادي فقال: يا أمير المؤمنين! إقراي بما ذكرت يوجب عليّ ذنباً لم أجنه، وردّي عليك لا أقدم عليه لما فيه من التكذيب لك، ولكني أقول:

فإن كنت ترجو في العقوبة راحةً فلا ترهّدن عند المعافاة في الأجر فَعفا عنه.

[نفسه ٣٧٠ - ٣٧٢].



(١) «جَلَبَ على قَرِيبِهِ يَجْلِبُ جَلْباً بوزن يَطْلُبُ طَلْباً: صَاحَ بِهِ مِنْ خَلْفِهِ وَاسْتَحَثَّهُ لِلْسَبْقِ وَكَذَا أَجْلَبَ عَلَيْهِ. وَأَجْلَبُوا: تَجَمَّعُوا».

[مختار الصحاح: ٤٥].

(٢) «الْوَكْسُ: التَّقْصُصُ. وَقَدْ وَكَسَ الشَّيْءُ مِنْ بَابِ وَعَدَ».

[نفسه ص ٣٠٥].

الإعجاب بالرأي

قال بعض الحكماء: حَقِيقُ أَنْ يُوَكَّلَ إِلَى نَفْسِهِ، مَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ.

قال عبدالملك: اللَّحْنُ هُجْنَةُ الشَّرِيفِ، وَالْعُجْبُ آفَةُ الرَّأْيِ.

قال قُتَيْبَةُ بْنُ مَسْلَمٍ: مَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ، لَمْ يُسَاورْ كَفِيًّا، وَلَمْ يُوَاتِ نَصِيحًا.

قال بزرجمهر: أَفْرَهُ^(١) الدُّوَابُّ لَا غِنَى بِهِ عَنِ السَّوْطِ، وَأَعْفَى النِّسَاءِ لَا غِنَى بِهَا عَنِ الزَّوْاجِ، وَأَعْقَلَ الرُّجَالِ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَشُورَةِ.

قال قُتَيْبَةُ بْنُ مَسْلَمٍ: الْخَطَأُ مَعَ الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِنَ الصَّوَابِ مَعَ الْفِرْقَةِ، وَإِنْ كَانَتِ الْجَمَاعَةُ لَا تُخْطِئُ، وَالْفِرْقَةُ لَا تَصِيبُ.

قال المأمون: ثَلَاثٌ لَا يَعْدُمُ الْمَرْءَ الرُّشْدُ فِيهِنَّ: مَسَاوِرَةٌ نَاصِحٍ، وَمَدَارَاةُ حَاسِدٍ، وَالتَّحَبُّبُ إِلَى النَّاسِ.

[نفسه ص ٤٥٥].



وصية أبي الأغر لابنه

بَلِّغْ أَبَا الْأَغَرِّ أَنَّ أَصْحَابَهُ وَقَعَ بَيْنَهُمْ شَرٌّ، فَوَجَّهَ ابْنَهُ الْأَغَرَّ، وَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ كُنْ يَدًّا لِأَصْحَابِكَ عَلَى مَنْ قَاتَلَهُمْ، وَإِيَّاكَ وَالسَّيْفَ، فَإِنَّهُ ظِلُّ الْمَوْتِ، وَاتَّقِ الرُّمْحَ، فَإِنَّهُ رِسَالَةُ الْمَنِيَةِ، وَلَا تَقْرَبِ السِّهَامَ، فَإِنَّهَا رِسْلٌ لَا تَوَامِرَ مِنْ يَرْسِلُهَا، قَالَ: فِيمَ أَقَاتِلُ؟ قَالَ: بِمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

جَلَامِيدُ أَمْلَاءِ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رُؤُوسُ الرُّجَالِ حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ

(١) «الْفَارَةُ مِنَ النَّاسِ: الْمَلِيحُ الْحَسَنُ وَمِنْ الدُّوَابِّ الْجَيْدُ السَّيْرِ».

وهذا الشعر هو :

تُعْطِي نَمِيرٌ بِالْعَمَائِمِ لُؤْمَهَا وَكَيْفَ يُعْطِي اللُّؤْمَ طِيَّ الْعَمَائِمِ
فَلِنْ تَضْرِبُونَا بِالسِّيَاطِ فَإِنَّا ضَرْبُنَاكُمْ بِالْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ^(١)
وَإِنْ تَخْلِقُوا مِنَّا الرُّؤُوسَ فَإِنَّا خَلَقْنَا رُؤُوساً بِاللَّحَى^(٢) وَالْغَلَاصِمِ^(٣)
وَإِنْ تَمْنَعُوا مِنَّا السِّلَاحَ فَعِنْدَنَا سِلَاحٌ لَنَا لَا يُشْتَرَى بِالدَّرَاهِمِ
جَلَامِيدُ^(٤) أَمْلَاءُ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رُؤُوسُ رِجَالٍ خُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ

ومِن أحسن ما قيل في الصَّبْر على الحرب قول نهشل بن حرّى بن
ضمرة :

وَيَوْمَ كَأَنَّ الْمُضْطَلِينَ^(٥) بِحَرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَارَ قِيَامٍ عَلَى الْجَمْرِ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى تَقْضَى وَإِنَّمَا تُفَرِّجُ أَيَّامَ الْكَرِيهَةِ^(٦) بِالصَّبْرِ

ومثله قول الآخر :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الْمَوْتَ مُوقِنًا مُطْلَأًا كَمَا طَلَالَ السَّحَابُ إِذَا اكْتَفَهَرُ^(٧)
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكُ عَيْنُكَ إِنَّمَا يَكُونُ غَدًا حُسْنُ الثَّنَاءِ لِمَنْ صَبَرَ

(١) «صَرَمَ الشَّيْءُ : قَطَعَهُ . وَالصَّارِمُ : السَّيْفُ الْقَاطِعُ» .

[مختار الصحاح : ١٥٢] .

(٢) جمع لحيّة .

(٣) «الْغُلُصُومُ : رَأْسُ الْخُلُقُومِ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْتَائِيءُ فِي الْخَلْقِ» .

[نفسه ص ٢٠٠] .

(٤) «الْجَلَمَدُ : الصَّخْرُ ، كَالْجُلُودِ» .

[القاموس المحيط : ٢٧٤] .

(٥) «اضْطَلَى : اسْتَدْفَأَ» .

[القاموس المحيط : ١٣٠٣] .

(٦) «الْكَرِيهَةُ : الْحَرْبُ ، أَوِ الشَّدَّةُ فِي الْحَرْبِ ، وَالنَّازِلَةُ» .

[نفسه ص ١٢٥٢] .

(٧) «الْمُكْفَهَرُ ، كَمُطْمَئِنٍّ : السَّحَابُ الْغَلِيظُ الْأَسْوَدُ ، وَكُلُّ مُتْرَاكِبٍ» .

[مختار الصحاح : ٤٧١] .

فَمَا أَخَّرَ الإِخْجَامُ^(١) يَوْمًا مُقَدِّمًا وَلَا عَجَّلَ الإِفْدَامُ مَا أَخَّرَ الْقَدَرُ
[نفسه ص ٤٧٠ - ٤٧١].



مدح عمر بن عبدالعزيز

من عُيون ما قِيلَ في المدح نظمًا، قول حسان بن ثابت في بني جفنة :

يُغَشُّونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ^(٢) كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ^(٣) الْمُقْبِلِ
بِیضُ الْوُجُوهِ أَعْقَةُ أَحْسَابُهُمْ شَمُّ^(٤) الْأَثُوفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

قال جبلة بن الأيهم لحسان بن ثابت: أين أنا من النعمان؟ فقال: والله شمالك أندى من يمينه، وقفاك أحسن من وجهه، ولأمك أكرم من أبيه.

وقول الأعرابي في عمر بن عبدالعزيز كأنه مأخوذ من قول حسان هذا، وذلك قوله حين دخل عليه، وهو خليفة، فقال:

وَأَنْتَ الَّذِي كِلْتَا يَدَيْكَ مُفِيدَةٌ شِمَالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ
بَلَغْتَ مَدَى الْجَارِينَ قَبْلَكَ إِذْ جَرَوْا وَلَمْ يَبْلُغِ الْجَارُونَ بَعْدَ مَدَاكَ
فَجَدَّاكَ لَا جَدَّيْنِ أَكْرَمَ مِنْهُمَا هُنَاكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ ثُمَّ هُنَاكَ
[نفسه ص ٥٠٢].

(١) «أَخْجَمَ عَنْهُ: كَفَّ، أَوْ نَكَصَ هَيْئَةً».

[القاموس المحيط: ١٠٩١].

(٢) «هَرَّ الْكَلْبُ يَهَرُّ هَرِيرًا، وَهُوَ صَوْتُهُ دُونَ نَبَاحِهِ مِنْ قِلَّةِ صَبْرِهِ عَلَى الْبَرْدِ».

[القاموس المحيط: ٤٩٧].

(٣) «السَّوَادُ: الشَّخْصُ».

[نفسه ص ٢٩٠].

(٤) «الشَّمَمُ: ارْتِفَاعٌ فِي قَصَبَةِ الْأَنْفِ مَعَ اسْتِوَاءِ أَعْلَاهُ وَرَجُلٌ أَشَمُّ الْأَنْفِ».

[مختار الصحاح: ١٤٦].

ثناء عمرو بن زياد العتكيّ على الحجاج بن يوسف

أثنى عمرو بن زياد العتكيّ على الحجاج بن يوسف عند عبد الملك بن مروان فقال: يا أمير المؤمنين! هو سيفك الذي لا يَنْبُو^(١)، وسهمك الذي لا يطيش، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم، وكان الحجاج يُقصيه فلما قال ذلك أدناه.

[نفسه ص ٥٠٨].



أتانا بنو الاملاك

قال أبو جعفر محمد بن منذر:

أَتَانَا بَنُو الْأَمْلَاقِ مِنْ آلِ بَرْزَمَكٍ
لَهُمْ رَحْلَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْعِدَى
إِذَا نَزَلُوا بَطْحَاءَ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ
فَتُظْلِمُ بَغْدَادٌ وَيَجْلُو^(٢) لَنَا الدُّجَى^(٣)
فَمَا خَلِقَتْ إِلَّا لِجُودِ أَكْفُهُمْ
إِذَا رَاضَ^(٤) يَخْيَى الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ
فَيَا طَيْبَ أَخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ مَنَظَرٍ
وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ الْمُسْتَرِّ
بِخَيْي وَبِالْفُضْلِ بْنِ يَخْيَى وَجَعْفَرٍ
بِمَكَّةَ مَا حَجُّوا ثَلَاثَةَ أَقْمَرٍ
وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادِ مِنْبَرٍ
وَنَاهِيكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُدْبِرٍ

(١) «تَبَا السَّيْفُ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ فِي الضَّرْبَةِ».

[مختار الصحاح: ٢٦٩].

(٢) «جَلَا لَهُمْ عَنْهُ: أَذْهَبَهُ، وَفَلَانًا الْأَمْرُ: كَشَفَهُ عَنْهُ، كَجَلَّاهُ، وَجَلَّى عَنْهُ، وَقَدْ انْجَلَّى، وَتَجَلَّى».

[القاموس المحيط: ١٢٧١].

(٣) «الدُّجِيَّةُ: الظُّلْمَةُ. الْجَمْعُ: دُجَى».

[نفسه ص ١٢٨٢].

(٤) «رَاضَ الْمُهَرَّ رِيَاضًا وَرِيَاضَةً: ذَلَّلَهُ، فَهُوَ رَائِضٌ، مِنْ رَاضَةٍ وَرَوَاضٍ».

[القاموس المحيط: ٦٤٤].

[نفسه ص ۵۱۲ - ۵۱۳].



قال أبو اليقظان: ولّى الحجاج محمد بن القاسم بن محمد بن محمد بن
القاسم بن محمد بن الحكم الثَّقَفي، قتال الأكراد فأبادهم، ثُمَّ ولاه السُّند
والهند، وقاد الجُيوش وهو ابن سبع عشرة سنة، فقال فيه الشاعر:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى
قَادَ الْجِيُوشَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ حِجَّةً

لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
يَا قُرْبَ سَوْرَةٍ^(٣) سُودِدٍ مِنْ مَوْلِدِ

قال أبو اليَقْظان: وهو الذي جعل شيراز معسكراً ومنزلاً لولاية فارس.

[نفسہ ص ۵۱۵].



قِيلَ لَأَعْرَابِيٍّ: مَا تَنْقُمُ مِنْ أَمِيرِكَ؟ قَالَ: يَقْضِي بِالْعَشْوَةِ^(٤)، وَيَأْكُلُ

(١) «الْعُرْنُوقُ، كَزُبُورٍ وَفِرْدَوْسٍ: طَائِرٌ مَائِيٌّ أَسْوَدُ، وَقِيلَ: أَيْضُ، كَالْعُرْنَتِيقِ، بِالضَّمِّ، أَوْ الْعُرْنُوقِ وَالْعُرْنَتِيقِ: الْكَزْبِيُّ، أَوْ طَائِرٌ يُشَبِّهُهُ».

[القاموس المحيط ص ٩١٤].

(۲) «صَرَ، كَفَرَ، يَصِرُّ صَرًا وَصَرِيرًا: صَوْتٌ وَصَاحٌ شَدِيدًا، كَصَرْصَرٍ».

[نفسه ص ۴۲۳].

(۳) «سُورَةُ الْخَمْرِ وَغَيْرَهَا: حَدَّثَهَا، كَسُورَاهَا».

[القاموس المحيط : ٤١١].

(٤) «العشوة: ركوب الأمر على غير بيان، ويُثَلَّث».

[القاموس المحيط : ١٣١١].

الرَّشْوَةُ، وَيُطِيلُ النَّشْوَةَ^(١).

[نفسه ص ٥١٨].



وصية عمر بن عبدالعزيز إلى بعض عماله

كتب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إلى بعض عماله: أمّا بعد، فإنّ العقل المُفْرَدَ لا يُقَوِّى بِهِ عَلَى أَمْرِ الْعَامَّةِ، وَلَا يُكْتَفَى بِهِ فِي أَمْرِ الْخَاصَّةِ، فَأَخِي عَقْلُكَ بِعِلْمِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَشْرَافِ مِنْ أَهْلِ التَّجَارِبِ وَالْمَرْوَعَاتِ، وَالسَّلَامِ.

[نفسه ص ٥٣٤].



تشاءم بعض أمراء خراسان

كَانَ بَعْضُ أُمَرَاءِ خُرَاسَانَ يَتَشَاءَمُ بِالْحَوْلِ. قَمَتِي رَأَى أَحْوَلَ ضَرْبِهِ بِالسَّيَاطِ، وَرَبَّمَا ضَرَبَ بَعْضَهُمْ خَمْسَمِائَةَ سَوْطٍ، وَحَدَّثَ أَنَّهُ رَكِبَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، فَرَأَى أَحْوَلَ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ، وَكَانَ الْأَحْوَلُ جَلْدًا، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ ضَرْبِهِ، قَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ! أَصْلَحَكَ اللَّهُ، لِمَ ضَرَبْتَنِي؟ قَالَ: لِأَنِّي أَتَشَاءَمُ بِالْحَوْلِ. قَالَ: فَأَيْنَا أَشَدُّ شُؤْمًا عَلَى صَاحِبِهِ، أَنْتَ رَأَيْتَنِي وَلَمْ يَصْبِكْ إِلَّا خَيْرٌ، وَأَنَا رَأَيْتُكَ فَضَرَبْتَنِي خَمْسَمِائَةَ سَوْطٍ، فَأَنْتَ إِذَا أَشَدُّ شُؤْمًا. فَاسْتَحْيَا مِنْهُ وَلَمْ يَضْرِبْ بَعْدَهُ أَحَدًا.

[نفسه ص ٥٥٧].

(١) «رَجُلٌ نَشْوَانٌ أَيْ سَكْرَانٌ بَيْنَ النَّشْوَةِ بِالْفَتْحِ. وَزَعَمَ يُونُسُ أَنَّهُ سَمِعَ فِيهِ نِشْوَةً بِالْكَسْرِ. وَقَدْ انْتَشَى أَيْ سَكِرَ».

الإسكندر والرجل الأعرج

اعترض الإسكندر جيشه يوماً، فرأى فيهم رجلاً أعرج، فأمر بإسقاطه فضحك الأعرج. فقال له الإسكندر: ممّ ضحكك وقد أسقطتك؟ فقال: تعجباً منك لحبك آلة الهروب، وكرامتك آلة الوقوف، لأنني معي آلة الوقوف في الحرب وتسقطني، فأمر بإثباته في خاصته، وأسنى^(١) رزقه.

[نفسه ص ٥٦١].



وصية قتيبة بن مسلم لبنيه

قال قتيبة بن مسلم لبنيه: لا تُمازحوا فيُستخفَّ بكم، ولا تدخلوا الأسواق فترقَّ أخلاقكم، ولا تبخلوا فيزدريكم^(٢) أكفأؤكم.

[نفسه ص ٥٦٩].



نصيحة إلى الأمير طاهر بن عبدالله

لَمَّا تُوفِّيَ عبدالله بن طاهر صَلَّى عليه ابنه طاهر بن عبدالله ودفنه، وأعتق عند كُلِّ زاوية من زوايا قبره رقبة من غلمانِه، وفعل ذلك إخوته، ودفع كُلَّ نَجَلٍ^(٣) منهم إلى كُلِّ غلام خمسمائة درهم، وكان عبدالله بن

(١) «السَّاءُ، بِالْمَدِّ: الرُّفْعَةُ. وَأَسْنَاهُ: رفعه».

[القاموس المحيط: ١٢٩٧].

(٢) «الإِزْرَاءُ: التَّهَاؤُنُ بِالشَّيْءِ يُقَالُ: أَزْرَى بِهِ إِذَا قَصَّرَ بِهِ، وَازْدَرَاهُ أَيَّ حَقَّرَهُ».

[مختار الصحاح: ١١٤].

(٣) «النَّجَلُ: الْوَلَدُ، وَالْوَالِدُ، ضِدٌّ».

[القاموس المحيط: ١٠٦٠].

طاهر قد خلف أربعين ولداً ذكراً، فقال أبو العَمَيْثَل الشاعر لِمُضْعَب بن عبدالله وكان يختص بطاهر ويناديه: ألا أدلك على شيء تفعله فتتقدم به سائر إخوتك عند الأمير طاهر؟ قال: بلى. فأنشده هذه الأبيات وقال: اكتب بها إلى الأمير، وهي:

يَا مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ تَكُونَ خِلَالَهُ^(١) كَخِلَالِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْصِتْ وَاسْمَعْ
فَلَأَقْصِدَنَّكَ بِالنَّصِيحَةِ وَالَّذِي حَجَّ الْحَجِيجُ إِلَيْهِ فَأَقْبَلْ أَوْ دَعْ
إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ أَنْ تَحِلَّ مَحَلَّهُ فِي الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ الْأَشْمُ^(٢) الْأَرْفَعُ
فَاضْطَقْ وَعِظْ وَبِرٍّ وَازْفُقْ وَائْتِدْ^(٣) وَاخْلُمْ وَدَارِ وَكَافٍ وَاضْبِرْ وَاشْجَعْ
وَالطُّفْ وَلِنْ وَتَأَنَّ وَانْصُرْ وَاخْتَمِلْ وَاحْزَمْ وَجِدْ وَحَامٍ وَاحْمِلْ وَادْفَعْ
هَذَا الطَّرِيقَ إِلَى الْمَكَارِمِ مَهْيَعاً^(٤) فَاسْلُكْ فَقَدْ أَبْصَرْتَ قَصْدَ الْمَهْيَعِ

فاستحسن طاهر الأبيات، وقال: والله لقد أفدتني ما يجب به شكر، فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين، وأكسبه ألف ألف درهم. [نفسه ص ٦١٣ - ٦١٤].



ابن جريج ومعن بن زائدة

روينا من وجوه أن أبا خالد عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج فقيه مكة رضي الله عنه، خرج إلى اليمن إلى معن بن زائدة في دين ركه، قال: فَلَمَّا نَزَلْتُ عَلَيْهِ رَحَّبَ بِي وَسَهَّلَ، وقال: ما أقدمك هذه المدرة^(٥)؟ فقلت:

(١) خصاله.

(٢) الرفيع.

(٣) «التؤدة»، بفتح الهَمْزَة وسُكُونِهَا، وَالْوَيْدُ والتَّوَادُّ: الرِّزَانَةُ.

[القاموس المحيط: ٣٣٣].

(٤) الطريق الواسع الواضح.

(٥) «المدرة»: المدن، والحضر.

[القاموس المحيط: ٤٧٣].

دين ركبني لم تف به جائزة أمير المؤمنين، فضاق ذرعي فلم أر له سواك، فخرجت إليك. فقال: قدمت خير مقدم، يقضى دينك وتنصرف محبوراً إلى وطنك. قال: فأقمت عنده شهوراً في أحسن مثوى^(١) وأكرم ضيافة، فإني لخارج من عنده يوماً إذ رأيت الناس يتأهبون إلى الحج، فأدركتني وحشة، ولم أملك العبرة، وحثت نفسي إلى الوطن، فرجعت إليه وقد اغرورقت عيناى بالدموع، فقال لي: ما لك؟ قلت: رأيت الناس في أهبة الحج والخروج إلى مكة فذكرت أبياتاً لعمر بن أبي ربيعة حملتني على ما ترى.

قال: وأي أبيات عمر هي؟ فقلت: قوله:

هَيْهَاتَ مِنْ أَمَةِ الْوَهَّابِ مَنْزِلُنَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ^(٢) مِنْ عَدَنِ
وَاحْتَلَّ أَهْلُكَ أَجْيَاداً فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا التَّذْكَرُ أَوْ حَظٌّ مِنَ الْحَزَنِ
بَلْ مَا نَسِيتُ غَدَاةَ الْخَيْفِ مَوْقِفَهَا وَمَوْقِفِي وَكَلَانَا ثُمَّ دُو شَجَنِ^(٣)
وَقَوْلَهَا لِلثُّرَيَّا وَهِيَ بَاكِئَةٌ وَالْدَّمْعُ مِنْهَا عَلَى الْخَذَيْنِ دُو سَنَنِ
بِاللَّهِ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ مَاذَا أَرَدْتَ بِطُولِ الْمُكْثِ فِي الْيَمَنِ
إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ رَضِيتَ بِهَا فَمَا أَخَذْتَ بِتَرْكِ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ

فقال: أتعزم على الرحيل والرجوع إلى وطنك؟ قلت: نعم. قال: صحبتك السلامة، ورزقت العافية. وخرجت من عنده فما وصلت إلى موضعي حتى سبقني خمسة عشر بغلاً عليها غضب^(٤) اليمن، ودرهم،

(١) «المثوى: المنزل. الجمع: المثاوي».

[نفسه ص ١٢٦٨].

(٢) «السيف، بالكسر: ساحل البحر، وساحل الوادي، أو لكل ساحل سيف، أو إنما يقال ذلك لسيف عمان».

[القاموس المحيط: ٨٢٢].

(٣) «الشجن، مُحَرَّكة: الهَمُّ، والحزن».

[نفسه ص ١٢٠٨].

(٤) «العضب: ضَرْبٌ مِنَ الْبُرُودِ».

[القاموس المحيط: ١١٥].

وضروب من الخير، فقضيت ديني وتأثّلت^(١) منه كنزاً ممّا بيدي اليوم.

[نفسه، ص ٨٠٥ - ٨٠٧].



خبر خالد القسريّ مع المنصور

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حدّثنا عبد الأوّل بن مُريد، عن أبيه قال: حدّثني بعض موالي بني هاشم قال: قال المنصور لخالد بن عبد الله القسريّ: إني لأعدّك لأمر كبير، قال: يا أمير المؤمنين، قد أعدّ الله لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك، ويداً مبسوطة بطاعتك، وسيفاً مشحوداً على أعدائك.

[«الأمالي» ص ٣٧٢].



وصف بعض الأمراء حين عُزل عن عمله

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حدّثنا أبو حاتم، عن العُتبيّ، قال: عُزل بعضُ الأمراء عن عمله، فقال له رجل: أصبحت والله فاضحاً مُتعباً: أمّا فاضحاً فليكلّ وإلّ قبلك بحسن سيرتك، وأمّا مُتعباً فليكلّ وإلّ بعدك أن يلحقك.

[نفسه ص ٣٧٧].



(١) «أثّل الرجلُ: كثر ماله». وتأثّل: عظم، والمال: اكتسبه.

[نفسه ص ٩٦٠].

وصف صحبة السلطان

حدَّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حَدَّثنا أبو حاتم، قال: قال بعض علماء الهند: صُحبة السلطان على ما فيها من العِزِّ والثَّروة عظيمة الخطار^(١)، وإنَّما تُشَبَّه بالجبل الوُغُر^(٢)، فيه السَّباع العاديَّة، والثَّمار الطَّيِّبة، فالارتقاء إليه شَدِيد، والمقام فيه أَشدَّ، وليس يتكافأ خير السلطان وشَرِّه، لأنَّ خَيْرَ السلطان لا يعدو مزيد الحال، وشَرُّ السلطان يُزيل الحال ويُتلف النَّفس التي لها طُلب المَزِيد، ولا خَيْر في الشَّيء الذي سلامته مال وَجَاه، وفي نكبته الجائِحة والتَّلَف.

[نفسه ص ٣٧٧].



خبر الكتنجي مع المتوكل

حدَّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال: حَدَّثنا عبد الأول، قال: سمعت الكتنجي، يقول: أَمَلْتُ^(٣) حتَّى لم يَبْقَ في مَنْزلي إلَّا بارية، فدخلتُ إلى دار المتوكل فلم أزل مفكراً فحضرني بيتان، فأخذت قَصْبة وكتبت على الحائط الذي كنت إلى جنبه:

الرَّزْقُ مَفْسُومٌ فَأَجْمَلُ^(٤) فِي الطَّلَبِ يَأْتِي بِأَسْبَابٍ وَمِنْ غَيْرِ سَبَبٍ

(١) «الْخَطَرُ، بِالتَّحْرِيكِ: الإِشْرَافُ عَلَى الْهَلَاكِ، وَالسَّبْقُ يُتَرَاهُنْ عَلَيْهِ الْجَمْعُ: خِطَارٌ».

[القاموس المحيط: ٣٨٦].

(٢) «الْوُغُرُ: ضِدُّ السَّهْلِ، كَالْوَعْرِ وَالْوَاعِرِ وَالْوَعِيرِ وَالْأَوْعَرِ».

[نفسه ص ٤٩٢].

(٣) «أَمَلَقَ: افْتَقَرَ».

[القاموس المحيط: ٩٢٥].

(٤) «أَجْمَلَ فِي الطَّلَبِ: اتَّأَدَّ وَاعْتَدَلَ فَلَمْ يَفْرِطْ».

[القاموس المحيط: ٩٧٩].

فَاسْتَرْزَقِ اللَّهَ فَفِي اللَّهِ غِنًى اللَّهُ خَيْرُ لَكَ مِنْ أَبِي حَدَبٍ^(١)

قال: فركب المتوكل في ذلك اليوم جماراً وجعل يطوف في الحَجَرِ، ومعه الفتح بن خاقان، فوقف على البيتين وقال: من كتب هذين البيتين؟ وقال للفتح: اقرأ هذين البيتين، فاستحسنهما وقال: من كان في هذه الحُجْرة؟ فقبل: الكتنجي، فقال: أغفلناه وأسانا إليه، وأمر لي ببدرتين^(٢).

قال أبو علي: العوام تقول: بارية وهو خطأ، والصَّواب باري وبوري، قال الرَّاجز:

كَالْخُصِّ^(٣) إِذَا جَلَّ لَهُ الْبَارِيُّ^(٤)

وهو بالفارسية «بوريك» فأعرب على ما أنبأتك به.

[نفسه ص ٣٨٢ - ٣٨٣].



قول الحسن بن سهل في الشفاعة

حدَّثنا أبو بكر قال: حدَّثنا عبد الأول، عن أبيه، قال: حضرت مجلس الحسن بن سهل وقد كتب لرجل كتاب شفاعة، فجعل الرجل يشكر ويدعو

(١) «تَحَدَّبَ عَلَيْهِ: تَعَطَّفَ، كَحَدَبَ، بِالْكَسْرِ».

[نفسه ص ٧٣].

(٢) «الْبَذْرُ، وبالهاء: كَيْسٌ فِيهِ أَلْفٌ أَوْ عَشْرَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، أَوْ سَبْعَةُ أَلْفٍ دِينَارٍ».

[القاموس المحيط: ٣٤٨].

(٣) «الْخُصُّ، بِالضَّمِّ: الْبَيْتُ مِنَ الْقَصَبِ، أَوِ الْبَيْتُ يُسَقَّفُ بِخَشَبَةٍ كَالْأَرْجِ الْجَمْعُ: خِصَاصٌ وَخُصُوصٌ».

[القاموس المحيط: ٦١٧].

(٤) «الْبُورِيُّ وَالْبُورِيَّةُ وَالْبُورِيَاءُ وَالْبَارِي وَالْبَارِيَّةُ: الْحَصِيرُ الْمَنْسُوجُ».

[نفسه ص ٣٥٤].

له، فقال الحسن: يا هذا، عَلَامَ تشكرنا! إِنَّا نَرَى الشَّفَاعَاتِ زَكَاةَ مَرُوءَتِنَا، قال: وحضرته وهو يُمِلُّ كتابَ شفاعَةِ فكتبَ في آخره: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ يُسَالُ عَنْ فَضْلِ جَاهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يُسَالُ عَنْ فَضْلِ مَالِهِ.

[نفسه ص ٣٨٣].



أسباب السَّيَادَةِ

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: قِيلَ لِعَرَابَةِ الْأَوْسِيِّ: بِمَ سُدَّتْ قَوْمُكَ؟ قَالَ: بِأَرْبَعٍ: أَنْخَدِعُ لَهُمْ عَنْ مَالِي، وَأَذِلُّ لَهُمْ فِي عِرْضِي، وَلَا أَحْقِرُ صَغِيرَهُمْ، وَلَا أَحْسَدُ رَفِيعَهُمْ.

وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَشْنَانِدَانِي، عَنْ الثَّوْزِيِّ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: قِيلَ لَقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ: بِمَ سُدَّتْ قَوْمُكَ؟ قَالَ: بِثَلَاثٍ: الْقَرَى^(١)، وَتَرَكَ الْمِرَا، وَنَصَرَ الْمَوْلَى.

[نفسه ص ٤٠٩].



السَّيَادَةُ

وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّجِسْتَانِي، قَالَ: قَالَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِي: يَا مَعْشَرَ عَدَوَانٍ، الْخَيْرُ أَلُوفُ عُرُوفٍ، وَإِنَّهُ لَنْ يُفَارِقَ صَاحِبَهُ حَتَّى يُفَارِقَهُ، وَإِنِّي لَمْ أَكُنْ حَكِيمًا حَتَّى صَاحَبْتُ الْحُكَمَاءَ، وَلَمْ أَكُنْ سَيِّدًا حَتَّى تَعَبَّدْتُ لَكُمْ.

[نفسه ص ٤٠٩].

(١) «قَرَى الضَّيْفَ يَقْرِيه قَرَى بِالْكَسْرِ وَقَرَاءَ بِالْفَتْحِ وَالْمَدُّ: أَحْسَنُ إِلَيْهِ».

بين عبدالملك بن مروان وأمّية بن عبدالله بن خالد

حدّثنا أبو بكر قال: حدّثنا أبو حاتم، عن العتبي، قال: قال عبدالملك بن مروان لأمّية بن عبدالله بن خالد بن أسيد: ما لك ولخرثان بن عمرو حيث يقول فيك:

إِذَا هَتَفَ ^(١) الْعُضْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْتَ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ ^(٢)

فقال: يا أمير المؤمنين، وجبَ عليه حدٌّ فأقمته، فقال: هلاًّ دَرَأَتْ عنه بالشُّبهات؟ فقال: كان الحدُّ أبين، وكان رَغْمُهُ عليّ أهون، فقال عبدالملك: يا بني أمّية، أحسابكم أنسابكم لا تُعرّضوها للهجاء، وإياكم وما سار به الشعر، فإنّه باقٍ ما بقي الدَّهر، والله ما يسرُّني أنّي هُجيت بهذا البيت وأنّ لي ما طلعت عليه الشَّمس:

يَبِيتُونَ فِي الْمَشْتَى ^(٣) مِلَاءً بَطُونُهُمْ وَجَارَاتُهُمْ غَرْنَى ^(٤) يَبِثْنَ خَمَائِصًا ^(٥)

وما يبالي من مُدح بهذين البيتين ألاّ يُمدح بغيرهما:

(١) «الهُتَفُ: الصُّوتُ. يُقال: هَتَفَ الْحَمَامَةُ مِنْ بَابِ ضَرَبَ».

[مخنار الصّحاح: ٢٨٧].

(٢) «تَرَدَّ الْخُبْرُ: كَسَرَهُ مِنْ بَابِ نَصَرَ فَهُوَ تَرِيدٌ وَمَثْرُودٌ. وَالاسْمُ: التَّرْدَةُ بوزن البُرْدَةِ».

[نفسه ص ٣٥].

(٣) «الشَّتَاءُ، ككسَاء، والشَّاتَاءُ: أَحَدُ أَرْبَاعِ الْأَزْمِنَةِ الْأُولَى، جَمْعُ شَتْوَةٍ، أَوْ هُمَا بِمَعْنَى الْجَمْعِ: شَتِيٌّ وَأَشْتِيَّةٌ، وَالْمَوْضِعُ: الْمَشْتَا وَالْمَشْتَاءُ، وَالنَّسْبَةُ: شَتَوِيٌّ، وَيُحْرَكُ».

[القاموس المحيط: ١٢٩٨].

(٤) «غَرْنٌ، كَفَرَحٍ: جَاعٌ، فَهُوَ غَرْنَانٌ مِنْ غَرْنَى وَغَرْنَى وَغَرَاتٍ، وَهِيَ غَرْنَى مِنْ غَرَاتٍ».

[نفسه ص ١٧٣].

(٥) «الْمَخْمَصَةُ: الْمَجَاعَةُ، وَقَدْ خَمَصَهُ الْجُوعُ خَمَصًا وَمَخْمَصَةً. وَخَمِصَ الْبَطْنُ، مُثْلثة الميم: خَلَا».

[نفسه ص ٦١٨].

هَذَاكَ إِنْ يُسْتَخْبَلُوا^(١) الْمَالَ يُخْبِلُوا وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَنْسِرُوا يُغْلُوا
[نفسه ص ٤١٠].



أحزم الملوك

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: أَحْزَمُ الْمُلُوكِ مَنْ مَلَكَ جِدُّهُ هَزَلُهُ، وَرَأْيُهُ هَوَاهُ، وَأَعْرَبُ عَنْ ضَمِيرِهِ فَعْلُهُ، وَلَمْ يَخْدَعْهُ رِضَاهُ عَنْ حَظِّهِ، وَلَا غَضَبُهُ عَنْ كَيْدِهِ.

[نفسه ص ٤٢٩].



سؤال بعض خلفاء بني أمية لجريز عن أشعر الناس

قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عِمَارَةُ بْنُ عُقَيْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي - يَعْنِي عُقَيْلُ بْنُ بِلَالٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي - يَعْنِي بِلَالَ بْنَ جَرِيرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ جَرِيرًا، يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى بَعْضِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ: أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنِ الشُّعْرَاءِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ قُلْتُ: ابْنُ الْعِشْرِينَ - يَعْنِي طَرْفَةُ. قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي ابْنِ أَبِي سُلَيْمٍ وَالتَّابِغَةِ؟ قُلْتُ: كَانَا يُنِيرَانِ الشُّعْرَ وَيُسَدِّيَانِهِ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ؟ قُلْتُ: اتَّخَذَ الْخَبِيثُ الشُّعْرَ نَعْلَيْنِ يَطْوُهُمَا كَيْفَ شَاءَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي ذِي الرِّمَّةِ؟ قُلْتُ: قَدَرُ مِنَ الشُّعْرِ عَلَى مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ،

(١) «اسْتَخْبَلَنِي نَاقَةٌ فَأَخْبَلْتَهَا: اسْتَعَارْنِيهَا فَأَعْرَتَهَا، أَوْ أَعْرَتَهَا لِيَتَنَفَّعَ بِلَبْنِهَا وَوَبْرَهَا».

قال: فما تقول في الأخطل؟ قلت: ما بَاحِ بما في صدره من الشعر حتى مات، قال: فما تقول في الفرزدق؟ قلت: بيده نُبْعَةُ الشعر قابضاً عليها، قال: فما أبقيت لنفسك شيئاً! قلت: بَلَى، والله يا أمير المؤمنين، أنا مدينة يخرج منها ويعود إليها، ولأننا سَبَّحْتُ الشعر تَسْبِيحاً ما سَبَّحَهُ أَحَدٌ قَبْلِي، قال: وَمَا التَّسْبِيح؟ قلت: نَسَبْتُ فَأُطْرَفْتُ، وَهَجَوْتُ فَأَرَذَيْتُ، وَمَدَحْتُ فَأَسْنَيْتُ، وَرَمَلْتُ فَأَغَزَرْتُ، وَرَجَزْتُ فَأَبَحَرْتُ، فَأَنَا قُلْتُ ضُروباً من الشعر لم يقلها أَحَدٌ قَبْلِي.

قال أبو علي: كذا أُملى علينا: أرذيت، وهو صحيح ومعناه أسقطت، لأنه هاجى في زمانه عدّة من الشعراء فأسقطهم غير الفرزدق. والرّذِيَّةُ: السّاقِطَةُ مِنَ الْإِبِلِ مِنَ الْهُزَالِ أَوْ مِنَ الْإِعْيَاءِ.

[نفسه ص ٤٢٩ - ٤٣٠].



موعظة عمر بن عبدالعزيز في الاستعداد للموت

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله، قال: حدّثنا أبو حاتم، عن العُتْبِيِّ، قال: كَتَبَ عمر بن عبدالعزيز الوَرَّاقَ رحمه الله إِلَى أَبِي بَكْرٍ بنِ حَزْمٍ: إِنَّ الطَّالِبِينَ الَّذِينَ أَنْجَحُوا^(١)، وَالتُّجَّارَ الَّذِينَ رِبَحُوا، هُمُ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْبَاقِيَ الَّذِي يَدُومُ، بِالْفَنَانِ الْمَذْمُومِ، فَاعْتَبَطُوا^(٢) بِيَعِيهِمْ، وَأَحْمَدُوا عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ، فَاللهُ اللهُ، وَبَدَنُكَ صَحِيحٌ، وَقَلْبُكَ مُرِيحٌ، قَبْلَ أَنْ تَنْقُضِيَ أَيَّامَكَ، وَيَنْزِلَ بِكَ حِمَامُكَ، فَإِنَّ الْعَيْشَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ يَتَقَلَّصُ ظِلُّهُ، وَيَفَارِقُهُ

(١) «التَّجَّاحُ، بِالْفَتْحِ، وَالتُّجُّحُ، بِالضَّمِّ: الظَّفَرُ بِالشَّيْءِ، تَجَحَّتِ الْحَاجَةُ، كَمَنْعَ، وَأَنْجَحَتْ، وَأَنْجَحَهَا اللهُ. وَأَنْجَحَ زَيْدٌ: صَارَ ذَا نَجْحٍ».

[القاموس المحيط: ٢٤٣].

(٢) «الغِبْطَةُ، بِالْكَسْرِ: حُسْنُ الْحَالِ، وَالْمَسْرَةُ، وَقَدْ اغْتَبَطَ».

[القاموس المحيط: ٦٧٩].

أهله، فالسعيد الموفق من أكل في عاجله قُضداً، وقَدِمَ ليوم فقره دُخْراً،
وخرج من الدنيا محموداً، قد انقطع عنه علاج أمورها، وصار إلى الجنة
وسرورها.

[نفسه ص ٤٣٤].



أدب الخصومة والوفاء

حدَّثنا أبو بكر، قال: حدَّثنا السَّكَنُ بن سَعِيد، عن مُحَمَّد بن عَبَّاد،
قال: دَخَلَ أعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان وعنده ابنه الوليد
وسليمان، فقال له: يا أبا المُغيرة، مَا بَقِيَ مِنْ شعرك؟ فقال: والله لقد
ذَهَبَ أكثره، وأنا الذي أقول:

وَمَا أَنَا فِي أَمْرِي وَلَا فِي خُصُومَتِي	بِمُهْتَضَمٍ ^(١) حَقِّي وَلَا سَالِمٍ قِرْنِي
وَلَا مُسْلِمٍ مَوْلَايَ عِنْدَ جَنَائِي	وَلَا مُظْهِرٍ عَيْنِي وَمَا سَمِعْتُ أذْنِي
وَفَضَّلَنِي فِي الشَّغْرِ وَالْعِلْمِ أَنَّنِي	أَقُولُ عَلَى عِلْمٍ وَأَعْلَمُ مَا أَعْنِي
فَأُضْبَحْتُ إِذْ فَضَّلْتُ مَرْوَانَ وَابْنَهُ	عَلَى النَّاسِ قَدْ فَضَّلْتَ خَيْرَ أَبٍ وَابْنِ

فقال عبد الملك: مَنْ يُلومني على حُبِّ هذا! وأمر له بجائزة وقطعة
بالعراق، فقال: يا أمير المؤمنين، إِنَّ الحَجَّاجَ عليّ وَاجِدٌ^(٢)، فكتب إليه
بالصَّفْح عنه، وبِحُسْنِ صلته، فأمر له الحَجَّاج بذلك.

[نفسه ص ٥٠٨ - ٥٠٩].



(١) «هَضَمَ فَلَانًا: ظلمه، وَغَضَبَهُ، كَاغْتَضَبَهُ، وَتَهَضَّمَهُ».

[القاموس المحيط: ١١٧٠].

(٢) غَاضِب.

اليقين بالرزق

قال: وحديثي أبي، قال: بعث سليمان المهلبى إلى الخليل بن أحمد بمائة ألف درهم وطالبه لصحبته فردّ عليه المائة ألف وكتب إليه:

أَبْلِغْ سُلَيْمَانَ أَنِّي عَنْهُ فِي سَعَةٍ وَفِي غِنَى غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالٍ
شُحِّي بِنَفْسِي أَنِّي لَا أَرَى أَحَدًا يَمُوتُ هُزْلًا وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ
الرِّزْقُ عَنْ قَدَرٍ لَا الْعَجْزُ يَنْقُصُهُ وَلَا يَزِيدُكَ فِيهِ حَوْلٌ مُخْتَالٍ
وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي الْمَالِ تَعْرِفُهُ وَمِثْلُ ذَاكَ الْغِنَى فِي النَّفْسِ لَا الْمَالِ

قال أبو علي: والعرب تقول: حَوَّلَ الرَّجُلُ إِذَا قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، أَنَشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ:

فِذَاكَ مِنَ الْأَقْوَامِ كُلِّ مُبَخَّلٍ يُحَوَّلُ إِنْ سَأَلَهُ الْعُزْفُ^(١) سَائِلُ

أي يقول: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وقال: أحمد بن عبيد: حَوَّلَ الرَّجُلُ وَحَوَّلَ: إِذَا قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَبَسَمَلَ الرَّجُلُ: إِذَا قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ. وَقَدْ أَخَذْنَا فِي الْبَسْمَةِ، وَأَنَشَدَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:

لَقَدْ بَسَمَلْتُ لَيْلَى غَدَاةً لَقِيَتْهَا فَيَا أَبَايَ ذَاكَ الْغَزَالُ الْمُبَسْمِلُ

وقال أبو عكرمة الضبي: قَدْ هَيَّلَ الرَّجُلُ، إِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَدْ أَخَذْنَا فِي الْهَيْلَةِ. وقال الخليل بن أحمد: حَيَّلَ الرَّجُلُ: إِذَا قَالَ: حَيٍّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَقُولُ لَهَا وَدَمْعُ الْعَيْنِ جَارٍ أَلَمْ يَخْزُنْكَ حَيَعَلَةَ الْمُنَادِي

[نفسه ص ٥١١ - ٥١٢].



(١) «الْعَارِفَةُ: المعروف، كَالْعُزْفِ، بِالضَّمِّ، الْجَمْعُ: عَوَارِفُ».

[القاموس المحيط: ٨٣٦].

وصية أبي جعفر لعمر بن عبدالعزيز

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى أَبُو بَشَرٍ الْعُكْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَوْ حَدَّثْتُ عَنْ أَسَدِ بْنِ سَعِيدٍ، الشُّكُّ مِنْ أَبِي بَكْرٍ.

قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ عُفَيْرٍ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَوْصِنِي! قَالَ: أَوْصِيكَ أَنْ تَتَّخِذَ صَغِيرَ الْمُسْلِمِينَ وَلَدًا، وَأَوْسَطَهُمْ أَحَا، وَكَبِيرَهُمْ أَبَا، فَارْحَمْ وَلَدَكَ، وَصِلْ أَخَاكَ، وَبِرَّ أَبَاكَ، وَإِذَا صَنَعْتَ مَعْرُوفًا قَرَبَهُ.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ، قَوْلُهُ قَرَبَهُ أَيُّ: أَدِمَّهُ، يُقَالُ: رَبَّ بِالْمَكَانِ وَأَرَبَّ، أَيُّ: أَقَامَ بِهِ وَدَامَ، قَالَ بَشَرٌ:

أَرَبَّ عَلَى مَعَانِيهَا ^(١) مُلِثٌ هَزِيمٌ ^(٢) وَذَقُهُ ^(٣) حَتَّى عَفَاَهَا
[نفسه ص ٥٤٧].



خبر الأمير مع السففيه

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْمَدَائِنِيُّ، قَالَ: كَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ سَفِيهٌ يَجْمَعُ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَشَكَا ذَلِكَ أَهْلُ مَكَّةَ إِلَى الْوَالِيِّ فَغَرَبَهُ إِلَى عُرَفَاتٍ، فَاتَّخَذَهَا مَنْزِلًا

(١) «الْمَعْنَى: الْمَنْزَلُ الَّذِي غَنِيَ بِهِ أَهْلُهُ ثُمَّ ظَعَنُوا، أَوْ عَامٌ».

[القاموس المحيط: ١٣١٩].

(٢) «الْهَزِيمُ: الرُّغْدُ، كَالْمُنْتَهَزِمِ».

[نفسه ص ١١٦٩].

(٣) «الْوَذْقُ: الْمَطَرُ».

[نفسه ص ٩٢٧].

ودخل مَكَّة مُستترأً، فلقي حرفاءه من الرّجال والنّساء فقال: ما يمنعكم؟ قالوا: وأين بك وأنت بعرفات؟ قال: حمّا بدرهمين وقد صرّتم إلى الأمن والنّزهة، قالوا: نشهد أنّك صادق، وكانوا يأتونه وكثر ذلك حتى أفسد على أهل مَكَّة أحداثهم وسُفهاءهم وحواشيهم، فعادوا بالشّكاية إلى أمير مَكَّة، فأرسل إليه فأتي به فقال: أي عدوّ الله! طردتك من حرم الله فصرت إلى المعشر الأعظم تُفسد فيه وتجمع الفساق! فقال: أصلح الله الأمير، يكذبون علي ويحسدونني، قالوا: بيننا وبينه واحدة، قال: ما هي؟ قال: تجمع حمير المُكّارين وترسلها بعرفات، فإن لم تقصد إلى بيته لما تعرف من إتيان الخُراب والسُفهاء إياه، فالقول ما قال، فقال الوالي: إنّ في هذا لدليلاً، وأمر بحمير فجُمعت ثم أرسلت فقصدت نحو منزله فأتاه بذلك أمناؤه، فقال: ما بعد هذا شيء: جرّدوه، فلمّا نظر إلى السّيّاط، قال: لا بُدّ من ضربي، أصلح الله الأمير؟ قال: لا بُدّ منه، قال: اضرب فوالله ما في هذا شيء أشدّ علينا من أن تسخر منّا أهل العراق فيقولون: أهل مَكَّة يُجيزون شهادة الحمير فضحك الأمير، وقال: والله لا أضربك اليوم وأمر بتخلية سبيله.

[نفسه ص ٥٤٧ - ٥٤٨].



ما جرى بين يزيد والمهلب

قال: وحَدَّثنا أبو بكر، قال: حَدَّثنا السّكَنُ بن سَعِيد، عن محمّد بن عبّاد، قال: استعمل المهلب يزيد على حرب خُراسان، واستعمل المُغيرة على خراجها، ولم يولّ البختريّ بن المُغيرة بن أبي صُفرة، فكتب إليه:

أقرّ السّلامَ على الأميرِ وقُلْ لَهُ	إنّ المَقامَ على الهوانِ بلاءُ
أصلُ الغدوّ إلى الرّواحِ وإنّما	أذني وأذنُ الأبعدينَ سواءُ
أجفَى ويُدعى من ورأيي جالِسا	ما بالكِرامَةِ والهوانِ خفاءُ

فوجد عليه المهلب وألزمه منزله، فكتب إليه:

جَفَانِي الْأَمِيرُ وَالْمُغِيرَةُ قَدْ جَفَا وَأُمْسَى يَزِيدُ لِي قَدْ اِزْوَرَّ^(١) جَانِبُهُ
وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شُبْعًا لِبَطْنِهِ وَشُبْعُ الْفَتَى لَوْمْ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ
فَيَا عَمَّ مَهْلًا وَاتَّخِذْنِي لِنُوبَةٍ ثَلِمُ^(٢) فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمَّ^(٣) نَوَائِبُهُ
أَنَا السَّيْفُ إِلَّا أَنَّ لِلسَّيْفِ نُبُوَّةَ وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ

[نفسه ٥٥١ - ٥٥٢].



المُهَلَّبُ وَالْخَوَارِجُ

قال أبو علي: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عبيدة، قَالَ: لَمَّا بَعَثَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ أَخَاهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِقِتَالِ الْأَزَارِقَةِ، قَامَ إِلَيْهِ عَزَاهُمْ أَخُو بَنِي الْعَدَوِيَّةِ، فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ تَمِيمٍ تَتِطُّ بِقَرِيشٍ مِنْهُمْ رَجِمَ دَاسَةً مَاسَةً، وَإِنَّ الْأَزَارِقَةَ ذُؤْبَانَ الْعَرَبِ وَسِبَاعِهَا، وَلَيْسَ صَاحِبُهُمْ إِلَّا الْمَبَاكِرُ الْمُنَاكِرُ الْمُحَرَّبُ الْمُجَرَّبُ، الَّذِي أَرْضَعَتْهُ الْحَرْبُ بِلْبَانِهَا، وَجَرَّسَتْهُ وَضَرَّسَتْهُ، وَذَلِكَ أَخُو الْأَزْدِ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ، وَاللَّهُ إِنَّ عَثَّكَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ سَمِينِهِ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عِدَوَاتِ الدَّهْرِ وَغَدْرِهِ، وَلَيْسَ الْمُجَرَّبُ كَمَنْ لَا يُعْلَمُ، وَلَا النَّاصِحُ الْمُشْفِقُ كَالْعَاشِ الْمُتَّهِمِ. قَالَ لَهُ خَالِدٌ: اسْكُتْ مَا أَنْتَ وَذَا؟ فَلَمَّا هَزِمَتْ الْأَزَارِقَةُ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَأَخَذُوا امْرَأَتَهُ، وَقَرَّ عَنْهَا قَالَ عَرَاهُمْ:

(١) «تَزَاوَرَ عَنْهُ: عَدَلَ وَانْحَرَفَ، كَاوَزَ، وَازَوَارَ».

[القاموس المحيط: ٤٠٣].

(٢) «أَلَمَ بِهِ: نَزَلَ، كَلَّمَ وَالتَّمَ».

[نفسه ص ١١٥٩].

(٣) «الْجَمُّ: الْكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، كَالْجَمِيمِ».

[نفسه ص ١٠٨٩].

ولعمري لقد ناجيت^(١) بِالنُّصح خالداً
ولجَّ وكانت هفوة من مُجرَّب
نصحت فلم يقبل ورَدَّ نصيحتي
وقلت الحرورِيونَ مَنْ قَدْ عرفتَهم
فلا تُزِيلُنَّ عبدالعزیز وسرْحَنَ
فتى لا يلاقي الموت إلا بوجهه
فلَمَّا أبى أَلْقَيْتُ حَبْلَ نصيحتي
وشَمَرْتُ عن ساقِي ثوبي إذ بَدَثَ
يَهْزُونُ^(٨) أرماحاً طوالاً بِأذرعِ
وناديتَه حتَّى أبى وعَصَانِيَا
عصاني فلاقى ما يَسُرُّ الأعَادِيَا
وذو النُّصح مُظَنُّ بِمَا ليس آتِيَا
حُمَاةُ كُمَاةٍ^(٢) يضربون الهَوَادِيَا
إليهم فتى الأزْدِ الأَلْدُ^(٣) المُسَامِيَا
جَرِيئاً على الأعداءِ للحربِ صَالِيَا^(٤)
على غَارِبٍ^(٥) قَدْ كَانَ زَهْمَانُ^(٦) نَاوِيَا
كَتَائِبَهُمْ تُزْجِي^(٧) إلينا الأَفَاعِيَا
شِدَادٍ إِذَا مَا الْقَوْمُ هَزُّوا الْعَوَالِيَا^(٩)
[«الأمالي» ص ٥٩٠].

(١) «نَاجَاهُ مُنَاجَاةً وَنَجَاءً: سَارَهُ».

[القاموس المحيط: ١٣٣٧].

(٢) «الْكَيْيُّ، كَغْنِيٍّ: الشُّجَاعُ، أَوْ لَا يَسُ السَّلَاحَ، كَالْمُنْكَمِّيِّ الْجَمْعُ: كُمَاةٌ أَكْمَاءُ».

[نفسه ص ١٣٢٩].

(٣) «الأَلْدُ: الْحَضْمُ الشَّحِيحُ الَّذِي لَا يَزِيغُ إِلَى الْحَقِّ، كَالْأَلْنَدِ وَالْيَلْنَدِ، الْجَمْعُ: لُدٌّ وَلِدَادٌ».

[القاموس المحيط: ٣١٧].

(٤) «صَلِيَّ الثَّارِ، كَرَضِيٍّ، وَبِهَا صُلِيًّا وَصِلِيًّا وَضَلَاءً، وَيُكْسَرُ: قَاسَى حَرْهَا، كَتَصَلَاهَا».

[نفسه ص ١٣٠٣].

(٥) «حَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ» أَي: اذْهَبِي حَيْثُ شِئْتَ».

[القاموس المحيط: ١٢٠].

(٦) «زَهْمٌ، كَفَرَحٍ: اتَّخَمَ، فَهُوَ زَهْمَانٌ».

[نفسه ص ١١١٩].

(٧) تَسُوقٌ.

(٨) «هَزَّهْ، وَبِهِ: حَرَّكَهْ».

[القاموس المحيط: ٥٢٩].

(٩) «الْعَالِيَةُ: أَعْلَى الْقَنَاءِ، أَوْ رَأْسُهُ، أَوْ النُّصْفُ الَّذِي يَلِي السُّنَانَ».

[نفسه ص ١٣١٤].

ابن هرمة والمنصور

قال أبو علي: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: دَخَلَ الشُّعْرَاءُ عَلَى الْمَنْصُورِ وَفِيهِمْ طَرِيحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الثَّقَفِيُّ وَابْنُ مَيَّادَةَ وَغَيْرُهُمْ، فَأَذَنَ لَهُمْ فِي الْإِنْشَادِ، فَأَنْشَدُوهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، حَتَّى دَخَلَ ابْنُ هَرْمَةَ فِي آخِرِهِمْ، فَأَنْشَدَهُ حَتَّى بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ مِنْ شِعْرِهِ:

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجَاوَزْتَ
يَزُورُنْ أَمْرًا لَا يُضْلِحُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ
إِذَا مَا أَتَى شَيْئًا مَضَى كَالَّذِي أَتَى
كَرِيمٌ لَهُ وَجْهَانِ وَجْهٌ لَدَى الرُّضَا
لَهُ لَحْظَاتٌ ^(٧) عَنْ حِفَافِي ^(٨) سَرِيرِهِ
بِنَا بَيْدٍ ^(١) أَجْوَزَ الْفَلَاحِ الرَّوَاجِلُ ^(٢)
وَلَا يَنْتَجِي ^(٣) الْأَذْنُونُ فِيمَا يُحَاوِلُ
وَأِنْ قَالَ إِنِّي فَاعِلٌ فَهُوَ فَاعِلٌ
أَسِيلٌ ^(٤) وَوَجْهٌ فِي الْكَرْبَةِ ^(٥) بَاسِلٌ ^(٦)
إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ ^(٩)

(١) «الْبَيْدَاءُ: الْفَلَاحُ، الْجَمْعُ: بَيْدٌ».

[القاموس المحيط: ٢٦٩].

(٢) «الرَّحُولُ وَالرَّحُولَةُ وَالرَّاحِلَةُ: الصَّالِحَةُ لِأَن تَزَحَلَ».

[نفسه ص ١٠٠٥].

(٣) «نَحَاهُ يَنْحُوهُ وَيَنْحَاهُ: قَصْدُهُ، كَانْتَحَاهُ».

[نفسه ص ١٣٣٧].

(٤) «الْأَسِيلُ مِنَ الْخُدُودِ: الطَّوِيلُ الْمُسْتَرْسِلُ. وَقَدْ أَسْلَى، كَكَرَّمَ».

[القاموس المحيط: ٩٦١].

(٥) «الْكَرْبَةُ: الْحَرْبُ، أَوِ الشَّدَّةُ فِي الْحَرْبِ».

[نفسه ص ١٢٥٢].

(٦) شُجَاعٌ.

(٧) «لَحْظُهُ، كَمَنْعُهُ، وَإِلَيْهِ لَحْظًا وَلَحْظَانًا، مُحَرَّكَةٌ: نَظَرٌ بِمَوْخَرٍ عَيْنِيهِ، وَهُوَ أَشَدُّ التَّفَاتًا مِنَ الشُّزْرِ».

[القاموس المحيط: ٦٩٨].

(٨) «الْحِفَافُ، كَكِتَابٍ: الْجَانِبُ».

[نفسه ص ٨٠٠].

(٩) عَطَاءٌ.

فَأُمُّ الذِي آمَنْتَ آمِنَةً الرَّدَى^(١) وَأُمُّ الذِي حَاوَلْتَ بِالتُّكْلِ^(٢) ثَاكِلُ
رَأَيْتِكَ لَمْ تَعْدِلْ عَنِ الْحَقِّ مَعْدِلًا سِوَاهُ وَلَمْ تَشْغَلْكَ عَنْهُ الشَّوَاغِلُ

فقال: يا غلام، ارفع الحجاب، وأمر له بعشرة آلاف، والدينار يومئذ
بسبعة، وأعطى الباقي ألفين ألفين.

[نفسه ص ٥٩٧ - ٥٩٨].



عبدالملك بن مروان وجريير

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَثْمَانَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا
عُمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ بْنُ بِلَالٍ بْنُ جَرِيرٍ بْنُ عَطِيَّةِ بْنِ الْخَطَفِيِّ، قَالَ: كَانَ جَرِيرٌ
عِنْدَ الْحُجَّاجِ بِالْعِرَاقِ، وَكَانَ آمَنَهُ بَعْدَمَا أَخَافَهُ أَشَدُّ الْخَوْفِ، فَقَدِمَ الْحُجَّاجُ
الْبَصْرَةَ، وَجَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ يَتَسَابَّانِ سَبْعَ سِنِينَ قَبْلَ قُدُومِهِ، وَجَرِيرٌ مُقِيمٌ
بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُقِيمًا بِالْبَادِيَةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَنُو يَرْبُوعَ: أَنْتَ مُقِيمٌ
بِالْبَادِيَةِ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزُورِي عَنْكَ، وَالْفَرَزْدَقُ قَدْ مَلَأَ عَلَيْكَ الْعِرَاقَ فَانْحَدِرْ إِلَى
جَمَاعَةِ النَّاسِ فَأَشِذْ بِالرَّجُلِ كَمَا يُشِيدُ بِكَ، فَانْحَدِرْ وَأَقَامَ بِالْبَصْرَةِ، فَلِذَلِكَ
يَقُولُ:

وَإِذَا شَهِدْتُ لِشُعْرِ قَوْمِي مَشْهَدًا أَثَرْتُ ذَاكَ عَلَى بَنِي وَمَالِي

فَأَوَّجَهُ الْحُجَّاجُ وَمَلَأَ بِمَدْحِهِ الْأَرْضَ، وَبَلَغَ أَهْلَ الشَّامِ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَرَوَاهُ النَّاسُ. ثُمَّ إِنَّ الْحُجَّاجَ أَوْفَدَهُ مَعَ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ عَاشِرَ عَشْرَةِ مَنْ أَهْلَ
الْعِرَاقِ بَعْدَمَا أَجَازَهُ بِعَشْرَةِ مِنَ الرَّقِيقِ وَأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ، قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَى

(١) الرَّدَى: الهلاك.

(٢) «التُّكْلُ، بِالضَّمِّ: الموتُ والهلاك، وفقدانُ الحبيبِ أو الولد، ويُحَرَّكُ، وَقَدْ تُكْلَهُ، كَفَرَحَ، فَهُوَ ثَاكِلٌ، وَتُكْلَانُ وَهِيَ ثَاكِلٌ، وَتُكْلَانَةٌ قَلِيلَةٌ، وَتُكُولُ وَتُكَلَّى».

[القاموس المحيط: ٩٧٢].

عبدالملك فخطب بين يديه، ثم أجلسه على سريره عند رجليه، ثم دعا بالوفد منا رجلاً رجلاً وكلنا له خطبة، فجعل كلما خطب رجل قطع خطبته، وتكلم جرير فقطع خطبته، ثم قال: من هذا يا محمد؟ فقال: هذا يا أمير المؤمنين ابن الخطفي، قال: مَادِحُ الْحَجَّاجِ؟ قلت: وَمَادِحُك يا أمير المؤمنين فأذن لي أنشدك، فقال: هات ما قلت في الحجَّاج، فاندفعت في قولي:

صَبَرْتُ النَّفْسَ يَا بَنَ أَبِي عُقَيْلٍ مُحَافَظَةٌ^(١) فَكَيْفَ تَرَى الثَّوَابَا
وَلَوْلَمْ يَرْضَ رَبُّكَ لَمْ يُنْزَلْ مَعَ النَّصْرِ الْمَلَائِكَةُ الْغَضَابَا
إِذَا سَعَرَ^(٢) الْخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ رَأَى الْحَجَّاجَ أَثْقَبَهَا شَهَابَا
فقال: صدقت، وورائي الأخطل جالساً ولا أراه، ثم قال: هات بالحجَّاج، فأنشدته:

طَرِبْتُ لِعَهْدِ هَيَّجَتِهِ الْمَنَازِلَ وَكَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءَ وَالشَّيْنُ شَامِلُ
فَمَا فَرِغْتُ مِنْهَا حَتَّى خَيَّلْتُ فِي وَجْهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْغَضَبَ، وَقَالَ:
هَاتِ بِالْحَجَّاجِ، فأنشدته:

هَاجَ الْهَوَى لِفُؤَادِكَ الْمُهْتَاجِ^(٣) فَانْظُرْ بِتَوْضِيحٍ^(٤) بَاكِراً الْأَخْدَاجِ^(٥)

(١) «الْمُحَافَظَةُ: الذُّبُّ عَنِ الْمَحَارِمِ، كَالْحِفَاطِ، وَالِاسْمُ: الْحَفِيزَةُ».

[القاموس المحيط: ٦٩٥].

(٢) «سَعَرَ النَّارَ وَالْحَرْبَ، كَمَنَعَ: أَوْقَدَهَا، كَسَعَرَ وَأَسَعَرَ».

[القاموس المحيط: ٤٠٧].

(٣) «هَاجَ يَهِيْجُ هَيَّجاً وَهَيَّجَاناً وَهَيَّاجاً، بِالْكَسْرِ: نَارٌ، كَاهْتَجَاجٍ وَتَهَيَّجَ، وَأَثَارٌ».

[القاموس المحيط: ٢١١].

(٤) «تَوْضِيحٌ، بِالضَّمِّ وَكَسْرِ الضَّادِ: مَوْضِعٌ بَيْنَ إِمْرَةٍ إِلَى أَسْوَدِ الْعَيْنِ».

[نفسه ص ٢٤٧].

(٥) «الْجَذْجُ، بِالْكَسْرِ: الْجَمْلُ، وَمَرْكَبٌ لِلنِّسَاءِ كَالْمِحْفَةِ، كَالْجِدَاجَةِ، بِالْكَسْرِ وَهِيَ أَيْضاً الْأَدَاةُ، الْجَمْعُ: حُدُوجٌ وَأَخْدَاجٌ».

[نفسه ص ١٨٣].

حتى أتيت على قولي :

من سدّ مُطْلَع النِّفاق عليهم أم من يَصُولُ^(١) كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ
أم من يَغَارُ على النِّساء حَفِيظَةً إذ لا يَثِقْنَ بِغَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ

فتكلّم الأخطل وقال: أين أمير المؤمنين يا ابن المراغة! فعلمت أنّه الأخطل، فذَبَبْتُ حِيالَ وَجْهِي بِكُمِّي وقلت: اخسأ، ومَضَيْتُ حتى أنشدته كلّها فقال الخليفة: اجلس فجلست، ثم قال: قُمْ يا أخطل، هات مَدِيح أمير المؤمنين، فقام حِيالي فأنشد أشعرَ الناس وأمدح الناس، فقال له الخليفة: أتت شاعرنا ومادحنا، ازكّبه، فرمى برِداثه وألقى قَمِيصه على منكبه ووضع يده على عنقي، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّ التّصرانيّ الكافر لا يعلو ولا يظهر على المسلم ولا يركبه، فقال أهل المجلس: صدق يا أمير المؤمنين، فقال: دَعُهُ، وانتَقَضَ المجلس وخرجنا، فدخل الوفد عليه ثمانية أيام مع محمّد كلّهن أحجب فلا أدخل عليه، ثم دَخَلُوا في التاسع وأخذوا جَوازِهِمْ، وتَهَيَّأُوا في العَاشِرِ للدُّخُول والتوديع للرّحيل، فقال محمد: يا أبا حَزْرَةَ، ما لي لا أراك تَتَجَهَّزُ؟ قلت: وكيف وأمير المؤمنين عليّ سَاحِط! ما أنا بِبَارِحٍ أو يَرْضَى عَنِّي، فَلَمَّا دَخَلَ عليه محمد ليودّعه قال: يا أمير المؤمنين، إنّ ابن الخَطَفِي مادحك وشاعرك ومادحُ الحَجَّاج سيفك وأمينك، وقد لَزَمْتَنَا له صُخْبَةٌ وَذِمَامٌ^(٢)، فإن رأيت أن تأذن له! فإنّه أبى أن يخرج معنا وأنت غضبان، وآلى أنّه لا يخرج أو ترضى عنه، فیدخل ويودّعك، فأذن لي، فدخلت عليه ودعوت له، فقال: إنما أنت للحجّاج، قلت: ولك يا أمير المؤمنين، ثم استأذنته في الإنشاد، فسكت ولم يأذن لي، فاندفعت فقلت:

أَضْحُو أم فُؤادك غير صَاحٍ

(١) «صَالَ عَلَى قِرْنِهِ صَوْلًا وَصِيَالًا وَصُؤُولًا وَصَوْلَانًا وَصَالًا وَمَصَالَةً: سَطًا وَاسْتَطَالَ».

[القاموس المحيط: ١٠٢٣].

(٢) «الذِّمَامُ وَالْمَذْمَةُ: الْحَقُّ، وَالْحُرْمَةُ، الْجَمْعُ: أَذِمَّةٌ».

[القاموس المحيط: ١١١٠].

قال: بل فؤادك.

عَشِيَّةَ هَمْ صَخْبُكَ بِالرَّوَّاحِ

حتى فرغت منها وعلمت أنني إن خرجت بغير جائزة كان إسقاطي آخر الدهر، فلمّا بلغت إلى شكوى أم حَزْرَة قلت في أثر ذلك:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ الرَّاحِ

فَجعل يقول: نحن كذلك، ثم قال: رُدّها عليّ، فردّدها فطرب لذلك، وقال: ويحك! أتراها تُروِيها مائة من الإبل؟ قلت: نعم إن كانت من نَعَم^(١) كَلْب، وقد كنت رأيت خمسمائة من نَعَم كَلْب مُخَصَّفَةً ذُرَاهَا ثُنْيَانًا^(٢) وَجُدْعَانًا^(٣)، فقال: أخرجوا له مائة من النَعَم التي جاءت من عند كَلْب ولا تُزْدِلُوها^(٤)، فَشَكَرْتُ له وَشَكَرَ له أصحابي وَمَنْ شَهِدَنِي مِنَ الْعَرَبِ، ثُمَّ قُلْتُ: يا أمير المؤمنين، إنّا نحن أشياخ من أهل العراق وليس في واحد مِنّا فَضْل عن راحلته، قال: أفنَجعل لك أثمانها؟ قلت: لا، ولكن الرِّعَاء يا أمير المؤمنين، فنظر جَبَنَتِيهِ ثُمَّ قال لجلسائه: كم يَجْزِي مائة من الإبل؟ قالوا: ثمانية يا أمير المؤمنين، فأمر بثمانية أعبد: أربعة صقالبة، وأربعة نُوبِيَّة، وإذا قد أهدى إليه بعض الدهاقين^(٥) ثلاث صحاف فِضَّة وهُنَّ

(١) «النَّعَم»، وَقَدْ تُسَكَّنُ عَيْنُهُ: الإبل، والشَّاءُ أو خَاصٌّ بالإبل، الجمع: أُنَعَامَ. جمع الجمع: أُنَاعِيْمٌ.

[القاموس المحيط: ١١٦٣].

(٢) «الثُّنْيَةُ: الثَّاقَةُ الطَّاعنة في السَّادسة، والبَعِير: ثُنْيٌ».

[القاموس المحيط: ١٢٦٨].

(٣) «الْجِدْعُ، محرَّكة: قَبْلَ الثُّنْيِ، وهي بهاء، اسْمٌ له في زَمَنٍ وليس بِسَنٍّ تُنْبِتُ أو تَنْقُطُ، والشَّابُّ الحَدَثُ، الجمع: جِدَاعٌ وَجُدْعَانٌ، بالضَّم».

[نفسه ص ٧٠٨].

(٤) «الرُّذُلُ: الرَّذِيءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَذَلَهُ غَيْرُهُ وَأَرَذَلَهُ».

(٥) «الدَّهْقَانُ، بالكسر والضَّم: الثَّاجِرُ، وَرَعِيْمٌ فَلَاجِي الْعَجَمِ، وَرئيسُ الإقليمِ، مُعَرَّبٌ الجمع: دَهَاقِنَةٌ وَدَهَاقِيْنٌ، والاسْمُ: الدَّهْقَنَةُ».

[القاموس المحيط: ١١٩٨].

بين يديه يقرعهن بالخيزرانة، فقلت: المخلَبُ يا أمير المؤمنين. فَنَدَسَ^(١) إليَّ مِنْهُنَّ واحدةً وَقَالَ: خُذْهَا لَا نَفْعَ لَكَ! قلت: بلى، كُلَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْكَ يَنْفَعُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وانصرفنا وودَّعناه. وَكَتَبَ مُحَمَّدٌ إِلَى أَبِيهِ بِالْحَدِيثِ كُلِّهِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْحَجَّاجِ قَالَ لِي: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنْ يَبْلُغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَيَجِدَ^(٢) عَلَيَّ لَأَعْطَيْتُكَ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ هَذِهِ خَمْسُونَ رَاِحِلَةً وَأَحْمَالُهَا حِنْطَةٌ تَأْتِي بِهَا أَهْلُكَ فَتَمِيرُهُمْ^(٣)، فَقَبَضْتُهَا وَانْصَرَفْتُ.

[نفسه ص ٦٠٠ - ٦٠٢].

ابن عبدل ولطف مسالته

قال أبو علي: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: صَحِبَ ابْنُ عَبْدِ الْأَسَدِيِّ مَعْرُوفُ بْنُ بَشَرَ حِينًا، فَأَبْطَأَ عَنْهُ بِصَلْتِهِ فَتَغَيَّبَ عَنْهُ أَيَّامًا ثُمَّ أَتَاهُ، فَقَالَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ قَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، خَطَبْتُ بِنْتَ عَمِّ لِي فَأَرْسَلْتَ إِلَيَّ: أَنْ لِي أَشَاوَى عَلَى النَّاسِ وَدُيُونًا، فَاَنْطَلَقْتُ فَأَجْمَعُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَيْتَنِي أَفْعَلْ، فَفَعَلْتُ، فَلَمَّا أَتَيْتَهَا بِحَاجَتِهَا كَتَبَتْ إِلَيَّ تُؤَيِّسُنِي^(٤) وَتَقُولُ:

سَيُخْطِئُكَ الَّذِي أَمَلْتَ مِنِّي إِذَا انْتَقَضَتْ^(٥) عَلَيْكَ قُوَى حِبَالِي
كَمَا أَخْطَاكَ مَعْرُوفُ^(٦) ابْنُ بَشَرَ وَكُنْتَ تَعُدُّهُ لَكَ رَأْسَ مَالٍ

(١) «النَّدَسُ: الطُّغْنُ، وَقَدْ يَكُونُ بِالرَّجُلِ».

[نفسه ص ٥٧٧].

(٢) يَغْضَبُ.

(٣) «الْمِيرَةُ، بِالْكَسْرِ: جَلَبُ الطَّعَامِ. مَارَ عِيَالَهُ يَمِيرُ مَيْرًا، وَأَمَارَهُمْ، وَافْتَارَ لَهُمْ».

[القاموس المحيط: ٤٧٨].

(٤) «أَيَسَ، مِنْهُ: كَسَمِعَ إِيَّاسًا: قَنَطَ، وَأَيَسْتُهُ وَأَيَسْتُهُ».

[القاموس المحيط: ٥٣١].

(٥) «النَّقْضُ فِي الْبِنَاءِ وَالْحَبْلِ وَالْعَهْدِ وَغَيْرِهِ: ضِدُّ الْإِبْرَامِ، كَالِانْتِقَاضِ وَالْتِقَاضِ».

[نفسه ص ٦٥٦].

(٦) جُود.

فَلَا وَاللَّهِ لَوْ كَرِهَتْ شِمَالِي يَمِينِي مَا وَصَلْتُ بِهَا شِمَالِي
فضحك ابن بشر وقال: ما ألطف ما سألت، وأمر له بعشرة آلاف
درهم.

[نفسه ص ٦٠٣].



جرير يمدح خراسه

قال أبو علي: قرأت على أبي الحسن قال أبو محلم: كان المهاجر بن
عبدالله الكلابي عاملاً على اليمامة لهشام بن عبد الملك، وكان قد أقطع^(١)
جريراً داراً، وأمر خمسين رجلاً من جند أهل الشام أن يلزموا باب دار
جرير، وأن يكونوا معه في ركوبه إلى باب دار المهاجر إشفاقاً عليه من
ربيعة، فاعتل جرير فقال يوم دخلوا عليه:

نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَوْمٍ زَيَّنُوا حَسْبِي وَإِنْ مَرِضْتُ فَهَمُّ أَهْلِي وَعَوَّادِي
لَوْ حَالَ^(٢) دُونِي أَبُو شَيْلَيْنِ دُو لَيْدٍ^(٣) لَمْ يُسْلِمُونِي لِلَيْثِ الْغَابَةِ الْعَادِي
إِنْ تَجَرَّ طَيْرٌ بِأَمْرِ فِيهِ عَافِيَةٌ أَوْ بِالْفِرَاقِ فَقَدْ أَحْسَنْتُمْ زَادِي

[نفسه ص ٢١٦].



(١) «أَقْطَعُهُ قَطِيعَةً، أَي: طَائِفَةً مِنْ أَرْضِ الْخَرَاجِ».

[القاموس المحيط: ٧٥٣].

(٢) «حَالَ الشَّيْءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ يَحُولُ حَوْلًا وَحَوْلًا أَي حَجَزَ».

[مختار الصحاح: ٦٨].

(٣) «الْلَبْدَةُ، بِالْكَسْرِ: شَعَرُ زُبُرَةِ الْأَسَدِ، وَكُنْيَتُهُ: دُو لَبْدَةٍ».

[القاموس المحيط: ٣١٦].

وصية عبدالملك إلى الحجاج في القتال

قال أبو سعيد قال: حَدَّثَنَا محمد بن عمران، قال: حَدَّثَنِي أبو إسحاق إبراهيم المؤدب، قال: كتب الحجاج إلى عبدالملك بن مروان يُعظّم قطريّ بن الفُجاءة المازني، فكتب إليه عبدالملك أوصيك بما أوصى به البكريّ زيداً، فقال الحجاج لحاجبه: ناد في الناس من أخبر الأمير بما أوصى به البكريّ زيداً فله عشرة آلاف درهم، فقال رجل للحاجب^(١): أنا أخبره، فأدخله عليه، فقال له: ما قال البكريّ لزيد؟ قال: قال لابن عمّه زيد: - والشعر لموسى بن جابر الحنفي :-

أَقُولُ لِزَيْدٍ لَا تُتَرَتِّزْ^(٢) فَإِنَّهُمْ
فِيْنَ وَضَعُوا حَرْباً قَضَعَهَا وَإِنْ أَبَوَا
يَرَوْنَ الْمَنَايَا^(٣) دُونَ قَتْلِكَ أَوْ قَتْلِي
فَقُشِبَ وَقُوْدُ الْحَرْبِ بِالْحَطْبِ الْجَزْلِ^(٤)
فَإِنْ عَضَّتِ الْحَرْبُ الضُّرُوسَ^(٥) بِنَائِهَا
فَعُرْضَةُ نَارِ الْحَرْبِ مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي
فقال الحجاج: صدق أمير المؤمنين، عُرْضَةُ نَارِ الْحَرْبِ مِثْلِي أَوْ مِثْلِهِ.

[نفسه ص ٦٢٥].



(١) «الْحَاجِبُ: الْبَوَّابُ، الْجَمْعُ: حَاجِبَةٌ وَحُجَابٌ، وَخُطْبُهُ: الْحِجَابَةُ».

[القاموس المحيط: ٧٢].

(٢) «التَّرَتُّزُ: إِكْتِنَاؤُ الْكَلَامِ».

[القاموس المحيط: ٣٥٦].

(٣) «الْمَنَى: الْمَوْتُ، كَالْمَنِيَّةِ».

[نفسه ص ١٣٣٦].

(٤) «الْجَزْلُ: الْكَثِيرُ مِنَ الشَّيْءِ، كَالْجَزِيلِ، الْجَمْعُ: كَجِبَالٍ».

[نفسه ص ٩٧٦].

(٥) «الضُّرُوسُ: الثَّاقَةُ السَّيِّئَةُ الْخُلُقِ، تَعَضُّ حَالِيهَا. وَضَرَّسَتْهُ الْحُرُوبُ تَضْرِيساً: جَرَّسَتْهُ، وَأَحْكَمَتْهُ».

[القاموس المحيط: ٥٥٣].

بين الحجاج والفرزدق

قال أبو محلم: لما كان يوم من أيام دير الجماجم حمل حاجب بن خشينه العبشمي أحد بني الخطّاب بن الأعور بن عوف بن كعب بن عبد شمس في الخيل على أهل العراق مع الحجاج فأزال صُفوفهم، فقال الحجاج للفرزدق وهو عنده: ألا ترى ما أكرم حملة ابن عمك؟ فقال: أيها الأمير، إنّه رَجُل جَوَاد، وقد سَفَر مَالَهُ فَحَمَلَ حَمَلَةً مُفْلِس، فقال له الحجاج: فهل لك أن تحمّل كما حمل وألحق عطاءك بعطائه؟ فقال: إنّي أخاف إذ حَمَلْتُ أن ينقطع أصل العطاء.

[نفسه ص ٦٢٨ - ٦٢٩].



عبدالملك بن مروان وأدبه في استماع الحديث

قال أبو علي: قال أبو الحسن الأخفش: قرأت على أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين - رحمه الله تعالى -، وذكر أبو جعفر أنّه سَمِعَ ذَلِكَ مَعَ أَبِيهِ مِنْ أَبِي مُحَلِّمٍ، قَالَ أَبُو مُحَلِّمٍ: حَدَّثَنِي أَبُو نَعِيمٍ الْفَضْلُ بْنُ دَكِينٍ، عَنْ زَكْرِيَاءَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: رُبَّمَا حَدَّثْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ - رحمه الله تعالى - وَقَدْ هِيَ اللَّقْمَةُ، فَيَمْسُكُهَا فِي يَدِهِ مُقْبِلًا عَلَيَّ، فَأَقُولُ: أَجِزْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ مِنْ وَرَائِهَا، فَيَقُولُ: الْحَدِيثُ أَشْهَى إِلَيَّ مِنْهَا.

أَجِزْهَا أَي: أَزْدِرْهَا.

قال: وَمِنْ كَلَامِهِمْ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَطَرَّ ضَرْسًا وَلَا أَسْرَعَ إِحَارَةً لِلرَّغِيفِ مِنْهُ.

أَطَرَّ: أَحَدَّ.

[نفسه ص ٦٢٣].

الحجاج والأعرابي الفصيح

قال أبو محلم قال الحجاج لأعرابي كلمه فوجده فصيحاً: كيف تركت الناس وراءك؟ فقال: تركتهم أصلح الله الأمير حين تفرقوا في الغيطان، وأخمدوا النيران، وتشكت النساء، وعرض الشاء، ومات الكلب. فقال الحجاج لجلسائه: أخضباً نعت أم جذباً؟ قالوا: بل جذباً. قال: بل خضباً. قوله: تفرقوا في الغيطان معناه أنها أعشب فإبلهم وغنمهم ترعى. وأخمدوا النيران معناه استغنوا باللبن عن أن يشتروا لحوم إبلهم وغنمهم ويأكلوها.

وتشكت النساء أعضادهن من كثرة ما يمحضن الألبان، وعرض الشاء: استن من كثرة العشب والمرعى.

قال أبو علي: الصواب عرض الشاء وليس عرض بشيء. ومات الكلب: لم تمت أغنامهم وإبلهم فإكل جيفها. ومن أمثال العرب «نعم كلب في بؤس أهله»، لأنه إنما ينعم في القحط ويموت في الخضب.

[نفسه ص ٦٣٧].



الغنى والفقر والرياسة

قال أبو علي: قال لي أبو الحسن جحظة قالت حبشية: بات عندي المتوكل ليلة وخرج من عندي نصف الليل، فغلبتني عيني، فرأيت قائلاً يقول لي في النوم: يا حبشية، حملت الليلة بأشأم خلق الله، فكان المنتصر، فجلس يوماً على البساط الذي صورة مكتوبة عند رأسها بالفارسية، فدعا ببعض الفرس فقرأها، فكانت هذه صورة بابك بن بابكان الذي قتل أباه، فما عاش بعده إلا ستة أشهر، وكذلك اتفق للمنتصر.

[نفسه ص ٦٣٨].

وفاة الحجاج وما قال وما قيل له عند ذلك من مواظ

قال أبو علي: وحَدَّثني أبو بكر، قال: حَدَّثنا أحمد بن عُبَيْد في أخبار الحجاج بن يوسف: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرته الوفاة وأيقن بالموت، قال: أَسْندوني، وأذن للناس فدخلوا عليه، فذكر الموت وَكَرْبَهُ، واللَّحْدَ ووحشته، والدُّنْيَا وزوالها، والآخرة وأهوالها، وكثرة ذنوبه، وأنشأ يقول:

إِنَّ وَزْنَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَظَنِّي بِخَالِقِي أَنْ يُحَاطِي
فَلَنْ مَنَ بِالرُّضَا فَهُوَ ظَنِّي وَلَنْ مَرًّا بِالْكِتَابِ عَذَابِي
لَمْ يَكُنْ ذَاكَ مِنْهُ ظُلْمًا وَهَلْ يَظْلَمُ رَبُّ يَزْجِي لِحُسْنِ الْمَآبِ؟

ثُمَّ بَكَى وَبَكَى جَلِيسَاؤُهُ، ثُمَّ أَمَرَ الْكَاتِبَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ كُنْتُ أُرْعَى غَنَمَكَ أَحْوَطَهَا حِيَاطَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ بَرْعِيَّةَ مَوْلَاهُ، فَجَاءَ الْأَسَدُ فَبَطَشَ بِالرَّاعِي وَمَزَّقَ الْمَرْعَى كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَقَدْ نَزَلَ بِمَوْلَاكَ مَا نَزَلَ بِأَيُّوبَ الصَّابِرِ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ الْجَبَّارُ أَرَادَ بِعَبْدِهِ غَفْرَانًا لِحُطَايَاهُ وَتَكْفِيرًا لِمَا حَصَلَ مِنْ ذُنُوبِهِ، ثُمَّ كَتَبَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ:

إِذَا مَا لَقِيتَ اللَّهَ عَنِّي رَاضِيًا فَإِنْ شِفاءَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَالِكَ
فَحَسْبِي بقاءَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ وَحَسْبِي حَيَاةَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ
لَقَدْ ذَاقَ هَذَا الْمَوْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا وَنَحْنُ نَذُوقُ الْمَوْتَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
فَإِنْ مِتُّ فَادْكُرْنِي بِذِكْرِ مُحَبِّبٍ فَقَدْ كَانَ جَمًّا^(١) فِي رِضَاكَ مَسَالِكِي
وإِلَّا فَفِي دُبُرِ الصَّلَاةِ بِدَعْوَةٍ يُلَقَّى بِهَا الْمَسْجُونُ فِي نَارِ مَالِكِ
عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتًا وَمِنْ بَعْدِ مَا تُخَيَّا عَتِيقًا لِمَالِكِ

(١) «الجَمُّ: الكثيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، كَالْجَمِيمِ».

ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو الْمَنْذَرِ يَعْلَى بْنُ مَخْلَدٍ الْمَجَاشَعِيُّ وَقَالَ: كَيْفَ تَرَى مَا بِكَ يَا حَجَّاجُ مِنْ غَمَرَاتٍ^(١) الْمَوْتِ وَسُكْرَاتِهِ؟ فَقَالَ: يَا يَعْلى، غَمًّا شَدِيدًا، وَجَهْدًا جَهِيدًا، وَالْمَأْمُضِيضًا^(٢)، وَنَزْعًا جَرِيضًا^(٣)، وَسَفَرًا طَوِيلًا، وَزَادًا قَلِيلًا، قَوْلِي وَوَيْلِي إِنَّ لِمِ بَرَحْمَنِ الْجَبَّارِ، فَقَالَ لَهُ: يَا حَجَّاجُ إِنَّمَا يَرْحِمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءِ الْكِرْمَاءِ أُولِي الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالتَّحَنُّنِ وَالتَّعَطُّفِ عَلَى عِبَادِهِ وَخَلْقِهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَرِينُ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ لِسُوءِ سِيرَتِكَ، وَتَرَكْتَ مِلَّتَكَ، وَتَنَكَّبَكَ^(٤) عَنْ قَصْدِ الْحَقِّ وَسَنَنِ الْمَحَبَّةِ وَآثَارِ الصَّالِحِينَ. قَتَلْتَ صَالِحِي النَّاسِ فَأَفْنَيْتَهُمْ، وَأَبْرَزْتَ^(٥) عِثْرَةَ^(٦) التَّابِعِينَ فَتَبَرَّتَهُمْ، وَأَطَعْتَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَهَرَقْتَ الدِّمَاءَ، وَضَرَبْتَ الْأَبْشَارَ^(٧)، وَهَتَكَتِ الْأَسْتَارَ، وَسُنَّتْ سِيَاسَةَ مُتَكَبِّرِ جَبَّارٍ، لَا الدِّينَ أَبْقَيْتَ، وَلَا الدُّنْيَا أَدْرَكْتَ، أَعَزَّزْتَ بَنِي مَرْوَانَ، وَأَذَلَّتْ نَفْسَكَ، وَعَمَرْتَ دُورَهُمْ وَأَخْرَبْتَ دَارَكَ، فَالْيَوْمَ لَا يُنْجُونَكَ وَلَا يُغِيثُونَكَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَلَا لَمَّا بَعْدَهُ نَظَرٌ، لَقَدْ كُنْتَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ اهْتِمَامًا وَاعْتِمَامًا وَعِنَاءً وَبَلَاءً، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَاخَهَا بِمَوْتِكَ، وَأَعْطَاهَا مَنَاهَا بِخَزْيِكَ، قَالَ:

(١) «غَمَرَةُ الشَّيْءِ: شِدَّتُهُ، وَمُزْدَحْمُهُ. الْجَمْعُ: غَمَرَاتٌ وَغِمَارٌ».

[القاموس المحيط: ٤٥٢].

(٢) «مَضُّهُ الشَّيْءُ مَضًّا وَمَضِيضًا: بَلَغَ مِنْ قَلْبِهِ الْحُزْنَ بِهِ».

[نفسه ص ٦٥٤].

(٣) «الْجَرَضُ، مَحْرَكُهُ: الرِّيقُ، جَرَضَ بِرِيقِهِ، كَفَرِحَ: ابْتَلَعَهُ بِالْجَهْدِ عَلَى هَمٍّ، وَالْغَضَصُ».

[القاموس المحيط: ٦٣٨].

(٤) تَنَكَّبَ: عَدَلَ.

(٥) «الْبُورُ: الْهَلَاكُ، وَأَبَارَهُ اللَّهُ».

[القاموس المحيط: ٣٥٤].

(٦) «الْعِثْرَةُ، بِالْكَسْرِ: نَسْلُ الرَّجُلِ، وَرَهْطُهُ، وَعَشِيرَتُهُ الْأَذْنُونُ مِمَّنْ مَضَى وَغَبَرَ».

[نفسه ص ٤٣٦].

(٧) «الْبَشَرُ: ظَاهِرُ جِلْدِ الْإِنْسَانِ، قِيلَ: وَغَيْرُهُ، جَمْعُ بَشَرَةٍ، وَأَبْشَارُ جَمْعُ الْجَمْعِ».

[نفسه ص ٣٥٠].

فَكَأْتَمَا قَطَعَ لِسَانَهُ عَنْهُ فَلَمْ يُخْرِ^(١) جَوَاباً وَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ^(٢) وَخَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ^(٣)، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

رَبِّ إِنَّ الْعِبَادَ قَدْ أَيَّسُونِي وَرَجَائِي لَكَ الْعَدَاةَ عَظِيمُ
[نفسه ص ٧١١ - ٧١٢].



بين يزيد بن عبد الملك وهشام

قال: وَحَدَّثَنَا الرِّيشِي، قال: كَتَبَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى هِشَامٍ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ، هَذِهِ الْأَبْيَاتُ:

تَمَتَّى رِجَالُ أَنْ أُمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ فَتَمَّتْ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحِدٍ
فَمَا عَيْشُ مَنْ يَرْجُو رَدَايَ^(٤) بِضَائِرِي^(٥) وَمَا عَيْشُ مَنْ يَرْجُو رَدَايَ بِمُخْلَدِي
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى تَجَهَّزْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدْ

قال: فَكُتِبَ إِلَيْهِ هِشَامُ:

وَمَنْ لَا يُغَمِّضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَاتِبٌ
وَمَنْ يَتَتَبَّعُ جَاهِداً كُلَّ عَشْرَةٍ^(٦) يَجِدُهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبٌ

(١) «مَا أَخَارَ جَوَاباً: مَا رَدَّ».

[القاموس المحيط: ٣٨١].

(٢) «الصُّعْدَاءُ، بِضَمِّ الصَّادِ وَالْمَدِّ: تَنَفَّسَ مَمْدُودٌ».

[مختار الصحاح: ١٥٢].

(٣) «الْعَبْرَةُ، بِالْفَتْحِ: الدَّمْعَةُ قَبْلَ أَنْ تَفِيضَ، أَوْ تَرْتَدُّ الْبُكَاءُ فِي الصَّدْرِ».

[القاموس المحيط: ٤٣٥].

(٤) هَلَكَ.

(٥) «ضَارَةُ الْأَمْرِ يَضُورُهُ وَيَضِيرُهُ ضُوراً وَضَيْراً: ضَرُّهُ».

[القاموس المحيط: ٤٣٠].

(٦) «عَثَرَ، كَضَرَبَ وَنَصَرَ وَعَلِمَ وَكَرَّمَ، عَثَرًا وَعَثِيرًا وَعَثَارًا وَتَعَثَّرَ: كَبَا».

[القاموس المحيط: ٤٣٦].

قال: فكتب إليه يزيد:

لعمرك ما أدري وإني لأزجل^(١)
وإني على أشياء منك تريبني
إذا سؤتني يوماً صفحت إلى غد
وإني أخوك الدائم العهد لم أحل
أحارب من حاربت من ذي عداوة
سنقطع في الدنيا إذا ما قطعني
وكنت إذا ما صاحب رآم ظئتي^(٢)
قلبت له ظهر المجن^(٣) ولم أدم
وفي الناس إن رثت حبالك واصل
إذا أنت لم تنصف^(٤) أخاك وجدته
ويركب حد السيف من أن تضيمه^(٥)

على أيئنا تغدو المنيئة أول
قديماً لذو صفح على ذاك مجمل
ليعقب يوماً منك آخر مقبل
إن ابزأك^(٦) خضم أو نبا^(٧) بك منزل
وأحبس مالي إن غرمت فأعقل
يميتك فانظر أي كف تبدل
وبدل سوءاً بالذي كنت أفعل
على ذاك إلا ريت ما أتحوّل
وفي الأرض عن دار القلى متحوّل
على طرف الهجران إن كان يغفل
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل^(٨)

[نفسه ص ٧٥١ - ٧٥٢].

(١) «الزجل، مُحركة: الخوف، وجل، كفرح».

[القاموس المحيط: ١٠٦٧].

(٢) «بزا الرجل: قهره، وبطش به، كأبزاه».

[القاموس المحيط: ١٢٦٢].

(٣) «نبا منزله: لم يوافقه».

[نفسه ص ١٣٣٦].

(٤) «الطنئة، بالكسر: التهمة، الجمع: كعيب».

[القاموس المحيط: ١٢١٣].

(٥) «المجن والمجنه، بكسرهما، والجنان والجنانة، بضمهما: الثرس».

[نفسه ص ١١٨٧].

(٦) «الإنصاف: العذل».

[القاموس المحيط: ٨٥٦].

(٧) «ضامه حقه يضيمه واستضامه: انتقصه، فهو مضيم ومستضام».

[نفسه ص ١١٣٢].

(٨) «رخل عن مكانه زحواً: تنحى، كترخل».

[نفسه ص ١٠٠٩].

وَمَا الْجِلْمُ إِلَّا رَدُّكَ الْغَيْظَ فِي الْحَشَا

قال: وحدثني محمد بن يزيد، قال: حدثني علي بن عبد الله، قال: دَخَلَ قَوْمٌ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - فَكَلَّمَهُمْ فَأَغْلَظُوا^(١) لَهُ، فغَضِبَ. فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدِ الْمَلِكِ: وَمَا يُغْضِبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّمَا يَحْبِسُكَ أَنْ تَأْمُرَ فِتْطَاعَ؟ فَقَالَ: أَمَا غَضِبْتَ أَنْتَ يَا عَبْدِ الْمَلِكِ؟ قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، وَلَكِنْ مَا يَنْفَعُنِي جِلْمِي إِذَا لَمْ أَرِدْهُ عَلَى غَضَبِي فَيَسْكُنَ، وَأَنْشُدَ:

وَمَا الْجِلْمُ إِلَّا رَدُّكَ الْغَيْظَ^(٢) فِي الْحَشَا وَصَفْحُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَالصَّدْرُ وَاعْرِ^(٣)
تَرَى الْمَجْدَ وَالْأَحْلَامَ فِينَا فَمَا تَرَى سَفِيهَا هَفَا إِلَّا وَآخِرُ زَاجِرُ
[نفسه ص ٧٥٠ - ٧٥١].



مسلمة بن عبد الملك ونصيب الشاعر

قال: وحدثنا محمد بن يزيد، قال: حدثني ابن عائشة، قال: قال مسلمة بن عبد الملك لنصيب: أمدحت فلاناً؟ يعني رجلاً من أهل بيته. قال له: قَدْ كَانَ ذَاكَ. قال: أَفَلَا هَجَوْتَهُ؟ قال: لَمْ أَفْعَلْ. قال: وَلِمَ؟ قال: لِأَنِّي كُنْتُ أَحَقُّ بِالْهَجَاءِ مِنْهُ، إِذْ وَضَعْتَ مَدْحِي فِي مِثْلِهِ، فَأَعْجَبَ مُسْلِمَةُ قَوْلَهُ، فَقَالَ لَهُ: سَلْنِي. قال: لَا أَفْعَلْ. قال: وَلِمَ؟ قال: لِأَن يَدُكَ بِالْعَطَاءِ أَسْمَحَ مِنِّي بِالسُّؤَالِ، فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ.

[نفسه ص ٧٥٣].

(١) «أَغْلَظَ لَهُ فِي الْقَوْلِ: حَشَّنَ».

[القاموس المحيط: ٦٩٧].

(٢) «الْغَيْظُ: الْغَضَبُ، أَوْ أَشَدُّهُ، أَوْ سَوْرَتُهُ، وَأَوَّلُهُ، غَاظَهُ يَغِيظُهُ فَاغْتَاظَ، وَغِيظُهُ فَتَغِيظُ».

[القاموس المحيط: ٦٩٧].

(٣) «الْوَعْرُ، وَيُحَرِّكُ: الْحِفْدُ، وَالضُّغْنُ، وَالْعِدَاوَةُ».

[نفسه ص ٤٩٢].

أبو جعفر المنصور والشَّامي الأديب

قال: وَحَدَّثَنَا عمر بن شبة، قال: حَدَّثَنَا يحيى، قال: حَدَّثَنِي رجل من ولد خزيمة بن يحيى قال: قدم رجل من أهل الشَّام مِن بَنِي مُرَّة على أبي جعفر المنصور، فتكلَّم معه كلاماً حَسَنًا، فقال له أبو جعفر: حاجتك؟ فقال: يُبْقِيكَ اللهُ يا أمير المؤمنين. قال: حاجتك فإنه ليس كُلُّ ساعة يُمكنك هذا ولا تؤمر به؟ فقال: والله ما أَسْتَقْصِرُ عُمرَكَ، ولا أخاف بُخلَكَ، ولا أَعْتَثِمُ مالَكَ، وإنَّ سؤالَكَ لَشَرَفٌ، وإنَّ عطاءَكَ لَزِينٌ، وما بامرئٍ بذل وَجْهَهُ إلیكَ نَقْصٌ ولا شَيْنٌ، فقال أبو جعفر: يا ربيع، لا ينصرف مِن مقامه إِلَّا بمائة ألف درهم، فَحُمِلَتْ معه.

[نفسه ص ٧٥٤].



قصة أبي جعفر المنصور وابنه المقتول

ذكر ابن عساكر في ترجمة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور أنه كان في زمن شببته قد ورد الموصل وهو فقير لا شيء له، ولا معه شيء، فأَجْرَ نفسه عند بعض الملاحين حتى اكتسب شيئاً تزوّج به امرأة، ثم جعل يعدها وَيُمْنِيهَا أَنَّهُ مِن بيت سيصير المُلْكُ إليهم سَرِيعاً، فاتَّفَقَ حبلها منه، ثُمَّ تَطَلَّبه بَنُو أُمَيَّة فهرب عنها وتركها حَامِلًا، ووضع عندها رُقعة فيها نسبته، وأنه عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عَبَّاس، وأمرها إذا بلغها أن تأتيه، وإذا ولدت غُلاماً أن تسميه جَعْفَرًا. ونشأ الغُلام فتعلَّم الكتابة، وغوى العريّة والأدب، وأتقن ذلك إتقاناً جَيِّداً، ثُمَّ آل الأمر إلى بني العَبَّاس، فسألت عن السَّفاح فإذا هو ليس صاحبها، ثُمَّ قام المنصور، وصار الولد إلى بغداد فاختلط بِكُتَّاب الرِّسائل فأعجب به أبو أيُّوب المورياني صاحب ديوان الإنشاء للمنصور، وَحَظِّي عنده، وَقَدَّمه على غيره فاتَّفَقَ حضوره معه بين يدي الخليفة فَجَعَلَ الخليفة يلاحظه، ثُمَّ بعث يوماً للخادم ليأتيه بكاتب فدخل ومعه ذلك الغُلام، فكتب بين يدي المنصور كتاباً، وجعل الخليفة ينظر إليه، ويتأمله ثُمَّ

سأله عن اسمه فأخبره أنه جعفر، فقال: ابن مَنْ؟ فسكت الغلام، فقال: ما لك لا تتكلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن من خبري كيت وكيت، فتغير وجه الخليفة ثم سأله عن أمه فأخبره، وسأله عن أحوال بلد الموصل فجعل يخبره، والغلام يتعجب، ثم قام إليه الخليفة فاحتضنه، وقال: أنت ابني. ثم بعثه بعقد ثمين ومال جزيل، وكتاب إلى أمه يعلمها بحقيقة الأمر وحال الولد، وخرج الغلام ومعه ذلك من باب سر الخليفة فأحرز ذلك ثم جاء إلى أبي أيوب فقال: ما أبطأ بك عند الخليفة؟ فقال: إنه استكتبني في رسائل كثيرة، ثم تقاولا، ثم فارقه الغلام مغضباً ونهض من فوره، فاستأجر إلى الموصل ليعلم أمه ويحملها وأهلها إلى بغداد، إلى أبيه الخليفة، فسار مراحلاً، ثم سأل عنه أبو أيوب ف قيل: سافر فظن أبو أيوب أنه قد أفشى شيئاً من أسرارهِ إلى الخليفة، وفرّ منه، فبعث في طلبه رسولاً، وقال: حيث وجدته فردّه عليّ. فسار الرسول في طلبه فوجده في بعض المنازل، فخنقه وألقاه في بئر، وأخذ ما كان معه فرجع إلى أبي أيوب، فلما وقف أبو أيوب على الكتاب أسقط^(١) في يده وندم على بعثه خلفه، وانتظر الخليفة عود ولده إليه، واستبطأه وكشف عن خبره، فإذا رسول أبي أيوب قد لحقه وقتله، فحينئذ استحضر أبا أيوب وألزمه بأموال عظيمة، وما زال في العقوبة حتى جمع أمواله وحواصله ثم قتله، وجعل يقول: هذا قتل حبيبي. وكان المنصور كلما ذكر ولده حزن عليه حزناً شديداً^(٢).



الخليفة المنصور والرجل المعترض

خطب المنصور يوماً فاعترضه رجل وهو يشني على الله عزّ وجلّ، فقال: يا أمير المؤمنين اذكر مَنْ أنت ذاكره، وأتق الله فيما تأتيه وتذرّه،

(١) «سَقِطَ فِي يَدِهِ، وَأَسْقِطَ مَضْمُونَتَيْنِ: زَلٌّ وَأَخْطَأٌ، وَنَدِمَ، وَتَحَيَّرَ».

[القاموس المحيط: ٦٧١].

(٢) [«البداية والنهاية» لابن كثير، ج ١٠/ ١١٤ - ١١٥].

فسكت المنصور حتّى انتهى كلام الرّجل، فقال: أعودُ بالله أنْ أَكُون مَمَّن قال الله عزّ وجلّ فيه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦] أو أَكُون جَبَّاراً عَصِيّاً. أيّها النّاس! إنّ الموعظة علينا نزلت، ومن عندنا نبتت. ثمّ قال للرّجل: ما أظنّك في مقاتلتك هذه تريد وجه الله، وإنّما أردت أن يقال عنك: وعظ أمير المؤمنين. أيّها النّاس لا يغرّتكم هذا فتفعلوا كفعله، ثمّ أمر به فاحتفظ به، وعاد إلى خطبته فأكملها، ثمّ قال لمن هو عنده: أعرض عليه الدّنيا، فإن قبلها فأعلمني، وإن ردّها فأعلمني، فما زال به الرّجل الذي هو عنده حتّى أخذ المال، ومال إلى الدّنيا، فوالاه الحسبة والمظالم وأدخله على الخليفة في بزة حسنة، وثياب وشارة حسنة، فقال له الخليفة: ويحك! لو كنت مُحَقِّقاً مُرِيداً وجه الله بما قلت على رؤوس النّاس لما قبلت شيئاً ممّا أرى، ولكن أردت أن يُقال عنك: إنّك وعظت أمير المؤمنين، وخرجت عليه، ثمّ أمر به فضربت عنقه.

وقد قال المنصور لابنه المهدي: إنّ الخليفة لا يصلحه إلا التّقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطّاعة، والرّعيّة لا يصلحها إلا العدل، وأولى النّاس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص النّاس عقلاً من ظلم من ظلمه. دونه.

[نفسه ص ٦٩ - ٧٠].



إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

في سنة ١٥٨هـ «وجّه المنصور ابنه المهدي إلى الرّقة، وأمره بعزل موسى بن كعب عن الموصل، وأن يُولّي عليها خالد بن برمك، وكان ذلك بعد نكبة غريبة اتّفقت ليحيى بن خالد، وذلك أنّ المنصور كان قد غضب على خالد بن برمك، وألزمه بحمل ثلاثة آلاف ألف، فضاقت ذرعاً بذلك، ولم يبق له مال ولا حال، وعجز عن أكثرها، وقد أجّله ثلاثة أيّام، وأن يحمل ذلك في هذه الثلاثة أيّام وإلاّ قدّمه هدر، فجعل يُرسل ابنه يحيى

إلى أصحابه من الأمراء يستقرض منهم، فكان من أعطاه مائة ألف، ومنهم أقل وأكثر. قال يحيى بن خالد: فبينما أنا ذات يوم من تلك الأيام الثلاثة على جسر بغداد، وأنا مهموم في تحصيل ما طلب منّا ممّا لا طاقة لنا به، إذ وثب إليّ زاجر من أولئك الذين يكونون عند الجسر من الطرقية، فقال لي: أبشر، فلم ألتفت إليه، فتقدّم إليّ حتّى أخذ بلجام فرسي ثم قال لي: أنت مهموم، ليفرجنّ الله همك، ولتمرنّ عدّاً في هذا الموضع واللّواء بين يديك، فإن كان ما قلت لك حقّاً، فلي عليك خمسة آلاف، فقلت: نعم. ولو قال: خمسون ألفاً لقلت: نعم. لبعد ذلك عندي، وذهبت لشأني، وقد بقي علينا من الحمل ثلاث مائة ألف، فورد الخبر إلى المنصور بانتفاض الموصل، وانتشار الأكراد فيها، فاستشار المنصور الأمراء من يصلح للموصل؟ فأشار بعضهم بخالد بن برمك، فقال له المنصور: أو يصلح لذلك بعدما فعلنا به؟ فقال: نعم! وأنا الضامن أنّه يصلح لها، فأمر بإحضاره فولاه إياها، ووضع عنه بقية ما كان عليه، وعقد له اللّواء، وولّى ابنه يحيى بن خالد أذربيجان، وخرج الناس في خدمتهما. قال يحيى: فمررنا بالجسر فثار لي ذلك الزاجر فطالبني بما وعدته به، فأمرت له بقبض خمسة آلاف.

[نفسه ج ١٠/١٢٥].



الأعرابي مضيف أمير المؤمنين المهدي

قدم أعرابي ومعه كتاب مختوم فجعل يقول: هذا كتاب أمير المؤمنين إليّ، أين الرجل الذي يقال له: الربيع الحاجب؟ فأخذ الكتاب وجاء به إلى أمير المؤمنين، وأوقف الأعرابي، وفتح الكتاب فإذا هو قطعة أديم فيها كتابة ضعيفة، والأعرابي يزعم أنّ هذا خطّ الخليفة، فتبسّم المهدي وقال: صدق الأعرابي، هذا خطّي، إنني خرجت يوماً إلى الصّيد فضعت عن الجيش، وأقبل الليل فتعوّذت بتعوّذ رسول الله ﷺ فرفعت لي نار من بعيد فقصدتها

فإذا هذا الشيخ وامراته في خباء يوقدان ناراً، فسَلِّمت عليهما، وفرش لي كساء وسقاني مذقة من لبن مشوب بماء، فما شربت شيئاً إلا وهي أطيب منه، ونمت نومة على تلك العباءة ما أذكر أنني نمت أحلى منها، فقام إلى شويهة له فذبحها فسمعت امرأته تقول له: عمدت إلى مكسبك ومعيشة أولادك فذبحتها، أهلكك نفسك وعيالك. فما التفت إليها، واستيقظت فاشتويت من لحم تلك الشويهة وقلت له: أعندك شيء أكتب لك فيه كتاباً؟ فأتاني بهذه القطعة الأديم فكتبت له بعود من ذلك الرِّماد خمسمائة ألف، وإنما أردت خمسين ألفاً، والله لأنفذتها له كلها، ولو لم يكن في بيت المال سواها. فأمر له بخمسمائة فقبضها الأعرابي واستمر مُقيماً في ذلك الموضع في طريق الحاج من ناحية الأنبار، فجعل يقري الضيف ومن مرَّ به الناس، فعرف منزله بمنزل مضيف أمير المؤمنين المهدي.

[نفسه ج ١٠/١٦٠ - ١٦١].



عمر بن عبدالعزيز والمرأة العراقية

ذكر محمد بن عبدالله بن عبدالحكم في كتاب أخبار عمر بن عبدالعزيز قال: قدمت امرأة من العراق على عمر بن عبدالعزيز، فلما صارت إلى بابه قالت: هل على أمير المؤمنين حاجب؟ فقالوا: لا، فُلْجِي إِنْ أَحْبَبْتَ. فدخلت المرأة على فاطمة وهي جالسة في بيتها، وفي يدها قطن تعالجه، فسَلِّمت، فَرَدَّت عليها السَّلام، وقالت لها: ادخلي.

فلما جلست رفعت بصرها فلم تَر في البيت شيئاً له بال. فقالت: إنما جئت لأعمر بيتي من هذا البيت الخراب.

فقال لها فاطمة: إنما خَرَّب هذا البيت عمارة بيوت أمثالك.

فأقبل عمر حتى دَخَلَ الدَّار، فَمَالَ إلى بئر في ناحية الدَّار، فانتزع منها دِلاءً صَبَّها على طِين كَانَ بحضرة البيت، وهو يكثر النُّظر إلى فاطمة.

فقال لها المرأة: استتري من هذا الطَّيَّان فَإِنِّي أراه يُديم النَّظَرَ إليك .

قالت: ليس هو بِطَيَّان، هو أمير المؤمنين .

قال: ثُمَّ أَقبلَ عمر، فَسَلَّمَ، ودخل بيته، فَمالَ إلى مصلًى كان له في البَيْتِ فَصَلَّى عليه .

فسأل فاطمة عن المرأة فقالت: هي هذه .

فأخذ مكتلاً له فيه شيء مِن عِنَب، فجعل يَتَخَيَّرُ لها خَيْرُهُ وَيُناولُها إيَّاه . ثُمَّ أَقبلَ عليها فقال: حاجتك؟ فقالت: امرأة من أهل العراق، لي خمس بنات كُسُلٌ كُسُدٌ، فجئتُ أَبْتَغي حسنَ نظركَ لهنَّ .

فجعل يقول: كُسُلٌ كُسُدٌ، وَيَبكي . فأخذ الدَّوَاةَ والقرطاس، وكتب إلى والي العراق فقال: سَمِّي كُبراهنَّ . فَسَمَّتها . ففرض لها . فقالت المرأة: الحمدُ لله . ثُمَّ سأل عن اسمِ الثَّانية، والثَّالثة، والرَّابعة - والمرأة تحمد الله - فلمَّا فرض للأربع استفزَّها الفَرَحُ، فدعت له، فَجَزته خَيْراً، فرفع يده وقال: كُنَّا نفرض لهنَّ حيثُ كُنْتَ تولين الحمدَ أهله، فمري هؤلاء الأربع يُفَضِّنَ على هذه الخامسة .

فخرجت بِالكتابِ حتى أتت به العراق، فدفعته إلى والي العراق . فلمَّا دفعت إليه الكتابَ بكى واشتدَّ بكاءه وقال: رحم الله صاحبَ هذا الكتابِ .

فقالت: أَمَاتَ؟

قال: نعم .

فصاحت وولولت، فقال: لا بأس عليك، ما كنت لأردَّ كتابه في شيء .

فقضى حاجتها، وفرض لبناتها .

[«الرَّقَّةُ والبكاء» لابن قدامة المقدسي، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، ص ٣٠٣ - ٣٠٥].

عمر بن عبدالعزيز رحمه الله والأسير المسلم

أرسل عمر إلى صاحب الرُّوم رسولاً، فأتاه، وخرج من عنده يدور فَمَرَّ بموضع، فسمع فيه رجلاً يقرأ القرآن ويطحن! فَسَلَّمَ عليه، فلم يردَّ عليه السَّلام، مرَّتين أو ثلاثاً.

فقال: وأنى بالسَّلام في هذا البلد؟ فأعلمه أنه رسول عمر إلى صاحب الرُّوم.

فقال له: ما شأنك؟

فقال: إِنِّي أُسِرْتُ من موضع كذا وكذا، فَأَتَيْتُ به إلى صاحب الرُّوم، فعرض عليَّ النَّصرانية، فَأَبَيْتُ، فقال: إن لم تفعل سَمَلْتُ^(١) عينيك. فاخترت ديني على بَصْرِي. فَسَمَلْ عَيْنِي، وصيّرني إلى هذا الموضع، يرسل إليَّ كلَّ يوم بحنطة فأطحنها، وبخبزة فأكلها.

فلَمَّا سار الرُّسول إلى عمر بن عبدالعزيز، فأخبره خبر الرَّجل، قال: فَمَا فرغت مِنَ الْخَبَرِ حَتَّى رَأَيْتَ دُمُوعَهُ قَدْ بَلَّتْ ما بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ فكتب إلى صاحب الرُّوم:

أما بعد، فقد بَلَّغْنِي خبر فلان ابن فلان - فوصف له صفته - وأنا أَقْسَمُ بِاللَّهِ لئن لم تُرسل إِلَيَّ به، لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكَ مِنَ الْجُنُودِ جُنُوداً يَكُونُ أَوَّلُهَا عِنْدَكَ وَآخِرُهَا عِنْدِي.

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ الرُّسول قال: ما أسرع ما رجعت. فدفع إليه كتاب عمر بن عبدالعزيز، فلَمَّا قرأه قال: ما كُنَّا لَنَحْمِلَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ على هذا، بَلْ يُبْعَثُ إِلَيْهِ به.

فأَقَمْتُ أَنتَظِرُ متى يخرج به، فَأَتَيْتُ ذات يوم، فإذا هو قاعد قد نزل عن سريره، أعرف فيه الكآبة. فقال: أتدري لم فعلت هذا؟ فقلت: لا - وقد

(١) «سَمَلَّ عَيْنَهُ: فَقَّأَهَا».

أنكرت ما رأيت - فقال: إنه أتاني من بعض أطرافي أنَّ الرَّجُل الصَّالِح قد مات، فلذلك فعلت ما رأيت، ثم قال: إنَّ الرَّجُل الصَّالِح إذا كان بين القوم السُّوء لم يُترك بينهم إلاَّ قليلاً حتى يخرج من بين أظهرهم. فقلت له: أتأذن لي أن أنصرف؟ وأيست من بعثه الرَّجُل معي. فقال: ما كُنَّا لنجيبه إلى ما أمر في حياته ثم نرجع فيه بعد مماته. فأرسل معه بالرجل.

[نفسه ص ٣٠٥ - ٣٠٦].



حكاية ابن هارون الرَّشيد

قرأت على أبي المكارم المبارك بن محمد بن المعمر الشَّيخ الصَّالِح رحمه الله، أخبركم أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد الباقلائي، وأخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن هلال، أخبرنا أبو طاهر عبد الملك بن أحمد السيوري قالاً: أخبرنا أبو القاسم بن بشران، أخبرنا أبو بكر الآجري قال: سمعت أبا بكر بن أبي الطَّيِّب رحمه الله يقول: بلغنا عن عبدالله بن الفرج العابد قال:

احتجت إلى صانع يصنع لي شيئاً من أمر الروزجاريين^(١)، فأتيت السُّوق فجعلت أرمق الصَّنَاع، فإذا شاب مُصَفَّر^(٢)، بين يديه زنبيل^(٣) كبير ومَرَّ^(٤)، وعليه جبَّة صوف ومئزر صوف. فقلت له: تعمل؟ قال: نعم.

(١) هم العُمال الذين يقومون بأعمال مختلفة بأجر يومي. وروز بالفارسية بمعنى يوم. كتاب التوابين ص ١٧١ الهامش. (المحقق).

(٢) هو الذي اصفَّر لونه من الجهد والتَّعب.

(٣) «الزُّبَيْلُ، كأميرٍ وسيكِّينٍ وقنديلٍ، وقد يُفتح: القُفَّة، أو الجراب، أو الوعاء، الجمع: ككُتُب».

[القاموس المحيط: ١٠٠٩].

(٤) «المَرَّ، بالفتح: الحَبْلُ، والمِسْحَاةُ، أو مقبضها».

[نفسه ص ٤٧٤].

قلت: بكم؟ قال: بدرهم ودانق^(١). فقلت له: قُمْ حتى تعمل. قال: على شريطة. قلت: ما هي؟ قال: إذا كان وقت الظهر فأذن المؤذن خرجت فتطهرت وصليت في المسجد جماعة ثم رجعت، فإذا كان وقت العصر فكذلك. قلت: نعم.

فقام معي، فجننا المنزل، فوافقته على ما ينقله من موضع إلى موضع، فشدّ وسطه، وجعل يعمل ولا يكلمني بشيء، حتى أذن المؤذن للظهر، فقال: يا عبد الله قد أذن المؤذن. قلت: شأنك.

فخرج، فصلى، فلما رجع عمل أيضاً عملاً جيداً إلى العصر. فلما أذن المؤذن قال لي: يا عبد الله، قد أذن المؤذن. قلت: شأنك.

فخرج، فصلى العصر، ثم رجع، فلم يزل يعمل إلى آخر النهار، فوزنت له أجرته، وانصرف.

فلما كان بعد أيام، احتجنا إلى عمل، فقالت لي زوجتي: اطلب لنا ذاك الصانع الشاب، فإنه قد نصحننا في عملنا.

فجئت السوق، فلم أراه. فسألت عنه، فقالوا: تسأل عن ذاك المصفر المشؤوم الذي لا نراه من سبت إلى سبت، ولا يجلس إلا وحده في آخر الناس؟

قال: فانصرفت. فلما كان يوم السبت، أتيت السوق، فصادفته، فقلت: تعمل؟

قال: قد عرفت الأجرة والشروط. قلت: استخر الله تعالى. فقام، فعمل على النحو الذي كان يعمل. قال: فلما وزنت له الأجرة زدته، فأبى أن يأخذ الزيادة! فألححت عليه، فضجر، وتركني ومضى. فغمّني ذلك. فابتعته ودأريته، حتى أخذ أجرته فقط.

(١) الدانق: سدس الدرهم.

فلَمَّا كان بعد مُدَّة، احتجنا أيضاً إليه. فمضيت في يوم السَّبت، فلم أصادفه. فسألت عنه، فقليل لي: هو عليل.

وقال لي مَنْ يَخْبُرُ أمره: إنَّما كان يجيء إلى السُّوق من سبت إلى سبت، يعمل بدرهم ودانق، يتقوّت كلّ يوم بدانق. وقد مَرَضَ.

فسألت عن منزله، فأتيت وهو في بيت عجوز، فقلت لها: هنا الشاب الروزجاري؟ فقالت: هو عليل منذ أيام.

فدخلت عليه، فوجدته لما به، وتحت رأسه لبنة. فسَلَّمْتُ عليه وقلْتُ: لك حاجة؟

قال: نعم، إن قبلت.

قال: أقبل إن شاء الله.

قال: إذا أنا متُ فَبِعْ هذا المَرَّ، واغسل جُبتِي هذه الصوف، وهذا المئزر، وكفَّنِي بهما. وافتق جِيب الجَبَّة، فإنَّ فيها خاتماً، وانظر يوم يركب هارون الرّشيد الخليفة، فقف له في موضع يراك، فكَلِّمه، وأره الخاتم، فإنّه سيَدْعُو بك. فسَلَّمْ إليه الخاتم. ولا يكون هذا إلّا بعد دفني.

قلْتُ: نعم.

فلَمَّا مات، فعلت به ما أمرني، ثُمَّ نظرت اليوم الذي يركب فيه الرّشيد، فجلست له على الطّريق. فلَمَّا مرَّ ناديت: يا أمير المؤمنين، لك عندي وَدِعة، وَلَوْحَتُ بالخاتم. فأمر بي، فأَدْخَلْتُ، وحملت، حتّى دخلت إلى داره. ثُمَّ دَعَانِي، ونَحَى جميع من عنده وقال: من أنت؟ فقلت: عبدالله بن الفرج.

فقال: هذا الخاتم من أين لك؟ فحدّثته قصّة الشاب، فجعل يبكي حتّى رحمته.

فلَمَّا أنَسَ إِلَيَّ قلْتُ: يا أمير المؤمنين، من هو منك؟

قال: ابني!

قُلْتُ: كيف صار إلى هذه الحال؟ قال: ولد لي قبل أن أُبْتَلَى بالخلافة. فنشأ نُشوءاً حسناً، وتعلّم القرآن والعلم، فلَمَّا وليت الخلافة تركني ولم ينل مِن دُنْيَاي شيئاً، فدفعت إلى أمّه هذا الخاتم، وهو ياقوت، ويُساوي مالاً كثيراً. فدفعته إليها وقلت: تدفعين هذا إليه - وكان بَرّاً بأمّه - وتَسألينه أن يكون معه، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَيْهِ يَوْماً مِنَ الْإَيَّامِ، فينتفع به. وتَوَقَّيت أمّه، فما عرفت له خبراً إلا ما أخبرتني به أنت!

ثُمَّ قَالَ: إِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَخْرَجَ مَعِيَ إِلَى قَبْرِهِ.

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ خَرَجَ وَحْدَهُ مَعِيَ يَمْشِي، حَتَّى أَتَيْنَا قَبْرَهُ. فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَبَكَى بُكَاءً شَدِيداً، فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ، قُمْنَا، فَرَجِعَ. ثُمَّ قَالَ: تَعَاهَدْنِي فِي الْإَيَّامِ حَتَّى أَزُورَ قَبْرَهُ.

فَكُنْتُ أَتَعَاهَدُهُ فِي اللَّيْلِ، فَنَخْرُجُ حَتَّى يَزُورَهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَرَجِ: وَلَوْ أَعْلَمَ أَنَّهُ ابْنُ الرَّشِيدِ حَتَّى أَخْبَرَنِي الرَّشِيدُ أَنَّهُ ابْنُهُ، أَوْ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي الطَّيِّبِ.

[نفسه ص ٣٩٩ - ٤٠٢].



اتَّقِ اللَّهَ يَفْرَغْ عَلَيْكَ الْعِلْمُ إِفْرَاغاً!

أَخْبَرَنَا أَبُو طَالِبِ الْمُبَارَكِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خُضَيْرِ الصَّيْرَفِيِّ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ الْعَلَّافِ، أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا عَمْرُو الْقُرَشِيُّ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيُّ قَالَ: نَظَرَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى رَجُلٍ عِنْدَهُ مَتَغَيَّرَ اللَّوْنُ فَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي بَكَ؟

فَقَالَ: أَسْقَامٌ وَأَمْرَاضٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَأَعَادَ عَلَيْهِ عَمْرُ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثَلَاثاً.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِذَا أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ أَخْبِرَكَ، فَإِنِّي ذَقْتُ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا فَصَارَتْ عِنْدِي مَرَارَةً، فَصَغُرَ فِي عَيْنِي زَهْرَتُهَا، وَاسْتَوَتْ عِنْدِي حَجَارَتُهَا وَذَهَبُهَا، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَنَا أَسَاقُ إِلَى النَّارِ! فَأَسْهَرْتُ لَذَلِكَ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ لَهُ نَهَارِي، وَكُلَّ ذَلِكَ صَغِيرَ حَقِيرٍ فِي جَنْبِ ثَوَابِ اللَّهِ وَجَنْبِ عِقَابِهِ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَاءِ عُمَرَ: بِمِ نِلْتَ هَذَا؟

قَالَ: أَتَقُّ اللَّهَ يَفْرَغُ عَلَيْكَ الْعِلْمَ إِفْرَاعًا.

[نفسه ص ٣٧٥ - ٣٧٦].



المأمون والرجل الفقير

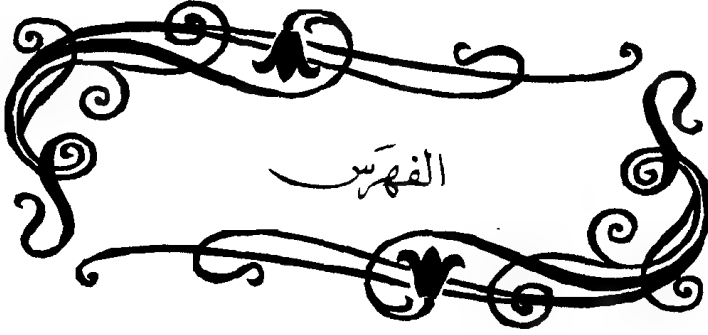
أَشْرَفَ الْمَأْمُونُ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ يَوْمًا مِنْ قَصْرِهِ فَرَأَى رَجُلًا بِيَدِهِ فَحْمَةٌ يَكْتُبُ عَلَى حَائِطِ الْقَصْرِ، فَذَهَبَ خَادِمٌ مِنَ الْقَصْرِ وَأَحْضَرَ الرَّجُلَ، وَرَأَى أَنَّهُ قَدْ كَتَبَ هَذَا الْبَيْتَ:

يَا قَضْرُ جُمِّعْ فِيكَ الشُّؤْمُ وَاللُّؤْمُ مَتَى يُعَشَّشُ فِي أَرْكَانِكَ الْبُؤْمُ

فَلَمَّا مَثَلَ الرَّجُلُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ قَالَ لَهُ: وَيْلَكَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَا حَوَاهُ قَصْرُكَ مِنْ خَزَائِنِ الْأَمْوَالِ، وَإِنِّي قَدْ مَرَرْتُ عَلَيْهِ الْآنَ وَأَنَا فِي غَايَةِ الْجُوعِ، فَوَقَفْتُ مُفَكِّرًا فِي أَمْرِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا الْقَصْرُ عَامِرٌ عَالٍ وَأَنَا جَائِعٌ، وَلَا فَائِدَةَ لِي فِيهِ، فَلَوْ كَانَ خَرَابًا لَمْ أَعْدِمَ رَخَامَةً أَوْ خَشَبَةً أَبِيعُهَا وَأَتَقَوَّتْ بِثَمْنِهَا، أَوْ مَا عَلِمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فِي دَوْلَةِ أَمْرٍ نَصِيبٌ وَلَا حَظٌّ تَمَتَّى زَوَالُهَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ بُغْضٍ لَهَا غَيْرَ أَنَّهُ يُرْجَى سِوَاهَا فَهُوَ يَهْوَى انْتِقَالُهَا!





الصفحة

الموضوع

٥ المقدمة
٧ الوزير المهلب
٩ بين الواثق ومحمد بن حمّاد
١٠ بين الحسن بن سهل وعلي بن عبيدة
١١ حكمة أردشير وحضه على العلم
١١ أخلاق الملوك
١٣ من كلام الملوك الجاري مجرى الأمثال
١٦ بين الثريا بنت علي والوليد بن عبد الملك
١٩ بين سليمان بن عبد الملك وأعرابي
٢٠ الرشيد يحبس أبا العتاهية على ترك الشعر
٢١ ابن الزيات يمدح الحسن بن سهل
٢٢ كثير عند عبدالعزيز بن مروان وهو مريض
٢٢ بين طاهر بن عبدالله وابن أبي تمام
٢٥ بين المعتصم وأبي تمام
٢٥ بين المهدي وأبي عبيد الله
٢٦ بين المأمون والفضل بن ربيع
٢٦ بين الإسكندر ودارا بن دارا
٢٦ حكيم يصف أحزم الملوك
٢٧ أنوشروان يبين سياسة الدولة

٢٨	من كلام بلغاء أهل العصر في ذكر السلطان
٢٩	أبو بكر الخوارزمي
٢٩	فضائل عبدالملك بن مروان
٣١	كسرى ورجل من الدهاقين
٣٢	بين بشار والمهدي
٣٣	خالد بن صفوان يصف الشعراء لهشام بن عبدالملك
٣٥	بين العجاج وعبدالملك بن مروان
٣٦	المعتصم ومحمد بن وهب الشاعر
٣٩	بين هارون الرشيد وعبدالملك بن صالح
٤٠	بين الرشيد وعبدالملك
٤١	بين الرشيد والحسن بن عمران
٤٢	قطر الندى والخليفة المعتضد
٤٣	بين المأمون وأحمد بن أبي خالد
٤٤	من رافة المأمون بعماله
٤٥	عقال بن شبة بين يدي المنصور
٤٩	وفد الشام بين يدي المنصور
٥٠	تميم بن جميل والمعتصم
٥٢	من المعتصم إلى عبدالله بن طاهر
٥٣	المعتصم يكتب لملك الروم
٥٤	وصف بني المهلب بن أبي صفرة
٥٦	بين سهل بن هارون والحسن بن سهل
٥٧	علي بن الخليل والرشيد
٥٩	بين المنصور ومعن بن زائدة
٦١	بين أعرابي وبعض الولاة
٦٢	بين ابن المعتز وبعض الوزراء
٦٣	بين الحجاج وأهل العراق
٦٤	بين خالد بن صفوان وعلي بن الجهم

٦٥	عَفُو عَنْ ذِي جَرِيرَةٍ
٦٦	بَيْن ابْنِ السَّمَاكِ وَالرَّشِيدِ
٦٦	مِحَادَثَةُ الْإِخْوَانِ
٦٨	مِنْ رَسَائِلِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ
٦٩	عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَكُثْرُ عَزَّةٍ
٧١	شِعْرُ حُجَيَّةِ بْنِ مُضَرَّبٍ فِي مَدْحِ بَعْضِ الْمُلُوكِ
٧٢	خَبَرُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
٧٣	شِعْرُ الْأَحْوَصِ فِي سَوْأْلِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَفُطْنَتِهِ فِي ذَلِكَ
	خَبَرُ كَرَمِ يَحْيَى بْنِ طَالِبِ الْحَنْفِيِّ وَرُكُوبِ الدِّينِ لَهُ، وَاضْطِرَارِهِ لِسَوْأْلِ
٧٤	السُّلْطَانِ
٧٥	خُطْبَةُ بَعْضِ الْقُرَشِيِّينَ عِنْدَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
٧٦	حَسَنُ سَوْأْلِ رَجُلٍ لِعَبْدِ الْمَلِكِ
٧٧	مِنْ أَخْبَارِ الْمَأْمُونِ
٧٨	أَدَبُ الْوَلَاةِ
٧٨	بَيْتُ الرِّعْيَةِ وَالسَّلَاطِينِ
٧٩	بَيْنَ الرِّعْيَةِ وَالسَّلَاطِينِ
٧٩	مَدْحُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ لِبَعْضِ الْأُمَرَاءِ
٨١	وَصِيَّةُ رَجُلٍ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ
٨١	جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
٨٥	اعْتِذَارُ رَجُلٍ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ
٨٥	أَسْبَابُ السِّيَادَةِ
٨٦	ثَنَاءُ وَفْدِ الْعِرَاقِ عَلَى أَمِيرِهِمْ مُصْعَبٍ
٨٧	قَوْلُ جَعْدَرٍ فِي سَجْنِهِ حِينَ حَبَسَهُ الْحَجَّاجُ
٨٩	مَوْعِظَةُ الْقُرْظِيِّ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي أَوْصَافِ بَطَانَتِهِ
٨٩	نَصِيحَةُ بَلِيغَةٍ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
٩٠	خَبَرُ الْأَخْنَفِ مَعَ مَعَاوِيَةَ فِي مَدْحِ الْوَلَدِ
٩٠	نَصِيحَةُ الْحَسَنِ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

- ٩١ موعظة لعمر بن عبدالعزيز في ذم الدنيا
- ٩٢ خبر في الوُشاة، وحفظ السر
- ٩٢ خبر الأعرابي الذي سأل خالد بن عبدالله القسري
- ٩٣ قول عبدالملك حين حضرته الوفاة في ذم الدنيا
- ٩٣ خبر بعض الأعراب في سؤال بعض الملوك
- ٩٤ من أخبار أبي العتاهية مع الخلفاء والأمراء
- ١٠٢ خبر أعرابي دخل على بعض الملوك يمدحه
- ١٠٣ قول عبدالملك في السياسة
- ١٠٣ وصية زياد لعماله
- ١٠٣ خطبة عمر بن عبدالعزيز في الجزع والدنيا
- ١٠٤ خبر عبدالملك بن مروان وبطانته في أحسن ما قيل في الشعر
- ١٠٧ خبر عزة كثير مع عبدالملك بن مروان
- ١٠٨ وصف الحجاج لنفسه
- ١٠٩ لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
- ١١٣ المعتصم والفتح بن خاقان
- ١١٣ ما كان ليعود إلي وقد خرج من عندي
- ١١٤ وصية عبدالملك بن مروان
- ١١٤ أذل الجزص أعناق الرجال
- ١١٦ والله لئن جاوزت قدري فما بلغت قدرك
- ١١٦ صبر النفس عند كل ملهم
- ١١٧ هدية شمس المعالي إلى عضد الدولة
- ١١٧ وصية أرسطوطاليس إلى الإسكندر
- ١١٨ المأمون وبعض شيوخ الفقهاء
- ١١٨ من عفو الأمراء
- ١٢٠ الإعجاب بالرأي
- ١٢٠ وصية أبي الأغر لابنه
- ١٢٢ مدح عمر بن عبدالعزيز

١٢٣ ثناء عمرو بن زياد العتكيّ على الحجاج بن يوسف
١٢٣ أتاناً بنو الأملاك
١٢٤ محمّد بن القاسم قاذ الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة
١٢٤ ما تنقم من أميرك؟
١٢٥ وصيّة عمر بن عبدالعزيز إلى بعض عمّاله
١٢٥ تشاءم بعض أمراء خراسان
١٢٦ الإسكندر والرجل الأعرج
١٢٦ وصيّة فتيّة بن مُسلم لبنيه
١٢٦ نصيحة إلى الأمير طاهر بن عبدالله
١٢٧ ابن جريج ومعن بن زائدة
١٢٩ خبر خالد القسريّ مع المنصور
١٢٩ وصف بعض الأمراء حين عُزل عن عمله
١٣٠ وصف صحبة السلطان
١٣٠ خبر الكتنجي مع المتوكل
١٣١ قول الحسن بن سهل في الشفاعة
١٣٢ أسباب السيادة
١٣٢ السيادة
١٣٣ بين عبدالملك بن مروان وأمّية بن عبدالله بن خالد
١٣٤ أحزم الملوك
١٣٤ سؤال بعض خلفاء بني أمّية لجبرير عن أشعر الناس
١٣٥ موعظة عمر بن عبدالعزيز في الاستعداد للموت
١٣٦ أدب الخصومة والوفاء
١٣٧ اليقين بالرّزق
١٣٨ وصية أبي جعفر لعمر بن عبدالعزيز
١٣٨ خبر الأمير مع السّفيه
١٣٩ ما جرى بين يزيد والمهلب
١٤٠ المهلب والخوارج

١٤٢	ابن هرمة والمنصور
١٤٣	عبد الملك بن مروان وجريير
١٤٧	ابن عبدل ولطف مسألته
١٤٨	جريير يمدح حُرَّاسه
١٤٩	وصية عبد الملك إلى الحجاج في القتال
١٥٠	بين الحجاج والفرزدق
١٥٠	عبد الملك بن مروان وأدبه في استماع الحديث
١٥١	الحجاج والأعرابي الفصيح
١٥١	الغنى والفقر والرياسة
١٥٢	وفاة الحجاج وما قال وما قيل له عند ذلك من مواعظ
١٥٤	بين يزيد بن عبد الملك وهشام
١٥٦	وما الجلم إلا رذك العيظ في الحشا
١٥٦	مسلمة بن عبد الملك ونصيب الشاعر
١٥٧	أبو جعفر المنصور والسامي الأديب
١٥٧	قصة أبي جعفر المنصور وابنه المقتول
١٥٨	الخليفة المنصور والرجل المعترض
١٥٩	إن مع العسر يسراً
١٦٠	الأعرابي مضيف أمير المؤمنين المهدي
١٦١	عمر بن عبد العزيز والمرأة العراقية
١٦٣	عمر بن عبد العزيز رحمه الله والأسير المسلم
١٦٤	حكاية ابن هارون الرشيد
١٦٧	أتق الله يفرغ عليك العلم إفراغاً
١٦٨	المأمون والرجل الفقير
١٦٩	الفهرس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



9 789953 817163